

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العـــدد الثاني ـ السنة الثامنة ـ شعبان 1384 ـ دجنبر 1964

في هـــذا العـــدد

صفحة		
1	كلمة العـدد	دعوة الحق
	دراسات اسلامية	
3	وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه	للاستاذ رحالي الفاروق
5	«الحبس» لايباع ، ولا يوهب ولا يورث	للاستاذ محمد الطنجي
9	الاسلام يهدف بمعتنقيه للحياة الجامعة بين قوة الروح والمادة	للاستاذ عبد الله الجراري
11	الاسلام دين الحياة ونظامها	للاستاذ جلال الدين الزلياتي
14	ما حرية الاديان ؟ ومن اين جاءت . .	للاستاذ محمد العربي الهلالي
16	حول موسمي المعراج ، وليلة النصف من شعبان	للاستاذ ابي عبد الله
	مناقشات	
18	نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط	للدكتور تقي الدين الهلالي
	ابحاث ومقالات	
23	الثقافة في خدمة المجتمع	للاستاذ احمد زياد
25	العنصر الاسلامي في الكوميديا الالاهية	للدكتور عبد الله انيس الطباع
27	نجيب محفوظ	للاستاذ محمد زنيبر
31	الالهام في الادب	للاستاذ عيسى فتوح
33	اهمية الدراسات الادبية	للاستاذ عبد اللطيف خالص
35	شاعر من الاندلس	للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
38	نظرة في تائية ابن الفارض	للاستاذ عبد الحق حموش
41	ابو الفتح الاسكندري	للدكتور فكتور الكك
46	(سوف لا) و (هلا لا)	للاستاذ محمد بن تاويت
49	العدد الماضي في الميزان	للاستاذ بن العربي الخطابي
53	ملوك ورسائل	للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ
57	الامبراطورية الموحدية	للاستاذ محمد التونسي
59	معركة القصر الكبير	للاستاذ عبد الله العمراني
64	نظم الحكم في عهد الوطاسيين	للاستاذ ابراهيم حركات
68	الحمايات الاجنبية	للاستاذ مصطفى الغربي
72	خصائص المدرسة الحديثية المغربية . .	للاستاذ حسن السائح
77	محمد السائح	للاستاذ محمد بنعبد الله
81	الجامعة التربية الاوربية	للاستاذ المهدي البرجالي
84	تطور وظائف الاسرة	للاستاذة فاطمة التهامي
	ديوان المجلة	
86	مختارات من الشعر العربي القديم	
87	الضمير السكران	للشاعر محمد البوعناني
90	عيد الاستقلال	للشاعر ادريس الجاي
92	غريب عن الاحباب	للشاعر محمد العلمي
94	معرض الكتب	تقديم وتعليق : الاستاذ عبد القادر زمامه
	قصة العدد	
98	قصة مغربية : الذئاب	واشنطن : احمد عبد السلام البقالي

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
المملكة المغربية - الرباط

ثمن العدد درهم واحد

العدد الثاني
السنة الثامنة
شعبان 1384
دجنبر 1964

دعوة الحق

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف
بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة ((**دعوة الحق**)) ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فما اكثر .

السنة عشرة اعداد ، لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حسـاب :
مجلة ((**دعوة الحق**)) رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة ((**دعوة الحق**)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

((**دعوة الحق**)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 10-308 ـ 03-327 ـ الرباط

كلمة العدد

بين السيف والقلم

امتاز شهر نوفمبر الماضي بحدثين هامين كان لهما ابلغ الاثر في نفوس المواطنين ، ايقنوا معهما انهم يسيرون وراء قائدهم الهمام في سبيل مامونة ، الى غاية مضمونة .

فالحدث الاول كان ذكرى استقلال البلاد واستعراض جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله للقوات المسلحة الملكية في يوم مشهود ولواء معقود .

فلقد كان يوم 18 نوفمبر يوما اغر ظل فيه الشعب في غمرة الشوق ونشوة الذكرى في فرحة غامرة ، مزهوا بجهاده الظافر ، فخورا بقائده الاعظم ، وقد زهاه النصر واستطاره الفرح ، حينما رأى الجيش الملكي الباسل في استعراض رائع ضخم ، ونظام محكم بديع ، موقظ للشعور حافز للهمم وهاد الى استقرار مطمئن ، وسعادة راضية ، بكيفية اندهش لها كثير من الملاحظين ، الذين كانوا « لا يتوقعون ان يروا قوة عسكرية بهذا النظام ، وهذا التكامل » .

وان امة كالامة المغربية الابية ، لها ماض مشرق ، وعز أقعس ، وسناء اسنع ، تمردت على الضيم وتعنتت على الاحداث واخذت استقلالها غلابا ، لخليقة بان يحالفها النصر ، وتنعم بتقدم مطرد ، واستقرار مكين في غد حافل يسفر فيه الامل عن وجه الفوز ، وراء قائدها المظفر الجالس على العرش ، المكلوء من ذي العرش ، حفظ الله زمانا أطلعه .

والحدث الثاني الذي وقع خلال الشهر الماضي هو موسم الكتاب العربي الذي نظمه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي حيث صادفت دعوة المكتب اقبالا منقطع النظير من لدن الاوساط العلميه والادبية حيث لبت كثير من الدول العربية الدعوة فعينت ممثلين عنها للقيام بمحاضرات حول نشأة وتطور الكتاب العربي

ولقد عينت تونس والكويت والعراق وسوريا والمغرب رسميا من يمثلها للمحاضرات ، و العرض .

وهذا عمل من المكتب الدائم تلهمه العزة ، وتمليه الكرامة ، لا يسعنا معه الا ان نكبر الاعمال الموصولة التي يضطلع باعبائها هذا المكتب والتي تتجلى في جميع النشاطات التي يقوم بها اما عن طريق عقد مؤتمرات او عن طريق الكتاب المثقف او المجلة المهذبة .

ومما اثلج الشعور ، وانعش الآمال ، ان جلالة الملك المغفور له محمد الخامس رحمه الله ، قد عمل جاهدا على ربط الحاضر بالماضي لصيانة سيادة المغرب ، واصالة لغته العربية تلك السيادة وتلك الاصالة اللتان عملت الدولة العلوية خلال قرون ثلاثة ونيف على صيانتها بربط الحاضر بالماضي علما منه رحمه الله بان التعليم بلغة اجنبية

ينقل بعض الافراد الى العلم ، ولكن التعليم بلغة البلاد الوطنية ينقـل كـل العلم الى الامـة ، ولهذا فقد دعا الى مؤتمر التعريب الذي انعقد في الرباط تحت رعاية جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بكلية الآداب بحضور اعضاء الحكومة المغربية والسلك الدبلوماسـي وعمداء الكليات وعدد من الشخصيات ، والهيات الثقافية حيث القى حفظه الله خطابا عبر فيه عن ارتياحه لاقامة هذا المؤتمر ، وابراز اهمية اللغة العربية التي لا تشكو قصورا ولا فشلا ، واهتمامه بقضية التعريب بصفة خاصة في جميـع ميادنـه العلمية والحضارية سواء على الصعيد العربي او المحلي ، وتحقيـق الوحدة اللغوية التي هي عماد كل وحدة ثقافية او غيرها .

ومن مصاديق الامل ، ودواعي الثقة ان تولى الاشراف على المكتب الدائم استاذ حديد العزم ، ذو جد ومضاء ، يولي هذا المجهود الاصلاحي للغـــة ما يستحقه مـــن الجـد والجهـد والعناية .

وموسم الكتاب ما هو الا سلسلة من النشاط لهذا المكتب الذي يعمل للخروج من التبعية اللغوية المعيبة ، وابراز المجهود العربي للتدليل على فعالية اللغة العربية في الحقـل العلمـي من كيمياء وفيزياء ورياضيات وعلم الاحياء ، وتقنيات في الملاحـة والطيران ، والاشغال العمومية ، وجميع المجالات التي تظهر فيها حيوية اللغة الحديثة التي يمكنها ان تساير مقتضيات العصر حتى تخصب حقول المعرفة ، فتزدهـر في كـل مكـان ، وتثمر في كـل نفس .

وهذا مظهر من نشاطات المكتب الدائم ، تلك النشاطات التـي تبلـورت فـي اصدار معاجم في الكيمياء والفيزياء والرياضيات والسياحية ، والاشغال العمومية والتصنيع والقانون والادارة ، وكثير من الشعب العلمية والتقنية الاخرى ، وذلـك بالاضافة الى قيام المكتب بتجريد الكتب المدرسية المقررة في العالم العربي ، وفي كل من انكلترا وفرنسا وايطاليا تحقيقا لفكرة جديدة علاوة على فكرة التوحيد « توحيـد المصطلح المدرسي والجامعي » وهاته الفكرة هي اخراج كتاب مدرسي وجامعي بلغـة عربية ، وموحدة في الاقطار العربية فحوى ومدلولا ، ومعبرا عن مدركاتهـا بلفـظ واحد ، وتكون هذه المدركات هي نفس ما يحتوي عليه الكتاب العالمي في الاقطـار المتمدنـة ذات الرقي الدافـــق ، والعمل المتصـل ، والتطـور المستمـــر .

وقد تكون هناك فكرة ثالثة يسعى لتحقيقها المكتب الدائـم لتنسيق التعريب في العالم العربي وهي ان يعمل هو باتفاق مع المجامع العربية والجامعات الاقليميـة والحكومات على اعداد كتاب في واحد في شتى المجالات العلمية لكل الاقطار العربية يرفده بآداب الامم الراقية ، ويصله بتيار الافكار الحديثة بحيث يتخـرج المواطـــن العربي على اساس علمي عالمي ، ولون اقليمي عربي بتكوين واحد يتبلـور في كتـاب واحد ، ولغة موحدة فينعم اذ ذاك بتربية قويمة ، وثقافة اصيلة ، ورقي صحيـــح ، وتحرير من عبودية ادبيـة ، ووجـود ملفـــق ، واحتلال لغـــوي ضاغـط .

فاذا اردنا لاستقلالنا ان يتم ، ولوجودنا ان يتميـز ، كان علينـــا ان نقبل على احياء الكتاب العربي الذي تزخر بـه مكتباتنا الغنية لـيـلا نعيش فـي عالمنا اجنبـي الشعور ، غريبي العقل ، كالعبد المملوك الذي لايقدر على شيء وهو كل على مولاه .

دعوض الحق

دراسات إسلامية

وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه

للأستاذ : الرحالي الفاروق

حاولت ان يكون هذا النص الموجز الجامع موضوعا للحديث وعنوانا لمضمونه وميزانا لفصوله ، وظني انه يزيح الستار عن حقائق كان لها صلة بحياة اللغة ووحدتها وتقدمها .

وهذه الحقائق تسترعي انتباه كل عربي ، وكل مسلم لا يغتر بالمظاهر والمعارض الجوفاء ، ولا سيما هذا العصر الذي تطاول فيه لسان على لسان ، وحضارة على اخرى .

فمن الحكمة ان نتبين الطريق قبل ان نتوسطها ، ونتثبت عند توارد الشبه وتزاحم العلل ، ونأخذ الحيطة ونعد العدة في آن واحد ، عسى ان نفلح في استبقاء الكيان قائما وسالما ، مع اقتباس انوار الحضارة واكتساب انواع الثقافة لتلقيح العقل وتصحيح الوضع .

واليك شرح الحقائق التي يتضمنها النص الكريم ويكشف النقاب عن وجهها كشفا واضحا .

الاولى : قوة اللسان هي القوة الاولى من مجموع قوات الانسان ، فاذا احكمت هذه القوة واتسع نطاقها ، وتهيأ بيانها تأتى لاصحابها ان يظهروا وان يظفروا (وان من البيان لسحرا) .

ومن اجل ذلك راينا الرسول لا يرسل الى القوم الا وهو متسلح بلغتهم ورأينا الدول التي تعلم ظاهرا من الحياة الدنيا تسارع الى بث لغتها وتركيز ثقافتها في الشعوب المتثاقلة بمختلف الوسائل الفعالة ، وهي اليوم — على الرغم من تيار التحرير — تسيطر على مجموعة كبيرة من مناطق العالم بقوة لسانها وبقوة اسلوبها .

الثانية : وظيفة المربي والمعلم هي البيان والكشف عن منهج الحياة وموضع السعادة والبيان والفهم لا يكون الا بلسان القوم .

وليس من المعقول ولا من المقبول ان يكون بلسان مخالف لانه تغيير لحقيقة وطبيعة القوم وتعبير عن فقدان الثقة باهم مقومات القوم وحرمان من الاستفادة من المثقف بغير لسان القوم .

الثالثة : اقوم طريق لمتابعة ترقية لغة القوم وتطويرها حتى تحلق في سماء اللغات الحية المنتجة ، هي استخدامها باستمرار في مختلف مرافق الحياة ومراكز التربية ومصالح الادارة من دون مضايقة كلية او جزئية .

الرابعة : لسان القوم هو الوسيلة الطبيعية الى جمع كلمتهم وتقوية وحدتهم لان وحدة الثقافة توجب وحدة التفكير ، ومن شان ذلك ان يسهل الوصول الى تبادل الآراء والتفاهم حول السياسة المطروحة وحول تخطيط برامجها ومناهجها ، ولا تخفى صعوبة التفاهم اذا اختلفت طرق التفكير ، وهو ما كان بالقول وتحقق بالفعل .

وازاء تنفيذ هذه الحقائق الثابتة ينبغي ان يتوجه التوجيه في حياة الشعوب الى اقرار وضع صحيح سليم ليتسنى تنسيق الفكر وتوضيح الاتجاه في كل سياسة تناط بها مصالح شعب ومطامحه .

ان لسان القوم هو قوام تربيتهم وسياستهم وعماد تعليمهم ونهضتهم ، ولا مجال لاختيار نظام او مذهب يند لسانه عن فهم الجماعة ويترتب عليه الشك او التشكيك في تركيب الاجتماع وضم جهوده وقصد

اهدافه ، فالحكم المقرر بلسان القوم واضح ومفهوم لهم تماما ، والحكم المفسر بغيره مشكوك فيه وغير مضبوط لقلة تمرن الافئدة والالسنة عن طبيعة ما يوحى به ، واللغة ملكة تثبت عادة في النفس بعد معاناة وارتباط بالمفاهيم الوضعية والمصطلحات القومية .

ومن قبل هذا المعنى كانت رسالة كل رسول بلسان قومه وكانت رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) باللسان العربي المبين .

ولا يمنعه انه رسول الناس جميعا ، لان الرسول لابد وان ينتسب الى اسرة بشرية ذات طابع خاص والطبع المستقيم قاض ان تكون لغة الرسول هي لغة ما ينتمي اليهم بالنسب والحسب وان كان يعرف اللغات بطريق آخر .

ولان حملة الرسالة من قومه مسؤولون عنها ومستعدون لادائها في كل جهة من جهات العالم وذلك ما يتفق مع المجهود البشري المحدود وينطبق عليه قول الرسول المأثور : (ليبلغ الشاهد منكم الغائب) .

والترجمة في مثل هذا تقوم بدور البيان كما هو مشهود في ترجمة القرآن بكثير من اللغات ، وكما هو ملحوظ في المنظمات العالمية التي تعتمد ما ترسمه بطريق الترجمة او بطريق اخرى من طرق الاجتهاد في الرسم والكتابة ، مع العلم بان وسائل الرسالة لا تخالف ما ثبت في الحياة من حكم العادة والعوائد والتقاليد هي من اهم جوانب الحياة الاجتماعية .

فكل سياسة ـ وان كانت سياسة تعليم ، وكل ثورة ، وان كانت ثورة انقلاب فانها لا تلاقي نجاحا ولا تلقى تحبيذا ، الا اذا كانت مركزة على خلايا الشعب الكبرى وسارت في طريق يفهمه لسان الشعب بحيث لا تنحرف عن مبادئه العقائدية واهدافه الشعب ويرعاه قلب الشعب بحيث لا تنحرف عن مبادئه العقائدية ، واهدافه الوطنية ولا تنكب عما يحسه بعقله وروحه وايمانه وتاريخه حتى يكون التطور المنشود او التغير المقصود مفهوما ومقبولا لانه ليس بدعا من الشعب ولا بعيدا من علاقاته الروحية والمادية ، فهو منه واليه يسير بجانبه ويرعاه ويذود عنه بسائر قواه ، الا انه يبدو ان الحركات والسياسات التي تقوم من وقت لآخر داخل الشعوب المستقلة المتحررة بصفة اصلاح او بصفة اخرى ، لاتلتزم هذا المسلك ولا تعترف بهذا المذهب فهي لا تماشي عقلية الشعب ومفهوميته ولا تراعي قدرته واستعداده ، بل تفرض عليه فرضا ، اما من قبل الذين لا يراعون في رسم السياسة منطقه وطبيعته خطأ او غلطا واما من قبل بعض الخلايا المسخرة للخارج التي تتربص الدوائر ريثما تجد الفرصة فتنفذ مؤامرة لا علم للشعب بها ولا اطلاع له عليها ، ولذلك يكون نصيبها الخيبة ومآلها الرفض وتلك هي النتيجة الحتمية لمثل هذا التصرف الشاذ الذي يمتاز بالتردد والضعف وعدم الاستقرار .

ان اللسان القومي ضمانة للعقيدة ونهضة للثقافة وقاعدة للتفاهم .

وان الهدف من التعريب ان يكون الوعي العربي ساريا في الحياة باسرها ملموسا في المراكز والمصالح وفي المشاريع والشوارع ولا يكون هذا الا اذا قاد اليه ايمان وعزم وراج في كل مكان وراح في كل زمان وعاد القرآن كما كان لانه الحافظ للغة والقائم على نشرها وبث روحها .

وكل مجهود خاص لايعدو طبقة من الطبقات فلا يقدر ان يفي بمثل هذا الوعي الشامل ولا يستطيع ان يغير بوسائل خاصة شيئا من الواقع .

« وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب » .

الرحالي الفاروق

لغة الضاد تتحدث

وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق اسماء لمخترعات

حافظ ابراهيم

"الحبس" لا يباع، ولا يوهب، ولا يورث

حديث شريف

للاستاذ : محمد الطنجي

روى البخاري في صحيحه حدثنا هارون بن الاشعث (*) حدثنا ابو سعيد مولى بني هاشم (*) حدثنا صخر بن جويرية (*) عن نافع (*) عن ابن عمر (*) رضي الله عنهما ان عمر تصدق بمال له على عهد رسول الله (ص) وكان يقال له ثمغ وكان نخلا فقال يا رسول الله اني استفدت مالا وهو عندي نفيس فاردت ان اتصدق به ، فقال النبي (ص) : تصدق باصله لايباع ولا يوهب ولا يورث ولكن ينفق ثمره .

فتصدق به عمر فصدقته تلك في سبيل الله وفي الرقاب والمساكين والضعيف وابن السبيل ولذوي القربى ولا جناح على من وليه ان ياكل منه بالمعروف او يوكل صديقه غير متمول به .

ان التعاون على الخير في المجتمع تقضي به ضرورية الحياة الفاضلة وما كان لدين الاسلام في سمو روحه ، وقدسية تعاليمه ان لا تكون له عناية كبرى في ميدان العمل الخيري بصفة عامة وفيما يمس اعلاء كلمة الله بصفة خاصة حيث واصل هذا التوجيه في سائر مراحل دعوته ، سواء في الاصول الكلية التي كان القرآن المكي متسما بها او في التشريع المدني التفصيلي الذي اقتضته الحياة المدنية الجديدة بكامل معناها في المدينة المنورة عند اجتماع شمل المسلمين واستقرار الحياة الاجتماعية فيها على اسس التعاليم الاسلامية الخالصة كما هو مدلول الآية الخالدة « وتعاونوا على البر والتقوى » .

وقد انصرفت عناية الصحابة في هذا التعاون على الخير لما يسند تعاليم الدين بالجهاد لنشر دعوته، واقامة شريعته ، او فيما ندب اليه وحض عليه من اسداء المعروف ، واكرام الضيوف ، واغاثة ابن السبيل الملهوف ، وتحرير الرقاب من العبودية ، حتى يتيقن العالم مصداق سعي الاسلام لتوفير الكرامة الانسانية ، لكل راغب في الانعتاق والحرية .

وحتى لا تبقى هذه المثل النموذجية عرضة للاهمال في الحال والاستقبال اسندوها بخالص اموالهم ، وفيما سموه بالحبس او الوقف والصدقة الجارية واسندوا النظر في الاشراف عليه وتوزيع ثماره ومدخوله الى من يثقون به من ذوي النزاهة

(*) هارون بن الاشعث الهمداني بالسكون الكوفي الاصل ابو محمد البخاري ثقة من العشرة انتهى وفاته بين المائتين من الهجرة حسب اصطلاح كتاب التقريب لابن حجر .

(*) هو عبد الرحمن بن عبد الله البصري مولى بني هاشم نزيل مكة لقبه جردقة بفتح الجيم والدال بينهما راء ساكنة ثم قاف صدوق وربما اخطا من التاسعة مات سنة سبع وتسعين ومائة .

(*) صخر بن جويرية ابو نافع مولى بني تميم او بني هلال قال احمد : ثقة وقال القطان ذهب كتابه ثم وجده فتكلم فيه لذلك من السابعة .

(*) نافع ابو عبد الله المدني مولى ابن عمر ثقة ثبت فقيه مشهور من الثالثة مات سنة سبع عشرة ومائة او بعد ذلك .

(*) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي ابو عبد الرحمن ولد بعد المبعث بيسير واستفصر يوم احد وهو ابن اربع عشرة سنة وهو احد المكثرين من الصحابة والعبادلة وكان من اشد الناس اتباعا للاثر مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها او اول السنة التي تليها .

والاستقامة حتى يبقى هذا النوع من الاحسان مضمونا الى الابد ، وكان الرسول العظيم عليه السلام الذي لا ينطق عن الهوى هو الذي اعطى لهذا الاحسان صيغة التشريع المحمدي التي تضمن خلوده واستمراره الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين فقد نزلت الآية الكريمة « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » فتصدق ابو طلحة الانصاري استجابة لمضمون الآية الكريمة باحب امواله اليه وهو بستان امام المسجد النبوي يسمى بيرحاء وجعل امره للنبي عليه السلام يضعه حيث يشاء فأمره الرسول بتوزيعه في الاقربين .

وكان من ضمن الراغبين في الاستجابة لتطبيق الآية الكريمة في نفسه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء الى النبي (ص) فقال يا رسول الله اني استفدت مالا وهو عندي نفيس فاردت ان اتصدق به فقال النبي (ص) تصدق باصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولكن ينفق ثمره ، فتصدق به عمر ، فصدقته تلك في سبيل الله وفي الرقاب والمساكين والضيف وابن السبيل ولذوي القربى ولا جناح على من وليه ان ياكل منه بالمعروف او يوكل صديقه غير متمول به.

وقد اختار الحافظ بن حجر هذه الرواية لان صيغة الشرط فيها من صريح قول النبي (ص) حتى قال هي اتم الروايات واصرحها في المقصود فعزوها الى البخاري اولى معقبا بها على قول السبكي اغتبطت بما وقع في رواية يحيى ابن سعيد عند البيهقي : تصدق بثمره وحبس اصله لا يباع ولا يورث وسواء صح ان الشرط من كلام النبي (ص) أو كان الشرط من كلام عمر كما هو الظاهر من الروايات الاخرى فان عمل عمر انما هو بما فهم من النبي لانه حبس تلك الارض بتوجيه النبي وارشاده كما يفيده كلام صاحب الفتح .

موقف علماء الاسلام من مشروعية الوقف وبقائه واستمراره :

تعرض الحافظ ابن حجر لهذا الموضوع فنقل عن الترمذي قوله : لانعلم بين الصحابة والمتقدمين من اهل العلم خلافا في جواز وقف الارضين وقد جاء عن شريح انه انكر الحبس ، ومنهم من تاوله ، وقال ابو حنيفة لا يلزم وخالفه جميع اصحابه الا زفر بن الهذيل .

هل يباع الوقف :

حكى الطحاوي عن عيسى بن ابان قال كان ابو يوسف يجيز بيع الوقع (يعني وفاقا لراي ابي حنيفة) فبلغه حديث عمر هذا فقال من سمع هذا من ابن عون ؟ فحدثه به ابن علية فقال : هذا لا يسع احدا خلافه ، ولو بلغ ابا حنيفة لقال به ، فرجع عن بيع الوقف حتى صار كانه لا خلاف فيه بين احد . انتهى ، نقل الحافظ ابن حجر ثم ذكر عن القرطبي قوله رد الوقف مخالف للاجماع فلا يلتفت اليه واحسن ما يعتذر به عن رده ما قال ابو يوسف فانه اعلم بابي حنيفة من غيره .

هل فهم علماء الاسلام التابيد في الوقف ؟

حكى الحافظ ابن حجر تعقيب الطحاوي على تحبيس عمر بانه لا يستلزم التابيد مع رده فقال : ومع حكاية الطحاوي هذا فقد انتصر كعادته فقال قوله في قصة عمر حبس الاصل وسبل الثمرة لا يستلزم التابيد بل يحتمل ان يكون اراد مدة اختياره لذلك انتهى . قال ابن حجر ولا يخفى ضعف هذا التاويل ولا يفهم من قوله وقفت وحبست الا التابيد حتى يصرح بالشرط عند من يذهب اليه ، وكانه (اي الطحاوي) لم يقف على الرواية التي فيها حبيس ما دامت السموات والارض ثم ساق قول القرطبي رد الوقف مخالف للاجماع فلا يلتفت اليه الى آخر ما تقدم على انه يجوز تحبيس الحيوان كتحبيس عمر فرسا في سبيل الله خلا العبيد فانه يكره تحبيسه لما يرجى لهم من العتق والحرية . على ان العلماء اجازوا التحبيس الموقت اذا اشترط المحبس ذلك في عقد تحبيسه حرصا على عمل الخير والاحسان في المجتمع وهو مثل العمرة الصائفة في الشريعة الاسلامية .

حقيقة الوقف الشرعية :

قال الحافظ ابن حجر في فروع هذا البحث وحقيقة الوقف شرعا ورود صيغة تقطع تصرف الواقف في رقبة الموقوف الذي يدوم الانتفاع به وتثبت صرف منفعته في جهة خير على ان الائمة اعتنوا بصيغة عقد الاوقاف ولزوم العمل بشرط الواقفين منذ عهد الرسول الى وقتنا الحاضر قال

البخاري في صحيحه باب الوقف كيف يكتب ، وفي هذا الباب ساق البخاري حديث عمر ايضا كما ساق الحافظ ابن حجر نسخة صدقة عمر عن عمر بن شبة عن ابي غسان المدني قال هذه نسخة صدقة عمر اخذتها من كتابه الذي عند آل عمر فنسختها حرفا حرفا هذا ما كتب عبد الله امير المؤمنين في ثمغ (الاسم المشهور للارض التي بها النخل التي اوقفها عمر) انه الى حفصة ما عاشت تنفق ثمره حيث اراها الله فان توفيت فالى ذوي الراي من اهلها (قال ابن حجر فذكر الشرط الذي تقدم في الحديث المرفوع .

وزاد الامام البخاري في تاييد شروط الواقفين وتصرفهم طبق الشروط التي عقدوا تحبيسهم عليها فساق امثلة معلقة تشهد لما قرره فقال باب اذا وقف ارضا او بئرا او اشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين ووقف انس دارا فكان اذا قدم نزلها وتصدق الزبير بدوره وقال للمردودة من بناته ان تسكن غير مضرة ولا مضر بها فان استغنت بزوج فليس لها حق وجعل ابن عمر نصيبه من دار عمر سكنى لذوي الحاجات من آل عبد الله انتهى . وقال صاحب الفتح تعليقا على تحبيس الزبير وصله الدرامي في مسنده عن طريق هشام بن عروة عن ابيه ان الزبير جعل دوره صدقة على بنيه لا تباع ولا توهب ولا تورث وان للمردودة من بناته فذكره (اي تعليق البخاري) .

قال ابن حجر مبينا الفوائد التشريعية التي تستفاد من حديث عمر فيه جواز اسناد الوصية والنظر على الوقف للمراة وتقديمها على من هو من اقرانها من الرجال وفيه اسناد النظر الى من لم يسم اذا وصف بصفة معينة تميزه (يعني قول عمر في النظر في وقفه الى ذوي الراي من آل عمر) وان الواقف يلي النظر على وقفه اذا لم يسنده الى غيره قال الشافعي لم يزل العدد الكثير من الصحابة فمن بعدهم يلون اوقافهم نقل ذلك الالوف عن الالوف لا يختلفون فيه انتهى نقل ابن حجر بنصه .

وفي هذا النص من الشافعي زيادة على عمل الالوف بشروطهم صحة التصرف من الواقف في وقفه طبق الشرط الذي شرطه في عقد تحبيسه .

المسلمون عند شروطهم :

وجريا على هذه التشريعات السامية جرى عمل القضاة في محاكمهم واصدر اليهم عمر بن الخطاب في رسالة القضاء المشهورة هذه القاعدة : المسلمون عند شروطهم الا شرطا احل حراما او حرم حلالا ، ووقع العمل بهذا الشرط عند ائمة المذاهب الفقهية واتباعهم الى الآن حتى قال خليل المبين لما به الفتوى في مذهب مالك في باب الوقف « واتبع شرطه ان جاز اي شرط المحبس » .

وزيادة على ما اسلفنا من راي صريح في الوقف وراي ابي حنيفة في جواز بيعه وقفت على ما نقله الشيخ الرهوني عن الامام مالك لما قيل له ان شريحا كان لايرى الحبس فقال مالك تكلم شريح ببلاده ولم يرد المدينة فيرى آثار الاكابر من ازواج النبي (ص) واصحابه والتابعين بعدهم وهلم جرا الى اليوم وما حبسوا من اموالهم لايطعن فيها طاعن وهذه صدقات النبي (ص) سبع حوائط (اي بساتين) وينبغي للمرء ان لا يتكلم الا فيما احاط به خبرا ثم قال الرهوني في نقله عن مقدمات ابن رشد وبهذا احتج مالك رحمه الله لما ناظره ابو يوسف بحضرة الرشيد فقال هذه احباس رسول الله (ص) ينقلها الخلف عن السلف قرنا بعد قرن فقال ابو يوسف كان ابو حنيفة يقول انها غير جائزة وانا اقول انها جائزة فرجع في الحال عن قول ابي حنيفة الى الجواز انتهى . على ان فقهاء المذاهب شددوا في وجوب اتباع شروط المحبسين حتى لم يجيزوا لامام المسلمين ان يحول الوقف عن شروط اصحابه ولو كان هو الذي حبسه بنفسه نيابة عن المسلمين ، فقد تكلموا على جواز تحبيس الملوك فاجازوا منها ما كان لمصالح عموم المسلمين وقد نقل القرافي من المالكية ما نصه : وقع للشافعية ولابن رشد في البيان ما ظاهره ان للامام (اي امير المسلمين) ان يوقف ومقتضاه ان اوقاف الملوك والخلفاء اذا وقفت على وجه الصحة والاوضاع الشرعية لمصالح المسلمين انها تنفذ ولا يجوز لاحد ان يتناول منها شيئا الا من قام بشرط الواقف ولا يجوز للامام بعد ذلك ان يطلقها لمن لم يقم بذلك الشرط لانه صار لازما للمسلمين ووقف الامام كسائر الاوقاف ولا يجوز تحويله عن تلك الجهة انتهى .

آثار مشاريع الاحباس في العالم الاسلامي :

ان من ينظر الى المؤسسات الخيرية في العالم الاسلامي يندهش من كثرتها وتنوعها الى ما يسند المساجد والقائمين بالشعائر الدينية فيها والى ما يصرف للضعفاء والعجزة وعلاج المرضى او ما يخص التعليم او يجهز مكاتبه حتى تستطيع اداء مهمتها

التهذيبية على اكمل وجه وغير ذلك مما جعل الحكومات الاسلامية تخصص لها وزارات خاصة او هيئات عليا تنظر في جميع شئونها وتحافظ على تراثها ، وكذلك اهتم علماء الشريعة الاسلامية بالاحكام الخاصة بالاوقاف واعطوها خصوصيات بعدم توفيتها الا بقبطة وعدم الحيازة عليها ولو طالت السنون ووقعت المواريث في رقابها ، وافرد كثير من العلماء التآليف في شانها او خصصوا لها ابوابا في كتب التشريع خاصة بها جريا على ما سنه رسول الاسلام العظيم سيدنا محمد (ص) .

واذا نظرنا الى المغرب نجد اهل المغرب والملوك والدول الذين تعاقبوا على المغرب كلهم كان لهم نصيب موفور في العناية بالاحباس وتوفيرها حتى تبقى مصالح الدين محفوظة بريعها وفي عهد الدولة العلوية بالخصوص نجد الحوالات الاسماعيلية والسلمانية وغيرها زيادة على تحبيسهم الشخصي تخبرنا بما بذلوه من مجهود وما ادوه من خدمات لهذه المؤسسة الاسلامية التي يرجع اليها الفضل في اسناد القائمين بالشعائر الاسلامية وباقي المؤسسات الخيرية .

وان المتتبع لنشاط وزارة عموم الاوقاف بالمغرب في ميدان بناء المساجد وتنمية مداخلها واستثمار المداخل الحبوسية وبالخصوص في استصلاح الاراضي وتشجيرها حسبما ينشر في نفس هذه المجلة من نشاط الوزارة في مختلف الميادين نقول ان من يتتبع هذا النشاط ليستبشر بالمستقبل الزاهر لمؤسسة أسلافنا العظيمة مما يسر بالمحافظة عليها كل مؤمن مخلص لبلاده حريص على ضمان حياة القائمين بالشعائر الدينية في امة المغرب العريقة في الاسلام والله ولي المومنين .

ان كنت تبغي للسعادة فاستقم
تنل المراد ، وتغد أول من سما

ألف الكتابة ، وهو بعض حروفها
لما استقام على الجميع تقدما

❋ ❋ ❋

الإسلام يهدف بمعتنقيه للحياة الجامعة بين قوة الروح والمادة

عبدالله الجراري

حفلت نصوص الاسلام وتعاليمه بالدعوة الى مواجهة الحياة والاهتمام بها على دعائم مهذبة مشروعة ، وحث على الاستمتاع بها اجابة لداعي الفطرة والطبيعة التي لا بد ان تسير سيرها المتزن ، وكان اهتمامه بها مدعاة لتأسيس الحياة نفسها . فقد اباح الاسلام التمتع بالطيبات والتجمل بوسائل الزينة في حدود القصد والاعتدال ، وحارب الرهبانية والتبتل والانصراف عن متع الحياة الطيبة ، فالاسلام في اهتمامه بالحياة يقف بها موقفا وسطا يدعو اليه ، وينفر من الجنوح الى احد الطرفين اللذين يكتنفان هذا الحد الوسط .

فقد دعا الاسلام الى الروحية المهذبة ، ونهى عن طرفيها التبتل والتكالب على المادة .

« ولا تغل في شيء من الامر واقتصد
كلا طرفي قصد الامور ذميم »

فالتبتل وما اليه من رهبانية وانصراف عن الحياة هو في الحقيقة موقف عداء وبغض للحياة فقد اتجه بعض الناس الى تنمية روحه فقط مائلا الى التبتل والعبادة والتحذير من الدنيا وتنفير الناس من موارد الخير فيها ، ودعا الى الصوم الدائم والزهد في متع الجسد كأنما يريد ان يسجن الناس في كهف مظلم حتى يفارقوا الحياة ، هذه الرهبانية نهى عنها الاسلام في قوله تعالى من سورة الحديد : « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله ، فما رعوها حق رعايتها »

اذ في هذه الرهبانية والعزوف عن الدنيا تعطيل قوى التفكير والارادة والعمل في الانسان وترك قوى الكون واسراره ومنافعه مهملة معطلة وقد سخرها الله للانسان :

« قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة» كما جاء في سورة الاعراف . وقال تعالى في سورة النحل : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون »

وروي عن انس بن مالك انه قال :

جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي ، فلما اخبروا كأنهم تقالوها — اي عدوها قليلة — فقالوا : واين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال احدهم : اما انا فاصلي الليل ابدا ، وقال آخر : انا اصوم الدهر ولا افطر . وقال ثالث : انا اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا . فجاء اليهم رسول الله فقال : انتم الذين قلتم كذا وكذا ؟

اما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له ، لكني اصوم وافطر ، واصلي وارقد واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني »

والتكالب على المادة والتغالي في حب الحياة هو الطرف الآخر الذي نهى عنه الاسلام كذلك فقد اشرب كثير من الناس حب المال الى درجة العبادة والتأليه ، وصرفوا قواهم الى الحصول عليه باي طريق ولو كان غير مشروع حبا في الطغيان والتفاخر والتكاثر ، فاغرقوا في المادية العمياء حتى صاروا عبيدا لها .

يقول الكتاب : « الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ، كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون »

وقد ضرب الله تعالى لذلك الامثال — من ذلك ما قصه في شأن صاحب الجنتين اللتين افتخر بهما على صاحبه وكانت عاقبته قوله جلت قدرته :

« واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها »

ومنه قصة قارون ونهايته : « فخسفنا به وبداره الارض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين »

وهكذا يكون التكالب على الحياة شرا ينهى عنه الدين ، لانه تسلط فردي ومغالاة في حب الدنيا ولا يلبث ان ينتهي بالكوارث .

« من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون»

فالاسلام يحارب الروحية البحتة لانها انصراف عن الحياة، ويحارب المادية البحتة لانها عبادة للحياة وفناء فيها ، ويدعو الى المادية المهذبة القائمة على التوازن بين حاجات الجسم وحاجات الروح ، فان السعادة الحق في استكمال حظي الجسم والروح معا ، ولكن في الحد الوسط يقول الله سبحانه :

« ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين »

وقد تعددت اساليب القرآن في الدعوة الى الحياة بقوة والسيطرة عليها ، وبالنظر في خلق السماوات والارض والتأمل في اسرار الكون وقوى المادة ، وان الله سخر هذا العالم للانسان، ودعاه الى استنباط الثروة من مكانه .

يقول الله تعالى في سورة النحل :

« والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ، ان ربكم لرؤوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ، ولو شاء لهداكم اجمعين ، هو الذي انزل من السماء ماء لكم فيه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ، ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ، وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ، ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه ، ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ، وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

فالحياة موضوع جوهري من موضوعات القرآن الاساسية التي اهتم فيها بالحياة ومواردها ومصادر الثروة فيها ، فقد تناولت هذه الآيات الكريمة بعض تلك الموارد الهامة على انها من نعم الله على العباد تدعوهم الى الايمان بقدرته وعجيب صنعه والاعتراف بوحدانيته .

بدأت الآيات بذكر الانعام الخاملة في مدلولها ـ الابل والبقر والغنم اذ هي خيار المال ـ ورأس الثروة ، ومنبع البركة والنماء ، واستخدم في الحديث عنها اسلوب الخطاب للتوجه مباشرة الى المخاطبين ـ فبين سبحانه انه خلق لكم هذه الانواع من الماشية تتخذون من جلودها واوبارها وشعرها واصوافها ملابس تدفئكم وتدفع عنكم عادية البرد وقسوة الطبيعة ، وتجنون ثمارا طيبة من نسلها ولبنها وعظمها وروثها وتعتمدون عليها في حرث الارض ، والحصول على الحب والثمار ، وتأكلون لحومها الشهية التي تبني الاجسام ، وتقر عيونكم بمنظرها الجميل فتجد فيها النفوس راحة ومتعة واطمئنانا وتذوقا للجمال حين تختال امامكم في مشيها غادية ورائحة تطلب المرعى او تسعى الى ورود الماء ، كما ان منها ركائب تحملكم وتحمل اثقالكم في السلم ، وتركضون عليها في الكر والفر وقت الحرب وهي الابل ، وخلق لكم دواب للحمل والركوب واتخاذ مظاهر الزينة والسلطان وهي الخيل والبغال والحمير ، انها عدتكم في الاسفار وسلاحكم المندفع في مواقع القتال ، ومتعة كبرى لنفوسكم في حلبة السباق ، ويخلق لكم وراء ذلك ما لا تعلمون من وسائل الحمل والركوب والقتال ـ كالسيارات والطائرات والبواخر والقطارات .

يقول سبحانه في سورة يس : « وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » فتأمل دقة التعبير بالمثلية في الآية .

تلك هي دلائل قدرته .

ومن تفضله عليكم ـ ان تكفل ببيان اقوم الطرق للهداية على يد انبيائه ورسله حتى لا تحيدوا عن الطريق المستقيم ومنكم من هو جائر ومائل عنها .

ومن موارد الحياة لكم ـ انزال الماء من السحاب المكون بقوانين ثابتة ، فجرى انهارا ووديانا على ظاهر الارض ، او امتصته ثم تفجر منها عيونا تفيض بالماء العذب (وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض) فتشربون وتسقون دوابكم وتروون زروعكم ، وتركبون الفلك في الانهار الجارية ، ان في ذلك تنبيها لكم لكي تعملوا الفكر وتدققوا النظر في عظمة الله .

ومن الموارد لكم الافلاك وحركاتها وما ينشأ عنها من الليل والنهار ، ودوران الفصول والاعوام لترتيب مصالحكم وتنظيم معايشكم ، ان في عالم الكواكب وتسخير الطبيعة لدعوة الى العقل ان يسترسل وراءها ويبحث في ظواهرها ومكنوناتها .

اما عالم الارض وما تخرجه بطونها واعماقها من حيوان ونبات ومعادن متباينة الالوان والاشكال ـ فذلك مبسوط امامكم مستقر بين ايديكم يدل في جلاء على قدرة البديع ويدعوكم الى الاستمتاع بالحياة التي خلقت لكم .

وسخر لكم البحار وعالمها العجيب ، وما لمحيطاتها من قوة جبارة وهيبة آسرة ، اذ هي من اعجب ملك الله في الارض ـ منها تستخرجون السمك الطري الطازج ، وتلتقطون اللؤلؤ والمرجان وما اليهما من الجواهر النادرة ، وفيها لكم زينة وحلية ومنافع ، وتجري بكم فيها السفن الضخمة وهي البواخر عابرة المحيطات تطوف بكم في عالم البحار فتكتشفون الآفاق وجوانب الارض ، ويصبح العالم في قبضة ايديكم في التجارة والرحلة والحروب ، ولتبتغوا وراء ذلك من فضله منافع اخرى كثيرة كقوى الماء في استنباط الكهرباء وتجفيف الملح ، واقامة الحضارات المختلفة على شواطىء البحار ، ولعلكم بهذه الموارد الحافلة تتوجهون بالشكر الى الله على ما انعم وتفضل منصرفين في نفس الظرف عن التبتل والرهبنة اللتين يأباهما الشرع وتنفر عن مساوئهما الطبيعة البشرية المخلوقة لتحيا حياة عملية ملاكها القوة والمتعة في حدود « لقد كان لكم في رسول اسوة حسنة » .

الرباط : عبد الله الجراري



جلال الدين الزيباني

الديـن الصحيـح هـو ما كان وحيـا من الله للمصطفى من خلقه لهدايتهم « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق » . والمتديـن حقيقـة ما ملـيء شعوره واحساسه بوجـود كائن اعلى علـوا مطلقـا خلق العالم ويعنى به ويدبر شؤونه وفق ارادتـه ، والتزم بما فرضه عليه من مظاهر وشعائر لعبادته وتيقن بان الله سيدينه ويجزيه فى الحياة الاخـرى بما فعل فى الدنيا .

والتدين ظاهرة اجتماعية نشأت من الفطـرة الطبيعية للفرد التي لا تحب ان تهيم فى الوجود دون ان تعرف مصدره والقوة المحركة له وكان للرغبـة والرهبة مع القوة العقلية والبيئية والظروف الاثـر الفعال لتحديد المعبود فى كل مجتمع من المجتمعات . ومن هنا عبد الانسان شتى القوى وكان تتابـع الرسالات لهدايته ولتوجيهه الى المعبود الحق والديانة الصحيحـة . وبعـد ان تزيفت اليهـوديـة وزاغت المسيحية جاء الاسلام خاتمـا للرسالات السماويـة بعقيدة التوحيد ودين الوحدة البشرية ، الحق فيـه هو الاسـاس والناس في الحق سواء والانسانية عنـده اخـا» .

الاسلام دين الوحدة الاسلامية

قام الاسلام على الوحدة فى كل امر وفى كـل شيء فى التوحيد ، فليس هناك آلهـة كمـا يـرى المشركون . ولا الهان كمـا يعتقـد الثنائيون بفارس (اله للخير واله للشر) ولا ثلاثة كما تعتقد طائفة مـن النصارى « لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا » « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة . وما من الـه الا الـه واحـد »

وفي الاديان السماوية ، جعلها وحدة واحـدة تواردت مطابقة لسنة التطور البشري « شرع لكـم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ومـا وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الديـن ولا تتفرقوا فيه » « قولوا آمنا بالله وما أنـزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقـوب والاسباط ، وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » .

وفي الشرائع والشعائر ، بمعنى انها كلها تتحد في الهدف : اقامة مجتمع اسلامي متضامن متكافـل « واعتصموا بحبل الله جميعـا » « انمـا المؤمنـون اخوة » « وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهـم مـاء غدقـا » .

ومن الوحدة الدينية اتجاه المسلمين اثنـاء الصلاة وجهة واحـدة وفي الصيام تفـرض عليهـم المساواة فى شعور واحد ، وفي الحج يجتمعون فـي صعيد واحد مجردين عن المظاهر ، والزكـاة فرضت على الجميع دون محسوبية او امتيـاز .

الاسلام دين الانسانية عامـة

يقـول الله عز وجل « وما ارسلناك الا رحمـة للعالمين » « وما ارسلناك الا كافـة للناس بشيـرا ونذيـرا » « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » « يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعـا » « يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين » .

واذا كان الاسلام دين الانسانية عامة فما هي الاصول التي اهلته دون غيره من بقية الاديان — لذلك ، من ينظر الى سفينة الحياة البشرية يجدها في تطورها كسفينة البحر كانت تسير بالمجاديف على سواعد البشر ثم تطورت واستغلت قوى الريح ثم تطورت وسارت بالقوى الحرارية . وكذلك البشر من بشرية بربرية متوحشة الى بشرية اجتماعية بسيطة الى بشرية متحضرة معقدة . ولهذا التطور اثره في الاديان ففي المرحلة الاولى من البشرية نزلت اديان كثيرة لربط اواصر الناس وتنظيم معاملاتهم المادية وكان اظهر هذه الاديان هو دين موسى عليه السلام، وتكونت المرحلة الثانية من البشرية وحرف اليهود دينهم وطغت عليهم المادية وفتكت بالاواصر الاجتماعية، فجاء عيسى بدين المثل الروحانية ، والتدين بالزهد ، والتحقير من قيمة الحياة الدنيا . ولكن الحياة في مرحلتها الثالثة وتطورها تعقدت مشاكلها واضطربت مرافقها فلم تستقر بمادية الدين اليهودي ، ولم تجد قرارها في رهبانية الدين المسيحي ولذلك جاء الاسلام جامعا مانعا معالجا للانسانية في كل مرافقها المادية ومستلزماتها المعنوية ومقوماتها الروحية « اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا » « هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » .

ففي الناحية المعنوية حث على الاخلاق الكريمة والفضائل الحميدة وفرض الشعائر لتدعيم هذه المثل « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » « الصيام جنة » « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » .

ولتقويم الانسانية وتنقيتها ينهى الرسول (ص) عن كل مايشوبها « لاتباغضوا ولا تحاسدوا ولاتدابروا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله اخوانا » « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » . ويوصي عليه السلام بالجار وينهى عن قول الزور ويحرم الكذب والبهتان والغيبة والنميمة ، ويامر بالتعاون على البر والتقوى، ويجعل من الكلمة الطيبة ومواساتك لاخيك في محنته واماطتك الاذى عن الطريق وقول المعروف كل ذلك صدقة مثلها مثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » والله واسع عليم . وغير هذا من الفضائل الانسانية في الشريعة الاسلامية ماتجل عظمتها كما وكيفا عن الاحصاء .

وفي الناحية المادية : شرع الشرائع ونظم المعاملات ووضع الحدود والزواجر لمن يخرج عن حدود الله فيمتهن كرامة الانسانية في شيء ويمتاز الاسلام بالكمال في هذه الناحية خلافا لغيره من الاديان والشرائع الوضعية حيث ان فلسفته التشريعية هي تقويم الحياة وقوامها ففي الناحية الجنائية مثلا نجد العقوبة في الاسلام تنطوي على عنصرين الردع او الزجر ، والعلاج او مكافحة الجريمة : فجلد الزاني غير المحصن ورجم المحصن حتى يموت امام الناس مظهر رهيب يجعل غريزة حب البقاء في الانسان لاتغامر بحياته امام شهوة مؤقتة ، ان لم يكن عنده من قوة الضمير ما يمنعه من الاعتداء وهذا بخلاف ما تسري عليه الشرائع الوضعية حيث وجدت حيوانية الانسان مجالا متسعا للاسفاف في هذه الناحية وفي كل النواحي الفاسدة . ثم ان العقوبة في الاسلام تمحو كل اثر للجريمة ، ولا يتطلب بعدها فترة اختبار لرد الاعتبار الا ما كان من شهادة الزور حسب الشروط الواردة في اهلها كما قال تعالى « الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا » . بعكس القوانين الوضعية ، يخرج المجرم بعد تنفيذ العقوبة منبوذ من المجتمع طريدا من رحمته مشكوكا في امانته ، تتازم نفس المجرم وقد يعدم وسائل الكسب التي تعينه على العيش الشريف فيضطر لارتكاب الجريمة او بالاحرى يضطر لاحترافها .

ومن عمومية الدعوة الاسلامية للانسانية عامة ما اشتملت عليه في كل مظاهرها الاجتماعية من تضامن وطيد بين افراد المجتمع ، يعلو هذا التضامن قوة عليا ترعاه وتحفظه « يد الله فوق ايديهم » « ما تمسك المسلمون بهذا التضامن اما لو دبت بينهم الخيانة وسرى الغش والخداع والنفاق « فمن نكث فانما ينكث على نفسه » « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا

ما بانفسهم » . هذه القاعدة العامة ان يد الله فوق ايدينا ما دامت ايدينا متحدة متضامنة متكافلة .
هذه بعض مظاهر عمومية الدعوة الاسلامية للانسانية عامة من الناحية الموضوعية اما من الناحية الشكلية فان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يراسل الملوك ويطلب منهم الاسلام وكانت مدرسته جامعة من كل الاجناس والالوان فابو بكر وعمر من قريش ، وابو ذر من تهامة ، وابو هريرة من اليمن ، وفروة بن معان من الشام ، وبلال من الحبشة ، وصهيب من الروم ، وسلمان الفارسي من فارس ، ورغم اختلاف الاجناس والالوان لم تنكر انسانيتهم من الاسلام شيئا ولا يتعمق في الاسلام باحث الا اعتنقه يقول الفيلسوف الامريكي الدكتور آرثركين « درست الاديان عشرة اعوام واخيرا اعتنقت الاسلام » ويقول الدكتور محمد يوسف موسى استاذ الشريعة الاسلامية بجامعة عين شمس « ان الاسلام نظام شامل كامل يحكم الانسان وتصرفاته في كل حالاته : في خاصة نفسه وفي علاقته بالله تعالى وفي صلته باسرته وفي صوالحه وعلاقاته المرتبطة بالمجتمع الذي يعيش فيه ، وفي علاقة الدول الاسلامية بالدول الاخرى . »

ويقول الله عز وجل « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ويبين جل شانه مدى ما تكون عليه السعادة الانسانية ومدى اتصالها به لو تمسكنا بكتابه فيقول « ولو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا » « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم » .

رب وفق عبادك للتمسك بكتابك والعمل بسنة نبيك وهب لنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا رشدا واوزعنا ان نشكر نعمتك التي انعمت علينا .

جلال الهادي الزلباني

الدعاء والقطران

مر الشعبي بابل قد فشا فيها الجرب ! فقال لصاحبها : « اما تداوي ابلك ؟ » فقال : « ان لنا عجوزا في الحي نتكل على دعائها ! » فقال : « اجعل مع دعائها شيئا من القطران ... »

واغربة الأديان ؟
ومن أين جاءت ؟!

محمد العربي الهلالي

لقد اكثر الناس الكلام فى حرية العقائد والاديان ، فلم يوفق الكثير منهم الى اصابة الهدف، بل جلهم ضلوا واضلوا ، واشتطوا فى النجعة ، وابعدوا ، وذلك حينما فهموا ان حرية الاديان معناها الفوضى ، وان كل واحد يمكن ان يكون له دين، وعقيدة تختلف ، بل تصادم عقيدة شعبه ، وقبيلته وعائلته، ولو كانت تلك العقيدة ضربا فى الهوس ، ونوعا من الجنون ، او احداث بلبلة فى الرأي العام ، وتهجم على عقائد الامة وتحطيم لدينها وعقيدتها، واذا زجر او ادب من يقومون بذلك الفساد العريض او حكم عليهم بنص القانون الحق ، ثارت الثائرة وكثر الضجيج ، واعول المعولون ، ورأينا الذين لا يؤمنون بالله والنبيين ، ولا بيوم الحساب ، يتمسكون بكل جدل ، ويبحثون عن كل شبهة لمقاومة الحق ، وتغطية الشمس بالشبكة ، فنراهم يلوذون بحقوق الانسان ، وبقانون منظمة الامم ، ويهددون تارة بان المغرب قد خالف روح العصر ، وخرج فيما ذهب اليه من عقاب المرتدين ، عن عرف العالم المتمدن ، ورجع باحكامه القهقرى ، الى غير ذلك من التضليل والتهريج الذي لا يجدي فتيلا ، ولا يغني من الحق شيئا .

ونريد ان نعلن لهؤلاء بكل صراحة ، باننا معشر المغاربة شعبا وحكومة آمنا بالله ورسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وآمنا بالقرآن والسنة المحمدية ، وانهما الدستور الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولسنا نرضى لانفسنا قانونا او نظاما غيرهما ، وايماننا بذلك اقوى من الصلب والفولاذ واثقل من ان تهزه اراجيف المبطلين ، واضاليل المضلين والمشعوذين .

ونحن حينما نومن بقرآننا وسنة نبينا ، وبجميع ما فى الاسلام من نظم وتعاليم قيمة ، نعتقد اننا فوق القوانين الوضعية الحالية ، وفوق المدنيات العصرية الحديثة الناقصة ، كما نؤمن بانفسنا واننا كنا متمدنين ولا نزال متمدنين ، بل المدنية منا بدأت والينا تعود ، ونحن معلموها الناس ، ويجب ان نكون فيها متبوعين لا تابعين ، كما يجب ان ندعو العالم الى ما عندنا لانه فى حاجة اليه ، ولان ما عندنا افضل من مدنيته وانفع ، فاذا كانت مدنيات الامم التي تتقدم بها الى اسواق العالم عقيقا براقا يجتذب الانظار ، فان مدنيتنا الاسلامية امام ذلك العقيق لؤلؤا ومرجانا وجواهر نفيسة ، لاننا بنيناها على تعاليم سماوية وبنوها على تجارب ارضية ويتبين ذلك فى كل نظم الحياة ونظرياتها، ومنها حرية الاديان التي رفعنا بها الصوت قبل ان يكون للغرب الاوربي وجود مدني فى الارض ، وحينما كان يتخبط فى ظلمات قرونه الوسطى كنا نعلن للناس حرية الاديان وحرية التفكير وحرية العمل ، وكفانا بالقرآن دليلا حيث يقول « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي)) وقال تعالى مخاطبا نبيه « افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)) اي ليس لك ان تكرههم على الايمان ، وقال تعالى ((لست عليهم بمسيطر)) وقال تعالى « وما أنت عليهم بجبار)) . وخالف يهود المدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكذبوه وعاندوه علنا فلم يحاربهم بل أقرهم على دينهم وعاهدهم ، واكثر من ذلك حسن معاملته للمنافقين الذين كانوا يحاربون رسالته فى الخفاء ويضمرون له العداوة ويتربصون به وبالمسلمين الدوائر ، وهو يعلم منهم ذلك حق العلم وقادر على عقابهم ، ولكنه اهملهم ومنحهم الحرية الكاملة ، ولما كان بعض الصحابة يستأذنه فى قتل بعضهم ممن كان يظهر عليهم النفاق والكفر ، كان عليه السلام يمنع قتلهم .

وذكر احمد امين فى كتابه ضحى الاسلام ، قال : « يقول الاستاذ « متز » ان مما يميز المملكة الاسلامية ، عن اوربا النصرانية فى القرون الوسطى ، ان الاولى يسكنها عدد كبير من معتنقي الاديان الاخرى غير الاسلام ، وليست كذلك الثانية ، وان الكنائس والبيع ظلت فى المملكة الاسلامية كانها خارجة عن سلطان الحكومة ، وكانها لا تكون جزءا من المملكة ، معتمدة فى ذلك على العهود وما اكسبتهم من حقوق ، وقضت الضرورة ان يعيش اليهود والنصارى بجانب المسلمين فأعان ذلك على خلق جو من التسامح لا تعرفه اوربا فى القرون الوسطى . كان اليهودي او النصراني حرا ان يدين بدينه ، ولكنه ان أسلم ثم ارتد عوقب بالقتل . وفى المملكة البزنطية كان عقاب من اسلم القتل » هذا قل من كثر من ادلة حرية الاديان وتاريخها واننا نحن الذين وضعنا اسسها واثبتنا قواعدها ، وجميع الناس عالة علينا ، الا ان الحرية الدينية الحق ليست كما فهمه كثير من جهلة العصر الذين ظنوا أن حرية الاديان معناها الفوضى فى الدين ، والزندقة والالحاد ، والتلاعب بالعقائد والمقدسات ، وكل ناعق نعق يجب ان نحترمه ، ونهتم لهرائه ، أو أن نسمح للحمقى والسفهاء ان يتخذوا الدين هزؤا ولعبا ، فيدخلون فيه ويخرجون ويبدلون ويغيرون حسبما تمليه عليهم أهواؤهم الضالة، وتفسخهم الخلقي حاشا وكلا ، لم يكن ذلك من حرية الاديان يوما من الايام ، ولا كان ذلك مفهوم هذه الحرية عند من له اثارة من علم، او بصيرة دينية ، وانما حرية الاديان التي بناها الاسلام واقرها ، وجعلها من سياساته الراسية هي : احترام اصحاب الاديان الاخرى غير الاسلام بان تعطى لهم حقوقهم كاملة سواء اكانوا مواطنين او زوارا او لاجئين او كيفما كانوا ، ومن حقوقهم ان لا يضطهدوا لكونهم غير مسلمين ، وان لا يكرهوا على الدخول فى الاسلام ، وان يعاملوا معاملة تتفق وكرامة البشرية ، وان يمارسوا عقائدهم ودياناتهم بكل حرية ، دون ان يتدخل احد فى دينهم كما كان ولا يزال واقعا لمجاورينا من النصارى واليهود والهنود وغيرهم من اهل النحل الذين يقيمون فى بلادنا فهم يمارسون عقائدهم وشعائرهم كانهم فى أوطانهم الاصلية، وهذه هي حرية الاديان التي جرى عليها المسلمون ، واقرها الاسلام منذ القدم .

اما ان يكون الدين الاسلامي وشرائعه عرضة لهدم الهدامين وسخرية للساخرين والسفهاء من المنافقين والاباحيين ، فلا : ثم لا : ثم لا : ولان ذلك لا يمت الى حرية الاديان باي صلة وحرية الاديان براء منه ، لانه انما يمثل الفساد والفوضى والتلاعب بمقدسات الامة وشعائرها ، وطعنا للفضيلة فى صميم فؤادها ، ونشر الرذيلة وتحطيما للاخلاق ولهذا اقتضت الحكمة صيانة العقائد والنظم الالاهية من تلك الفوضى وعبث المفسدين وعبيد الاهواء والشهوات فاتخذ عقوبات صارمة لمن يتجرا على الله ويحاول نشر الفساد بين خلقه ، وتقض عهده وخيانة وعده وميثاقه بعد ان اعطاه طيعا مختارا ، فجعل جزاء المرتد القتل كما في حديث ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) من بدل دينه فاقتلوه — رواه الجماعة الا مسلما ، وهذا هو الذي يمكن ان يضع حدا للعبث بالدين ، وتلاعب اصحاب الاهواء والشهوات . (ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما)

محمد العربي الهلالي

ديـن العجائـز

تجاوزت حد الأكثرين الى العلى ، وسافرت ، واستبقيتهم فى المراكز

وخضت بحارا ليس يدرك قعرها والقيت نفسي في فسيح المفاوز

ولججت فى الافكار ثم تراجع اختياري ، الى استحسان دين العجائز

تقي الدين ابن دقيق العيد

حول موسمي المعراج، وليلة النصف من شعبان ونقد الأحاديث الواردة فيهما

للأستاذ : أبي عبد الله

ان هذا الدين حفظ الله كتابه فلم يتطرق اليه تبديل ولا تغيير ، وهيأ الله لسنة نبيه طائفة من العلماء تنطق بالحجة وتنشر الشريعة الواضحة المحجة ، كما ثبت عن الرسول الاكرم من قوله : (يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

وضابط ذلك قوله عليه السلام (كل عمل ليس عليه امرنا فهورد) (اي مردود غير مقبول في الدين) .

وقد نشأت الحركة السلفية في العهد الاخير بعد طول غفوة المسلمين ترمي الى اعادة المسلمين الى اتباع هدي السلف الصالح قبل حدوث البدع ، وانتشارها ، وان تزيل عن الدين ما علق به ولم يصح انه منه . فلقد اتبعنا سنن من قبلنا في النزاع والتفرق في الدين حتى قال محمد بن ابراهيم الابلي العالم الزاهد الفيلسوف شيخ ابن خلدون والمقري (حسبما في الابتهاج) ان المقري سمعه يقول : (لولا انقطاع الوحي لنزل فينا اكثر مما نزل في بني اسرائيل لاننا اتينا اكثر مما اتوا .

وقد رأيت بمناسبة شهري رجب وشعبان ان اكتب على ما يدعيه البعض من مواسم فيهما ، فان كثيرا من الخطباء ، والوعاظ يتعرضون لليلة الاسراء ، باعتبار انها ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، وكذلك لليلة النصف من شعبان باعتبار انها ليلة تنسخ فيها الآجال ، حتى ان جماهير المسلمين صارت تسميها النسخة وصارت اغلبية المسلمين يعتبرون سابع وعشري رجب ، ونصف شعبان موسمين شرعيين .. شب على ذلك الصغير ، ودرج عليه الكبير ... وادركته العجائز وربات الخدور ، وما بلغ هذه المرتبة في الشهرة والذيوع يصير من العبث البحث في كونه مشروعا او غير مشروع ، فما بالك بالحكم عليه بكونه من البدع المحدثة في الدين .. فلذلك سكت عنه كثير من العلماء رغم اطلاعهم على ما فيه ، اعتمادا منهم على فكرة خاطئة حيث اشتهر ان اهل العلم يتسامحون في ايراد الاحاديث في الفضائل ، وان كان فيها ضعيف ما لم يكن موضوعا

وقد دخل على المسلمين من هذا الباب كثير من البدع في دينهم ، ويقابلها فكرة صائبة حازمة .. هي انه لا فرق في العمل بالحديث في الاحكام او الفضائل ، اذ الكل شرع كما سيأتي .. ولاجل اسداء النصيحة الى هؤلاء الخطباء والوعاظ اولا وبالذات ، ثم الى جمهور المسلمين ثانيا رأيت ان انقل هنا ما صرح به بعض حفاظ السنة النبوية من ان الاحاديث التي تروى في هذا الموضوع لم يصح منها اي حديث ، حتى لقد اصبحنا في حياء ممن يعرف حقيقة ديننا ، ثم يجدنا نسير على غير هداه ، وليفرض القارىء الكريم ان احد العلماء المتضلعين الذين عكفوا على دراسة الديانة الاسلامية ، فقرأ القرآن وكتب الاحاديث الصحيحة ثم طلع علينا فوجد المجتمع الاسلامي منشغلا بهذين الموسمين ، فانكر كونهما من الدين ، وطلب مناظرة خطباء المساجد والوعاظ في الحجج التي اعتمدوا عليها حتى القوا في اذهان جمهور المسلمين ان سابع وعشري رجب وليلة النصف من شعبان موسمان دينيان ، فماذا يكون جواب هؤلاء جميعا ... ان الحجج التي تسنده عمل هؤلاء الخطباء والوعاظ في الكتب المتداولة بين ايدي الطلاب والفقهاء جميعا ، وعلى طرف التمام كما يقولون ، وفي الكتب الصفراء المكدسة في خزائنهم ... وقد استمر انكار علماء الدين وحفاظ السنة لموسمية يوم المعراج وليلة النصف من شعبان قرونا عديدة ، فلم يسمع الكثير لنصيحة حفاظ السنة ، واستمروا على التمسك بالبدعة ، واليك ما سطره شارح مختصر خليل الحطاب المتوفى سنة 954 فيما يتعلق بوقت المعراج ، قال في كتاب الصلاة : (واختلف في وقت المعراج والصحيح انه في ربيع الاول ، قال النوري : في سبع وعشرين منه ، ووقع في بعض نسخ فتاوي النوري انه كان في ربيع الاخير ، وقيل انه كان في رجب ، وجزم به النوري في الروضة تبعا للرافعي ... وقيل في رمضان ، وقيل في شوال » .

وفي كثرة هذه الاقوال ما يشعر بانه لا توجد حجة صحيحة يعتمد الجميع عليها ، ثم ذكر الحطاب تعليقا على قول المختصر في الصيام ورجب وشعبان ما نصه : (لم يذكروا شيئا

يدل على صوم رجب بخصوصه الا قوله (صم من الحرم ، واترك) وقد ذكر جماعة احاديث في فضل صومه ، وفي النهي عن صومه ، وقد تكلم العلماء في ذلك واطالوا ، وقد جمع في ذلك شيخ شيوخنا شيخ الاسلام ابن حجر جزءا سماه : « تبيين العجب بما ورد في فضل رجب » . قال الحطاب : فرأيت ان اذكر خلاصته هنا فشرع في تلخيصه فذكر عن ابن دحية ما نصه : « ذكر بعض القصاص ان الاسراء كان في رجب .. وذلك كذب .. قال الحربي .. كان الاسراء ليلة سابع وعشرين من ربيع الاول ، ثم قال فصل : لم يرد في فضله ، ولا في صيامه ، ولا في شيء ، منه معين ، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجـــة ..

وقد سبقني الى الجزم بذلك الامام الهروي الحافظ رويناه عنه باسناد صحيح .. وكذا عن غيره ، ولكن اشتهر ان اهل العلم يتسامحون في ايراد الاحاديث في الفضائل وان كان فيها ضعيف ما لم تكن موضوعة » ... انتهى ، قال الحطاب : « وينبغي مع ذلك اشتراط ان يعتقد العاقل كون الحديث ضعيفا ، وان لا يشهر ذلك لئلا يعمل المرء بحديث ضعيف فيشرع ما لـم يشرع، او يراه بعض الجهال فيظن انه سنة صحيحة ، وقد صرح بمعنى ذلك الاستاذ ابو محمد بن عبد السلام ، ويحذر المرء من دخوله تحت قوله (ص) « من حدث عني بحديث يرى انه كذب فهو احد الكذابين) فكيف بمن عمل به ، ولا فرق في العمل بالحديث في الاحكام او الفضائل ، اذا الكل شرع ... انتهى بنصه ، وتأمل ما ذكره من الشروط في العمل بالحديث الضعيـف من اعتقـاد كونه ضعيفا ، وان لا يشهر ذلـك ، ولا يـراه بعض الجهـال فيظنه سنة صحيحة ، وهذه الشروط لا يتحقق واحـد منها ، لان الخطباء والوعاظ يذكرون تلك الاحاديـث ، ولا ينبهون على ضعفها او عللها .. ولا يفوتني هنا التنبيه على حديث (صم من الحرم واترك) فكثيرا ما يلهج به الخطباء ، على المنابر ، وقد تقدم ذكره عند الحطاب مع انه نقل عن الحافظ بن حجر فيمـا لخصه من كتابه ان في اسناده من لا يعرف ، والحق انه يجب الاحتياط التام عملا بما ذكره الحطاب اخيرا من انـه لا فرق في العمل بالحديث في الاحكـام او الفضائـل اذا الكل شـرع فاحسن احوال المومن ان يتبع ما ثبت وصح عن النبي (ص) وان لا يتعدى ذلك الى ما لم يصح عنه ففيما صـح غنى وكفايـة لو تمسكنا به ..

اما في ليلة النصف من شعبان فقال الحافظ ابو بكـر بن العربي في الاحكام عند قوله تعالى (انا انزلناه في ليلة مباركة) ما نصه : المسـألة الثالثة في تعيين هذه الليلة .. وجمهور العلماء على انها ليلة القدر ، ومنهم من قال انها ليلة النصف من شعبان وهو باطل لان الله تعالى قال في كتابـه الصادق القاطـع : « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن » فنص ان ميقات نزولـه رمضان ثم عبر عن زمانية الليل ههنا بقوله : « في ليلة مباركة » فمن زعم انه في غيره فقد اعظم الفرية على الله ، وليـس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه لا في فضلها ، ولا في نسـخ الاجال فيها ، فلا تلتفتوا اليها » .. انتهى بحروفه ..

وقال الشيخ علي محفوظ في كتابه : « الابداع في مضار الابتداع » : كل الاحاديث الواردة في ليلة النصف من شعبان دائر امرها بين الوضع والضعف وعدم الصحة ، فقد نقـل ابـو شامة عن ابي بكر بن العربي انه قال : « ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يساوي سماعه ، وكتاب الابداع وافق عليه جل علماء مصر المشاهير في هذا العصر ، وعلى هذا فالحافظ بن حجر، والحافظ الهروي وغيره مما نقل عنهم ابن حجر كلهم لا يحكمون بالصحة للاحاديث الواردة في رجب ، وابو بكر بن العربـي ، وابو شامة وصاحب كتاب الابداع ومن وافقه وقرظ كتابـه من علماء مصر لا يحكمون بصحة اي حديـث في ليلـة النصف من شعبـــان ..

ولكن خطباء المساجد لا يسمعون لحفاظ السـنة ولا للمتثبتين المصلحين من علماء الامة ، ويجرون على العادة وحسيبهم الله ، وقد كان الامام مالك رحمه الله يحبس من حدث عن رسول الله (ص) بحديث غير صحيح ... نقل ابن فرحون في ترجمة مالك عن ابن ابي اويس قال : « ما كان يتهيأ لاحد بالمدينـة ان يقول : قال رسول الله (ص) الا حبسه مالك ، فاذا مثل فيـه قال : يصحح ما قال ثم يخرج ، » ولو فعل هذا في الوقت الحاضر مع من يعظ الناس باحاديث غير صحيحة لتركت كثير من البدع، واضمحلت ، واتبعت السنن ، وشاعت بين الناس .

وعسى ان نرى من العلماء من ينصر هـذا الدين بالسـنن الواضحة الثابتة حتى تعود للحق صولته وللايمان نصاعته وقوته ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ..

الرباط : ابـو عبـد اللـه

ان الشهيـــد علـى الصعيـــد أعـــز مـن
كســرى ، اذا مـا ضمـــه ايـوانـــه



نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

وافتنا صحيفة ((التخطيط التربوي في البلاد العربية)) الصادرة في بيروت وفيها محاضرة للاستاذ رينه حبشه ، مصوغة في شكل بحث تربوي حسب زعم صاحبها ، ولكنها تحتاج الى تقويم ما فيها من تنكر للمقدسات وادعاآت لا تقوم على أي أساس علمي ، فأحلناها على الناقد الخبير السلفي المشارك الدكتور تقي الدين الهلالي ليتولى نقد المحاضرة ، والرد على ما فيها من مهاترات فوافانا بسلسلة من مقالاته القيمة سننشرها تباعا في مجلة : (دعوة الحق) معتذرين لحضرة الدكتور على عدم نشر طالعة مقاله الذي أطرى فيه القائمين على تحرير هذه المجلة .
والى القاريء الكريم الحلقة الاولى من هذه السلسلة .

اول ما ابدأ به حمد الله سبحانه على نعمة الاسلام ، التي اكرمنا بها في زمان الغربة ، غربة الدين والحق ، كما قال الشاعر :

وما غربة الانسان من شقة النوى
ولكنها والله من عدم الشكل

فأقول مستعينا بالله على رغم كل ختار كفور : سأقسم هذا النقد الى قسمين ، قسم علمي ، وقسم قومي ، على اني لا اتعرض لكل ما جاء في ذلك المقال ، وانما اقتصر على تلك العبارات الخبيثة التي اشار اليها وخط عليها الاستاذ المذكور .

العبارة الاولى . افتتح بها الكاتب مقاله وهي :

شرقنا العربي بحاجة الى تطوير عام مخطط . ولكي ندرك ذلك ، علينا ان نفهم ذواتنا و نتخطى العقبات التي تقف في سبيل هذا التطوير ، اما طاقات الانسان البناءة فهي ثلاث فئات :

1 ـ الطاقات الغريزية التي تحصر الانسان في اطار ذاته
2 ـ الطاقات العقلية التي تفتح للانسان الكون المنظور .
3 ـ طاقات الايمان التي تقيم الصلة بين الانسان وبين ما وراء المنظور .

ومضى الى ان قال :

اما تطوير الايمان بسيطرة الغريزة ، فهو يجتاز ازمة عميقة في بلداننا العربية نتيجة العلم الذي بدأ يشرح بعض الظواهر الطبيعية الغامضة ، والتي ساد الاعتقاد الخاطيء انها وظيفة الله . ان الايمان وليد الحرية ، فهو يمكننا من فرض بعض الادلة المنطقية على الفرد ، ولكنه لا يمكننا ابدا فرض الايمان . ولكن متى طغت الغرائز على خاصية الايمان انقلبت هذه الميزة المساعدة للتخطيط الى انانية وعنصر تفريق يمكن تسميته تعصبا .

ثم مضى الى ان قال : ان الايمان بشخص بشري ، او بالله يستهدف صلب الكائن الذي يستحق هذا الايمان ، وما ينطوي عليه هذا الكائن من بساطة ووضوح .

فليس من عمل اكثر مباشرة من الايمان . ثم مضى الى ان قال : فالمتعالي بالنسبة للغريزة هو المجهول والمغلق . وكلما زاد خوف الغريزة من امر ، ازداد اعتقادها بانه يستحق الايمان .

ولذا يجتاز اليوم الايمان بالله ازمة عميقة في بلداننا العربية . فبعد ان افترضنا ان فكرة الله يجب ان تشرح كل ما يبدو لنا غامضا ومغلقا في ظاهر الطبيعة ، وبعد ان رأينا العلم الحديث يشرح بسهولة هذه الظواهر عينها . شاع الاعتقاد بان ذلك انما هو انتصار للعلم على الايمان الديني ، وان الله لن يلبث ان يتقهقر يوما بعد يوم حتى يتبدد نهائيا .

وبما اننا نسبنا الى الله وظيفة ليست له ـ الله ليس ظاهرة لا متناهية الصغر او لا متناهية العظمة ـ اردنا ان نصلحه هو بانكاره نهائيا بدلا من ان نصلح ذواتنا . وربما اعتقد البعض انني احيد كثيرا عن موضوعي ، ولكن هل يظن ان من الصواب

بالنسبة الى حالتنا النفسانية وتربيتنا ان نقبل هذا التناقض الخاطئ بين العلم والدين . فنتعرض لفقدان قيم طالما كانت غالية على قلب شرقنا العربي .

اما الغريزة فتستثمر الايمان كسلاح وتستعمله كخطة . فلا اكثر مغايرة للايمان من التهديد ، او استعمال القوة ، الا ان الغريزة خوذة وترسا لأهدافها الهجومية . ولذا يقسوا الايمان بيد الله ، انه اعزل يعرض نفسه على حرشنا ، فتتخذ منه الغريزة خوذة وترسا لاهدافها الهجومية . ولذا يقسو الايمان في السياسة ويتصلب ، وبدلا من وسم الغريزة بروحانيته يتمثل هو بطابع الغريزة اللا عقلي . ان العاقبة التي تهمنا هنا هي ان الدين ، اذا تجمد في انفعالات الغريزة والخرافات التي لا طائل تحتها يعطي الغريزة ذرائع ــ ذرائع مقدسة ــ للبقاء في جمودها ولرفض كل تطور ، عوض ان يكون خميرة تقدم .

وبدلا من ان يكون الله سبب تقدم لا متناه ، يمسي علة جمود وركود لا حد لها . ان تربية مصابة بهذا الجرتوم لا بد من ان تتجه الى التعبد للماضي والتقليد ، بدلا من ان تتطور وتتكيف مع تغير الحاجات في مجتمع سلك طريق التصنيع .

انتهى ما اردنا نقله والرد عليه .

1 ــ قوله ، شرقنا العربي في حاجة الى تطوير عام مخطط .

اقول نحن موافقون على ان الشرق العربي والمغرب العربي كذلك ، وذلك ينتظم جميع العرب ، اذ ليس العرب محصورين في الشرق ، اقول نحن موافقون على حاجة الى التطور ضمن مجدهم وحسبهم وتراثهم العظيم ، وذلك كله يرتكز على الاسلام الذي هو مصدر حياتهم وعظمتهم ، فان العرب قبله لم يكونوا شيئا مذكورا ، فلم تكن لهم مدنية محفوظة ممتدة ولا حضارة ولا علم ولا عز ولا دولة ولا اجتماع ولا تعاون ولا شريعة يجتمعون عليها وتنتظم بها احوالهم ، بل كانوا عشائر متفرقة جاهلة همجية تعبد الاوثان وتئد البنات وتقتل اولادها للفقر او خشية الفقر . ومن كان له منهم شيء من الحضارة كان ذلك تحت سيادة الفرس او الروم ، وسائرهم متوحشون يقتل بعضهم بعضا ويسبي بعضهم بعضا . فلما جاء الاسلام صاروا سادة اهل الارض حكما وعلما وقوة وسلطانا ، وتغلبوا بقوة الايمان والاخلاق الكريمة على اكبر دولتين تجاورانهم الروم غربا ، والفرس شرقا ، وسادوا العالم في مدة لا تتجاوز خمسا وعشرين سنة . وهذه الثورة السليمة الخليقة المحمدية المباركة عديمة النظير في التاريخ كله ، قديمه وحديثه ، لا ينازع في ذلك الا مكابر متعسف يريد ان يستر الشمس بالغربال .

وبعد ما اعرضوا عن الاسلام فقدوا كل ما كان عندهم من عز ومجد وعظمة واجتماع وتعاون وسيادة ورقي ، حتى صاروا عبيدا لمن كانوا تحت حكمهم . وهذا ايضا مسلم ، يعرفه كل من يعرف شيئا من تاريخ العالم عامة ، وتاريخهم خاصة . واذا تسامحنا وتنزلنا الى لغة هذا الكاتب ، نقول ، ان ذلك كان اعظم تطور عام مخطط . ولو استمر العرب على ذلك المنهاج لما فقدوا شيئا من سعادتهم وسيادتهم وعظمتهم . والاسلام الذي كان سبب حياتهم ، ثم كان تركه وبالا عليهم وتخلفا وانحطاطا هو وحده الكفيل باسترداد مجدهم وعظمتهم وقوتهم وسعادتهم ، لا اعني الاسلام بشكله الحاضر ، ولكني اعني الاسلام بالشكل الذي دعا اليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونفخ به روح الحياة باذن الله في العرب . والاسلام لا يتنافى مع التقدم في المدنية والحضارة والعلم والعدل . والدليل على ذلك ما انشأه العرب وسائر المسلمين من مدنية وحضارة ، وما خلفوه من علوم خالدة باقية يشع نورها في جميع المعمور من الارض . وهي مقدسة عند العلماء المنصفين من جميع الامم . اما التطور الذي معناه انكار الماضي واهماله والانسلاخ من القومية والعلم والدين، واضاعة التراث العظيم ، وتقمص تطور محدث مبني على غير اساس ، او على شفا جرف هار ، فانه ينهار باهله في نار جهنم ويشقي اهله في حاضرهم ومستقبلهم . بل هو داء العرب الذي قعد بهم عن التقدم والرقي والسير في ركب الحضارة . والدين المبدل هو من اكبر العوائق عن كل تقدم واصلاح واجتماع وتعاون . قلت ان بناء التطور على غير اساس التراث المجيد هو سبب تأخر العرب . برهان ذلك ان الدول العربية غير متمسكة بالشريعة الاسلامية كما كان اسلافها متمسكين بها علما وعملا وانقيادا وطاعة . فغالب ما حرمه الاسلام هو حلال في قوانينهم . وكل ذنب اوجب الاسلام العقاب عليه هو مباح في تلك القوانين ، لا يخشى مرتكبه نكالا ، يفعل جهارا من غير خوف ولا وجل ، حتى الردة عن الاسلام وسب مقدساته لا يخشى مرتكب ذلك مؤاخذة . ودليل ذلك صدور مجلة تشتمل على ما نقلناه اعلاه في بلد اغلب سكانها مسلمون ، وطائفة منهم نصارى ، والزنادقة منهم الذين لا يدينون لا بالاسلام ولا بالنصرانية قليلون جدا . فادعاء كاتب المقال المنقود ، ان الايمان بالله يعوق العرب ويمنعهم من التطور والتقدم ، هو اختلاق من بنات غيره . واذا ثبت ان الاسلام وحده هو سبب حياتهم وانتقالهم من الشقاء والجهل والفقر والتخاذل وغير ذلك من الامراض الاجتماعية الى اضدادها ، وثبت ان اعراضهم عن الاسلام هو سبب انحطاطهم وبلوغهم الى الدرك الاسفل من الضعف والتأخر ، والتاريخ اصدق شاهد ، فلا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها . واذا كان غير الاسلام من الاديان البعيدة عن العقل التي لا تمس حياة الانسان الاجتماعية لا من قريب ولا من بعيد لم تمنع المتمسكين بها من بلوغ غايات الرقي والتقدم ، فكيف يمنع من ذلك الاسلام الذي هو نصير العقل والعلم والحرية والعدل والمساواة. وقد جرب العرب الاعراض عن الاسلام وشريعته عشرات السنين فلم يزدادوا الا خبالا ، فما يريد منهم هذا الكاتب ؟ لا شك ان وراء الاكمة ما وراءها ، فلعله يريد ان يدخلهم في ايمان جديد ودين جديد يزيدهم خبالا ووبالا فيحرم عليهم البقية الباقية من حرية الاعتقاد وحرية العمل وحرية التنقل

وشيء من حرية القول ويجعلهم انعاما سائمة يرعاها ذئب مكشر انيابه للافتراس . ولعمري ، ما هو بناصح ولا امين . وانا اقول بعكس ذلك : جربوا ايها العرب الرجوع الى طريقكم الاول ، الى المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك ، جربوا ولو سنة واحدة ، تجدوا انكم لا تسعدون اليوم الا بما سعدتم به امس .

2 ــ قوله ، اما طاقات الانسان البناءة فهي ثلاث فئات :

1 ــ الطاقات الغريزية التي تحصر الانسان في اطار ذاته

2 ــ الطاقات العقلية التي تفتح للانسان الكون المنظور

3 ــ طاقات الايمان التي تقيم الصلة بين الانسان وبين ما وراء المنظور .

اقول : هذا التقسيم غير صحيح ، فالايمان ليس قسيما للغرائز والعقل ، وانما هو ثمرة العقل نفسه ، اذا اجتمع معه الالهام والتوفيق . فان المدركات ، تنقسم الى قسمين ، حسي ، وهو ما يدرك هو او مادته بالحس ، ويدخل فيه الخيالي كقول الشاعر : وهو ابو بكر احمد بن محمد بن الحسن الصنوبري .

وكـــــأن محمـــــر الشقيـــــ

ـــق اذا تصـــوب او تصعـــد

اعـــــلام يـــاقـــوت نشـــر

ن على رمـــاح مـــن زبرجـــد

فرايات الياقوت على رماح الزبرجد خيال لا وجود له في الخارج . والقسم الثاني ما يدرك بالعقل ، كالعلم والحياة ، فانهما لا يدركان بشيء من الحواس . ويدخل في العقل الوهمي ، وهو ايضا غير مدرك بشيء من الحواس الخمس ، مع انه لو ادرك ، لم يدرك الا بها ، كقول امرئ القيس :

ايقتلنـــي والمشرفـــي مضاجعـــي

ومسنـــونـــة زرق كانيـــاب اغـــوال

فان الغيلان وانيابها لا تدرك بالحواس الخمس ، ولو ادركت ، لم تدرك الا بها . وهذا تقسيم صحيح للمدركات ، وانت ترى ان الايمان ليس منها . اما كون الايمان يعطي صاحبه قوة لا يجدها بدونه فصحيح . وقد اعترف الكاتب بان الموجودات قسمان ، منظور وغير منظور ، حيث قال : اما طاقات الانسان البناءة فهي ثلاث فئات :

1 ــ الطاقات الغريزية التي تحصر الانسان في اطار ذاته

2 ــ الطاقات العقلية التي تفتح للانسان الكون المنظور.

3 ــ طاقات الايمان التي تقيم الصلة بين الانسان وبين ما وراء المنظور .

فما ذا يعني هذا الكاتب بغير المنظور ؟ وما ذا يعني بطاقات الايمان التي تقيم الصلة بين الانسان وبين ما وراء المنظور ؟ . اليس الله سبحانه هو مما وراء المنظور ، وان طاقات الايمان على حد تعبيره تقيم الصلة بين الانسان وبين الله تعالى ، وكذلك مما وراء المنظور ، الجزاء الاخروي ، وهو اثابة المحسن وعقاب المجرم . وتعبيره بالمنظور وغير المنظور فاسد ، لان المنظور هو واحد من المدركات بالحس ، وبقيت اربعة اشياء تحس ولا تنظر ، وهي المسموعات والمشمومات والمذوقات والملموسات . ولكننا لسنا بصدد مؤاخذته على فساد العبارة ، وانما نؤاخذه الآن على فساد المعاني ، ونؤخر انتقاد المباني الى القسم الثاني . ونقول له اذا كنت ماديا لا لا تؤمن الا بما يدرك بالحواس الخمس كالحيوان الاعجم ، فما معنى الكون غير المنظور ، على حد تعبيرك الفاسد ، او غير المحس ، على حد التعبير الصحيح . وهناك نوع آخر من المدركات يدرك بالوجدان ، كاللذة والالم ، يضاف الى الاقسام المتقدمة الذكر ، ويرى بعض العلماء ان للانسان حاسة سادسة باطنة . وسينكر فيما بعد وجود الله تعالى ، حيث يقول : ولذا يجتاز اليوم الايمان بالله ازمة عميقة في بلداننا العربية . وحينئذ نورد عليه من البراهين القاطعة ما يحتم عليه الايمان بالله ، او المكابرة والجحود المفضوح . وجحده لوجود الله في هذا الموضع ينقض ما تقدم من قوله « ان طاقات الايمان تقيم الصلة بين الانسان وبين ما وراء المنظور » .

ومن المعلوم ان الغرائز يشترك فيها الحيوان الاعجم مع الحيوان الناطق . وقد فضل الله الانسان وكرمه بالعقل كما قال تعالى في سورة الاسراء 70 (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ولا تزال الغرائز في صراع ونزاع مع العقل ، فمتى تغلب الغرائز على العقل وسيطرت عليه التحق الانسان بالحيوان الاعجم كما قال تعالى في سورة الانفال 22 (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) صدق الله العظيم ، ان الدواب الانسانية التي تغلبت غرائزها على عقولها فلم يبق لها من الانسانية الا الصورة والشكل ، شر من الدواب العجم التي لا عقل عندها يكبح جماح غرائزها ويهديها الى الحق ويقيم لها البرهان عليه . ومتى تغلب العقل على الغرائز وسيطر عليها سار في طريق الكمال الانساني حتى يصل الغاية القصوى، وهي العلم والمعرفة . واول ما يدركه العقل بعد تغلبه على الغرائز التي يشترك فيها مع البهائم معرفة ان هذا العالم العجيب المتقن الصنع في دقة ونظام لا يكاد العقل يدرك كنههما ، لا بد له من صانع مبدع متصف بصفات عالية لا تشبه صفات المصنوع . ولا يقبل العقل المتغلب على الغرائز دعوى المصادفة . وهي ان كل ما نرى وندرك بسائر حواسنا من اسرار هذا الكون وعجائب احكام صنعه لم توضع له خطة سابقة ولا منهاج ولا تدبير ، وانما

وجد على سبيل الاتفاق ، وليس وراءه مدبر ولا موجد ، وقد نشأ بلا علم ولا حكمة ، حتى لو اراد العقل الحر الذي لم تستعبده الغرائز ان يجبر نفسه ويرغمها على قبول فكرة المصادفة ، لم يقدر على ذلك ابدا ، لانه بعد تغلبه على الطباع الحيوانية يصل الى درجة من العلم والايمان لا يدخلها الريب ابدا ، فكما انه لا يعقل ان ضرب سبعة في سبعة ينتج اربعين او خمسين بدلا من تسعة واربعين ، فكذلك لا يستطيع ان يتصور وجود صنعة محكمة في غاية الدقة توجد بلا صانع . وستأتي الامثلة على ذلك في موضعها ان شاء الله .

3 ـ قوله : اما تطوير الايمان بسيطرة الغريزة فهو يجتاز ازمة عميقة في بلداننا العربية ، نتيجة العلم الذي بدأ يشرح بعض الظواهر الطبيعية الغامضة ، والتي ساد الاعتقاد الخاطىء انها وظيفة الله ، الخ .

اقول : انما تسيطر الغريزة على عقول الجاهلين امثال هذا الكاتب الذي يهرف بما لا يعرف ، ولو سألناه عن هذا الشيء الذي يجحده ، وهو معرفة الله ورسالة رسله وما جاءوا به من النور والهدى ، هل تلقى في ذلك ، ولو درسا واحدا ، وهل انعم النظر فيه وقتله بحثا وتحقيقا ليرد عليه ردا محكما ويضع النقط على الحروف كما يقولون ، ويفصل القول تفصيلا ، ويقيم البرهان على مدعاه ، لوجدناه فارغا كالطبل يخوض فيما لا يعلم ويخبط خبط عشواء ، في ليلة ظلماء .

والدعـــاوى مـــا لـــم يقيمـــوا عليهـــا
بينـــات ابنـــاؤهـــا ادعيـــاء

فقد ادعى في هذا المقال دعاوي كثيرة دون ان يقيم عليها برهانا واحدا ، وكأنه يظن ان العرب اطفال كلهم ليس فيهم عالم ولا حكيم ولا عاقل ، حتى تروج عليهم خزعبلاته ، الا مثله ما سولت له نفسه ، واوهمه وسواسه .

خـــلا لـــك الجـــو فبيضـــي واصفـــري
ونقـــري مـــا شئـــت ان تنقـــري
لا بـــد مـــن اخـــذك يومـــا فاحـــذري

والشذاذ الملحدون من الامريكيين والاوربيين يسربأون بأنفسهم ان يقدموا على انتقاد دين عظيم دان به الوف الملايين من الحكماء والعلماء في قرون متطاولة دون ان يدرسوا ذلك الدين درسا دقيقا ويستخرجوا منه المواضع التي يلبسون بها على قرائهم ويتخذونها شبهات لمدعياتهم . اما « زني الحبشي » فلم يكلف نفسه عناء الدرس والبحث والتحقيق ، بل اقتحم البحر بلا فلك ولا آلة وقاية من الغرق ، فغرق في بحر تتلاطم امواجه ، فلا لعا له اذ عثر ، لانه تقليدا كفر .

وادعاؤه ان الايمان يجتاز ازمة عميقة ، الخ . تهويل وتضليل ، فان البلاد التي يرفع اهلها رايات العلم بحق من اوربا وامريكا لا يزال اهلها متمسكين بدينهم ، لا يتساهلون فيه ابدا، وقد جبتها في الصيف الماضي فقط من اسبانيا الى الاراضي القطبية في اقصى شمالي نرويج ، حيث لا تغيب الشمس لمدة ثلاثة اشهر فرأيت القوم في ايام الآحاد يعطلون الاعمال ويؤمون الكنائس صبيانا وشبانا وكهولا وشيوخا ، ذكورا واناثا . ولو اطلع مطلع في سجلات الاشخاص ومديريات النفوس وسجلات الكنائس ، لما وجد من الخارجين على الكنيسة الا عددا ضئيلا جدا ، لا يزيد على واحد الى اثنين في المائة في الشعوب العظيمة التقدم في العلم والمدنية ، كسويسرة والمانية وبريطانية والشعوب السكندنافية . وهؤلاء الخارجون على الكنيسة ليسوا كلهم ملحدين . فاكثرهم اخرج منها مضطرا وحرم وطرد لمخالفته لبعض قوانينها كتزوج الكاثوليكية برجل بروتستانتي مثلا ، او الامتناع من دفع ضرائب الكنيسة امتناعا كليا ونحو ذلك . وترى في كل جامعة كلية اللاهوت تحتل اسمى مكان في الجامعة . وجميع الاساتذة يحضرون صلوات كنيستها في الاحتفالات المهمة . ويتخرج في هذه الكليات كل سنة عدد كبير من الدكاترة فيتولون اعمالهم ووظائفهم في الكنائس والاعمال الدينية ، ولا يبقى احد منهم عاطلا . فاذا كانت الشعوب المتقدمة في العلم والحضارة قد تركت التدين والايمان ، كما يزعم هذا الداعية المضلل ، فلماذا تؤسس المدارس الدينية من رياض الاطفال الى الجامعة في تلك الشعوب الحرة الديمقراطية . ولا توجد مدرسة خالية من دروس الدين في المانيا ، ولا تقبل الكنيسة ان يتولى تدريس الدين في المدارس كلها الا قسيس مجاز يقدر ان ينوب عن الكنيسة في مراقبة التعليم الديني في المدارس ويصلي بالتلاميذ كل يوم في قلب المدرسة ويلزمهم الحضور الى الكنيسة في كل يوم احد ، ومن لم يحضر يعاقب . بل آل الامر بهم في التمسك بدينهم الى ان اجبروا الحكومة ان تهيء للتلاميذ مدارس كافية على حسب اعتقادهم في البلدان التي تختلف عقيدة سكانها ، بعضهم كاثوليكيون ، وبعضهم بروتستانتيون ، يجب على وزارة التعليم ان تهيء نوعين من المدارس ، للكاثوليكيين مدارسهم الخاصة بهم ، وللبروتستانتيين مدارسهم الخاصة بهم . اذ لا يسمح اب كاثوليكي ان يتعلم اولاده في مدرسة بروتستانتية ، ولا أب بروتستانتي ان يتعلم ابناؤه في مدرسة كاثوليكية ، سواء أكانت ابتدائية او ثانوية ، وامهات التلاميذ كذلك . واذا وجدت قرية جميع سكانها على احد المذهبين الا نفرا قليلا لا يستحقون ان تبنى لهم مدرسة يأمرهم آباؤهم وامهاتهم ان يركبوا في القطار ويتوجهوا الى مدرسة توافقهم في الدين .

ومن الاسباب التي حملت الكاثوليكيين في المانيا على الانضمام الى اليهود في عداوة هتلر وحزبه توحيد التعليم الذي قامت به حكومة هتلر . ولم تقم به بقصد محاربة الدين ، وانما قامت به لغرض سياسي ، وهو تربية جميع الناشئين والناشئات على العقيدة الهتلرية ، وهي الاشتراكية الوطنية ، او القومية ،

اذا اردنا الدقة في التعبير . وقد كان هتلر متمسكا بالدين ، لم تصدر منه قط مضادة له ، الا انه كان يكره بعض قوانين الكنيسة ، ككنز الاموال والذخائر في الكنائس وعدم انفاقها في مصلحة الشعب ، والتفرقة في مناهج التربية والتعليم . وكان ذلك كافيا لا يقاد نار العداوة والبغضاء في قلوب رجال الكنيسة الكاثوليكية واتباعهم . ولو ذهبنا نورد البراهين على تمسك الاوربيين بدينهم ، بل يبالغ في ذلك بعضهم الى حد التعصب المقوت ، لطال بنا القول . فما بال هذا التمسك لم يضر الاوربيين شيئا ، ولم يجعلهم متأخرين ، واقتصر ضرره فقط على اهل الشرق العربي ، مع تهاونهم للدين . الم يجد « رني الحبشي » الاعجمي الاسم ، ولعله اعجمي المسمى ايضا ، لم يجد ما ينصح به العرب الا ان يحضهم على ترك الايمان بالله والتهور بالسب والشتم للمقدسات بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير . اراهم كاملين في جميع العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخلقية ، ولم ير فيهم نقصا الا التمسك بالدين ؟ ام هو احد معاول الهدم والتخريب والفساد من المأجورين الذين يريدون الخرق توسيعا ، والطين بلة ، اولئك عبيد اعداء العرب ، بل عبيد الدينار والدرهم ، ودعاة زيادة الفوضى والتفرق والشتات

جمعني مجلس في بون ، في السنة الماضية ، مع الاستاذ الدكتور اندري ، استاذ علم الحياة في احدى الجامعات الالمانية المتقاعد ، فقمت مع شخص يرافقني ، فصلينا المغرب والعشاء قصرا وجمعا ، فمنذ قمنا للصلاة وقف ، وبقي واقفا الى ان اتممنا الصلاة ، وهو في غاية التأثر والخشوع ، فلما انصرفنا من الصلاة قال لي ما معناه بترجمة دقيقة (اعتراني خوف اجلال عند مشاهدة صلاتكما . ثم قال لي ، اني لست قسيسا ، وما عرفت الله وآمنت به ايمانا كاملا راسخا الا بدراستي لعلم الحيوان والنبات ، ولا يزال هذا العالم حيا يرزق .

فاين « رني الحبشي » وسفسطته الباطلة من كلام العلماء المحققين .

ان الايمان بالله وآياته الباهرة التي تدل على عظمته وعلمه وحكمته ، لا يجتاز اي ازمة عند اهل العلم والايمان ، ولكن الشرق العربي هو الذي في ازمة شديدة لن يجتازها ولن يخرج منها ما دام فيه امثال هذا الكاتب الذين يزيدونه خبالا بخدمتهم لأعدائه الطامعين وبلبلتهم لأفكار اهله بتعميدهم نشر الفوضى الفكرية والفساد وتضليل العقول . واذا فتشت تجدهم ممن دسهم اعداء العرب في صفوف العرب ليوسوسوا في صدورهم ويمنعوهم من التفكير الجدي في اصلاح التربية في بلادهم ، وما اكثر هؤلاء المفسدين في بلاد العرب ، فقد شقيت بهم البلاد واهلها ، فلسان حالها ينشد :

زعم العواذل انني في غمرة
صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

والغريزة لم تسيطر على اهل العلم والايمان بالله وآياته، وانما سيطرت على الدجاجلة المفسدين ، فهم كالمكاريب تتبع الامراض وتفتك بالجسم المريض حتى يجيء الطبيب بالدواء فيقضي عليها . فما هي الظواهر الطبيعية التي شرحها العلم وانكرها الايمان ، اذكر لنا واحدة منها ان كنت صادقا . ؟ فهل قال الايمان ان الشمس تطلع من المشرق ، فجاء العلم المزعوم ووجد انها تطلع من المغرب ، ام قال الايمان ان الموت حتم على الانسان والحيوان ، فجاء العلم المزعوم فمحا الموت واثبت الخلود ؟ ام قال الايمان ، ان الحيوان لا بد له من الغذاء ومثله النبات ، فجاء العلم المزعوم فاثبت ان الحيوان والنبات يعيشان بلا غذاء .

يقولون اقوالا ولا يعلمونها
اذا قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

ونحن نتحدى هذا الكاتب ان يذكر لنا مثالا واحدا يؤيد به ما ادعاه حتى نرد عليه بالتفصيل ونلقمه الاحجار . اما الدعاوي الفارغة المجملة المبهمة ، فهي شأن المهوشين ، ولا تضر اهل العلم والايمان ، كما لا تنفع اعداء العرب والاسلام . وقد مضت عشرات السنين على هذا الشرق العربي ، والمهوشون ، والمأجورون المجهولون يروجون امثال هذا الهراء فلم يستطيعوا ان ينقضوا حقا ولا ان يثبتوا باطلا .

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

بفيك الجنادل ، ان الله ليس بفكرة يفترضها مفترض ، بل هو خالق السموات والارض ، فكل ما بدا فيهما فهو بعلمه وحكمته ، وهو الذي خلقه واوجده واتقن صنعه . وكذلك العقول التي انكشف بها ذلك السر هو خالقها ومدبرها (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ؟ ام خلقوا السموات وارض بل لا يوقنون .

(يتبع)





الثقافة في خدمة المجتمع

للأستاذ : أحمد زياد

لقد أصبح شعار هذا العصر هو : « الثقافة في خدمة المجتمع » ، وهو شعار ما كان ولن يكون للثقافة في المغرب ان تحيد عنه .

مجتمعنا في حاجة الى خدمات ، والى خدمات متواصلة ، لانه مجتمع يقف على باب تحول عميق — أو على الاصح — يجب ان يقف على مثل هذا التحول .

مجتمعنا مجتمع فلاحي واكثريته من الفلاحين، هذا امر مفهوم ومعروف ، وفي وسع الثقافة أن تكون مرآة لهذا المجتمع ، بل ان من واجبها ان تكون مرآة له ، وذلك بواسطة تشخيص هذا المجتمع تشخيصا حقيقيا وكما هو بدون تزييف ولا تزوير

وكلما تطور المجتمع الا وتطورت الثقافة معه في التفكير والشكل والاسلوب والمواد .

فاذا كانت الثقافة في بلاد اخرى قد وصلت اليوم الى معرفة تحليل الفضاء وتبيين مظاهر التنافس فيه ، فان ثقافتنا ما تزال في حاجة الى ان تظل ملتصقة بالارض لتنتزع منها تفكيرها وشكلها ومادتها، وتلقي اضواء كاشفة على هذه المواطن الذي يقف عليها ، ولن تتطور الى ثقافة في مستوى الثقافات المتقدمة الا اذا اصبح مجتمعنا هو ايضا في مستوى المجتمعات المتقدمة .

ان الثقافة المرتجلة والمفتعلة والمصطنعة والمقلدة لا تستطيع ان تقوم بدورها في خدمة المجتمع الذي تنتج فيه وتقدم اليه . وهو على حق في أن يعرض عنها كل الاعراض ، ويصد عنها كل الصدود لانها لاتتجاوب مع نفسيته .

ففي مجتمعنا بيئة خصبة للقصة المغربية ، والقصة عنصر فعال في خدمة المجتمعات التي هي على ابواب تحول اجتماعي ، ذلك لان القصة تستطيع ان تبرز مكامن الداء ، وانا لا اعني هنا بالطبع الحكايات التي يسمونها قصصا او القطات — كما يقولون — ولكنني اعني القصة التي تتوفر على عناصر القصة باجمعها لتكون قصة ولتكون في الوقت نفسه عرضا لحالة او عدة حالات .

ومجتمعنا ميدان اخصب لاجراء دراسات اجتماعية واقتصادية فسيحة الارجاء طويلة النفس ، علمية الاسلوب — بقدر الامكان ، وقد تكون حاملين لشيء غير قليل من اللوم والتوبيخ — ان لم اقل لشيء غير قليل من العار ، وذلك حينما نجد انفسنا ما نزال نعتمد في دراستنا لمجتمعنا على احصائيات قديمة وضعها الاجانب الذين كانوا يعنون بأمر هذا المجتمع بقصد تجميده والابقاء عليه كمجتمع بدائي ، ثم انه من شيم هذا العصر العمق في دراسة المشاكل ، فلقد انتهى عصر السطحيات والزهور التي تشم ولا تفرك ليحل محله عصر التعمق والتأني في دراسة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية .

ولكي تسير ثقافتنا في هذا النهج وعلى اصول هذا المنهج فلا بد من أن نعيش الاحداث ونتتبعها فيما تدور به المطابع من دراسات وابحاث وخصوصا منها ما يتعلق بوضعيات الشعوب النامية وان المطابع لتتحرك بنشاط متواصل فيما يتعلق بهذا الميدان وذلك لكي نستعين ولكي نكون مالكين للمعدات التي تتطلبها دراسة مشاكلنا دراسة عميقة ومستفيضة ومفيدة بعد ذلك .

والعصر الحديث يتميز بخاصية املتها التطورات المتواصلة التي مرت بها الامم والشعوب وهذه الخاصية هي ان السلطة الاقتصادية هي السلطة الحقيقية في عالم اليوم ، وان كل من يتوفر عليها هو الذي يستطيع توجيه الاحداث او يساهم في توجيهها على اقل تقدير

فالشعوب النامية مثل المغرب لم تعد مغلوبة على امرها سياسيا كما كان الحال من ذي قبل ، ولكنها مغلوبة على امرها اقتصاديا ، ولهذا يكون لزاما علينا نحن الدول النامية ان نبحث عن سلاح العصر الذي هو السلاح الاقتصادي ، وهذا السلاح يتجلى اكثر ما يتجلى في مستوى الدخل القومي وبالمقارنة بين ما ينتج ويستورد ، فالشعوب المنتجة هي التي تملك السلاح ، بينما الشعوب المستوردة هي التي تقتل به في بعض الاحيان .

هذه حقيقة اليوم ، وهذه حقيقة الساعة ، وعلينا نحن المثقفين ، وعلينا نحن الذين نملك شيئا من وسائل التبليغ ان نفهم هذا الامر للفلاح والعامل والطالب في بعض الاحيان وعلينا ان يتجلى ذلك فيما نكتبه ، حتى يستطيع ما نكتبه أن يكون متجاوبا مع نفسية المواطن المغربي الذي ما يزال اعزل من هذا السلاح العصري .

ويمكن ابراز هذه الحقائق وما يتصل بها في المقالات التحليلية المركزة وفي القصة التي تتوفر على الوسيلة والغاية وفي القصيدة التي لا تصور للفلاح الدنيا وهي عبارة عن جنات تجري من تحتها الانهار بينما هو يعيش في جحيم وسقر .

انا ثقافتنا يجب ان تكون معبرة عن مشاعر الجماهير ويجب الا ننسخ مشاعر الاخرين لنقدمها الى مواطنينا كما انه يجب علينا ان نقتبس من المناهج والافكار غير ان هنالك فرقا فيما بين الاقتباس والمسخ الحرفي .

ولهذا يمكن ان تكون ثقافتنا في خدمة مجتمعنا حتى تكون مسايرة لشعار العصر الذي تعيشه .

والواقع اننا ما نزال متارجحين في اتجاهنا الثقافي كما نحن متارجحون في امور اخرى ، والواقع أن وسائل التثقيف ما تزال ضعيفة في بلدنا ، بل وما تزال هزيلة ، والواقع مرة اخرى ان وسائل النشر الغير التجاري التي تكون مجندة لخدمة المجتمع لا يعنى بامرها في بلدنا وياللاسف .

فنحن نعاني ازمة متعددة الجوانب في وضعنا الثقافي ، بعضها يتصل بفقدان الشخصية المغربية فيما ينتج وينشر ، وبعضها يتصل بقلة القراءة ، بينما البعض الاخر منها يتصل بهذا السوق الكاسد الذي يحز منظره في النفوس .

ولهذا فاننا ما نزال في حاجة الى المزيد من عناصر الثقافة ، وما نزال في حاجة الى نضال من نوع آخر ، يفرض سلطة الثقافة فرضا ، على اننا لا ننكر الجهود المتواضعة التي تبذل وتذكر فتشكر الا أن هذه الجهود يجب أن تكيف بالكيف الذي من شأنه أن يجعل الصلة وثيقة فيما بين الكاتب والجمهور ، ولا يتاتى ذلك الا اذا كان ما يكتب متجاوبا مع نفسية هذا الجمهور .

ان اسم نجيب محفوظ قد لمع من خلال عشرات الاسماء في الجمهورية العربية المتحدة ، ولسبب واحد وهو أن نجيب يكتب للجمهور ويستمد مادة كتاباته من واقع الجماهير وحياتها ، وان الغذاء الفكري شأنه شأن الغذاء الجسمي ، فهنالك غذاء الجماهير وهنالك غذاء المترفين ، وثقافتنا وبيئتنا ما تزال بعيدة على أن تعنى بأمر المترفين .

واعتقد ان هذا المحصول الفكري المتواضع الذي « تجود به بعض القرائح » الفينة بعد الاخرى يستطيع ان يحدد اتجاهنا الثقافي لنستطيع بعد ذلك أن نجعل ثقافتنا في خدمة المجتمع ومساهمة في تحويله ، وذلك بتوعيته وفتح اعينه على ما يجري حوله من احداث في مجتمعات اخرى .

الرباط : احمد زياد



العنصر الإسلامي في الكوميديا الإلهية

الدكتور عبد الله أنيس الطباع

تعتبر الالعوبة الالهية La Divinia Comedia اعظم اثر كتبه شاعر ايطاليا دانتي اليري بعد رحلة ما ورائية ممتعة الى السماء والجحيم وما بينهما .

كانت انطلاقة الشاعر الخلاقة المبدعة بعد حلم عميق ، وبرفقة ملهمته بياتريس التي طافت به في الاجواء التي ابدعها الشاعر وهو ما زال في دنياه .

عاد دانتي من رحلته واجوائه ليكتب للناس رسالته التي خلقته شاعرا واديبا وفيلسوفا خالدا ورفعته الى طبقة كبار المفكرين القلائل فى الآداب العالمية .

الحقيقة ان فكرة الالعوبة الالهية لدانتي شاعر فلورنسا لم تكن جديدة بالنسبة الى الفكر العالمي يومئذ ، فمن المؤكد ان الادب العربي قد حفل بمثل هذه الرحلة الماورائية ، وان الخيال العربي قدر له ان يبرع فى التصوير والعرض ، والاخراج .

ان هذه الرحلة كانت تعتبر حدثا فكريا ، برز فيه الادب العربي الى مصاف الآداب العالمية الخالدة واكسبت الخيال العربي المقومات التي افتقدتها آداب الجاهلية وصدر الاسلام الاول .

ليس من شك ان فكرة الالعوبة الالهية لشاعر فلورنسا لم تكن ابداعية في كل معطياتها بالرغم مما ذهب اليه انصار الشاعر ، اعجابا به واكبارا لخياله .

اطل دانتي على الدنيا في النصف الثاني للقرن الثالث عشر الميلادي ، بعد ان غاب عنها ، ابو عامر بن شهيد ، ومحي الدين بن عربي ، وابو العلاء المعري ، وكلهم كان قد انطلق الى العالم الآخر في رحلة ما ورائية او شطحات صوفية ، وحاول ان يقدم صورة لقوة خياله ، ودقة نقده ، وسعة اطلاعه .

لقد اضحى من الثابت اليوم ان فكرة هذه الرحلة الماورائية عند دانتي الايطالي ، وملتون الانكليزي وفي شطحات ابن عربي ، ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد ، ورسالة الغفران لابي العلاء المعري انها تتكيء على فكرة الاسراء التي حيكت حولها معراج النبي صلى الله عليه وسلم الى السماء .

هذا ، وما دام الادب العربي لم يعرف هذا الخيال المبدع الا بعد الاسلام فبديهي ان يكون اصحاب هذه الفكرة قد التمسوا في الاسراء منطلقهم الى العالم الماورائي . فضلا عن ان الفونسو العاشر العالم ملك اسبانيا كان قد امر بترجمة معراج النبي من العربية الى الاسبانية ، واللاتينية فالفرنسية ، وذلك قبل مولد دانتي بثلاثة قرون ، الكتاب الذي نشره في مدريد سنة الف وتسعمائة وتسع واربعين الاستاذ خوسه مونيوس سندينو .

ان سياق الالعوبة الالهية متناسق ومنسجم مع كل فكرات وموضوعات المعراج الاسلامي .

من هذا الواقع العلمي بالذات قدر للعالم الاسباني المستشرق ميجل آسين بلاثيوس ان يؤكد في كتابه « الاصول الاسلامية للكوميديا الالهية » La Exatologia Musulmana en La Divinia Comedia والذي نشره في مدريد سنة الف وتسعمائة وتسع عشرة « اننا نجد في الادب الاسلامي مفتاح جانب كبير مما استطاع الناس — وما لم يستطيعوا تفسيره من المسائل المتعلقة بالكوميديا الالهية » .

لا غـرو ان معجزة الاسراء قـد هيات اخيلـة الكتاب والشعراء لابداع هذه الاساطير التي ذاعت بين الناس ابتداء من القرن التاسع للميلاد ، ثم زاد عليها اهل الدين ، والتصوف والادب من العرب واضفـوا عليها ثوبا شاعريا فيما تلا ذلك من العصـور .

ان النبي الذي يحكي قصة اسرائه هو الــذي اوحى لدانتي ان ينسج على منواله كل الموضوعـات والمشاهد ، والاحاديث ، وان يلقى فهدة وذئبا علـى مخرج جهنم كما يقود فرجيل الشاعر القديم دانتـي الى بستان الليمبو مقام الابطال والعباقرة من اهـل الاعصر القديمة ، تماما كما جاء فى اساطير المعـراج من حديث الخيتعور شاعر الجن بينه وبين الرحالـة العربي فى حديقة كثيفة الشجر بين السماء والنار .

لو قـدر لنا ان نستعرض كـل الفكرات التـي جاءت فى رسالة التوابع والزوابع لابي عامر بن شهيد، وفي الفتوحات المكية لابن عربي ، وفي رسالة الغفران لابي العلاء المعري ، ومن ثمت فـي الالعوبـة الالهيـة لدانتي ، والفردوس المفقود لملتون ، لالفيناها قــد استقيت من ينبوع المعراج الاسلامي .

ان الاناشيد الجميلة التي خلدت شاعر فلورنسا كعبقري ، ومزجت الشعر بصور ابداعية قد لا تقوى الترجمة على تجسيد معانيها منسجمة مع الجـرس الموسيقي ، هي المقاطع ، والتصاوير ، والحقائق فـي كل ما ورد في الاسطورة العربيـة التـي استمـدت موضوعها من سور ، الاعراف ، وق ، ومحمد ، وغيرها.

لقد كانت فكرة الانتقال الى ما وراء هذا العالم ، والمصير بعد الموت ، والحساب على الخير والشر في خيال الانسانية منذ اعماق التاريخ ، كما كانت نتيجة حتمية لنمو ضمير الانسان وشعوره بالقوة الالهيـة التي اوحت اليه ان هذا العالم الارضي ليس هو سوى قنطرة يعبر عليها ابن آدم الى العالم الآخـر .

وهكذا نجد ان تاريخ مصر القديمة وتاريـخ البابليين والكلدانيين ومذهب زردشت ، والبوذيـة الهندية والاساطير الاغريقية لم تخـل من تصويـر للعالم الآخر ، كما ان الكتب السماوية للاديان الثلاثة الكبرى قد افاضت بابـداع هـذا العالـم الماورائـي وتصـويـره .

ليس بدعا ان دانتي وقد اطل على العالم بعد ان سبق لمفكري العربية ان يرسموا له الطريق الى الجنة والنار وما بينهما ، وقد قدر لهم ان يطلوا من نافـذة المعراج والكتب السماوية وفكـرات العالـم القديم ، قلت ليس بدعا ان يكون دانتي قـد توكأ حتمـا على العنصر العربي يوم قرأ ترجمة (La Escala de Mahoma) التي نقلت الى الاسبانية واللاتينية والفرنسـية .

لا ضير فى ان يكـون دانتي شاعر فلورنـسا قد تلمس طريق الصحراء بين المسجد الحرام والمسجـد الاقصى المقابل لمصعد الملائكة ، فيما يقول كعب الاحبار

وتأمل السماء طويلا على مدى عروج النبي الى السماء وطلع على الناس من بعـد برحلته الماورائيـة الخالـدة في الادب الانسانـي .

الدكتور عبد الله انيس الطباع

النار فاكهة الشتاء

النـار فاكهـة الشتـاء فمـن يـرد
اكـل الفـواكـه شاتيـا فليصطـل
ان الفـواكـه في الشتـاء شهيـة
والنـار للمقـرور افضـل مـاكـل

نجيب محفوظ
أو الكاتب العربي الذي يكتب عن مجتمعه

للأستاذ : محمد زنيبر

- 2 -

القصة والعقدة

الاحتفاظ ببعض الملامح الطريفة للقصة العربية كما تراءت لنا صورتها الاولى في الف ليلة وليلة ؛ النظرة المستوعبة والواعية الى الواقع الاجتماعي في مشاهده المختلفة وتطوراته الضرورية ؛ هاتان هما السمتان اللتان انطبعت بهما رواية نجيب محفوظ ، كما راينا في المقال السابق ، فتولد من تمازجهما نوع من القصص يضم الى الاصالة العربية فنا جديدا ، جديرا بأن يكون له مكان ملحوظ وسط النماذج العديدة للقصة المعاصرة في الآداب العالمية .

ونحن عندما نبرز هاتين السمتين ، بصورة خاصة ، لا نكون في الحقيقة الا قدمنا بعض الانطباعات الاولى عما بقي في نفسنا من قراءة نجيب محفوظ . او هي عناوين كبرى تحتاج الى فصول وتحليلات واسعة . لان فن الروائي العربي بتنوعه وخصبه ومفاجآته لا يترك لنا المجال لنحيط به في كلمات محدودة ، بل انه ككل انتاج قيم يتطلب دراسة عميقة ، تتناول الموضوع من جوانب متعددة . والناقد ، مهما اجتهد ، يشعر دائما امام الاثر الادبي النفيس بانه لم يقل كل شيء وان هناك لمحات لم يهتد اليها ولربما كانت من نصيب ناقد آخر .

ومن الاحسن ، اذا اردنا أن نعرف فن نجيب محفوظ عن كثب ، ونقف على مزياه ، ان نعيش معه التجربة الروائية فى احدى قصصه الكبرى . وافضل ما نختار له في هذا الصدد ثلاثيته وهي رواية متكونة من ثلاثة اجزاء مستقلة ذات عناوين مختلفة : « بين القصرين » و « قصر الشوق » و « السكرية ».

واختيارنا لهذه الرواية دون غيرها يبرره اتساعها وتعدد فصولها . بحيث أن حجمها يعطي للكاتب فرصة لاظهار كامل براعته في التاليف والتنسيق واطلاعنا على مسالكه واساليبه الفنية ، هذا بالاضافة الى ما اثارته من تعاليق مختلفة عند نقاد الادب لكون الكاتب جمع فيها فأوعى . وهكذا ستكون دراستنا للثلاثية كافية لتجلو لنا ما ينطوي عليه انتاج نجيب محفوظ من مزايا وعيوب في آن واحد .

تحليل « الثلاثية » .

ومن الصعب ان لم نقل من المستحيل تقديم تحليل عن الرواية لانها ليست ذات عقدة واحدة ، بل هي مجموعة من القصص المتداخلة المتشابكة ترمي الى تصوير حياة عائلة متوسطة الحال بالقاهرة ، ولكل بطل من ابطالها مغامراته الخاصة به التي لا ينقطع سيرها الا عندما يكون اللقاء العائلي في البيت حيث تفرض التقاليد على الجميع قواعدها الصارمة . والرواية بعد هذا تصوير لعقلية ثلاثة اجيال متعاقبة: جيل الآباء الذين عاشوا في ظل النفوذ الاستعماري معتدين بماضيهم واثقين من نفوسهم لايشعرون بأي مركب ازاء الاجنبي راكنين الى اسلامهم وعقيدتهم ، وان عصوا واستهتروا . وجيل الابناء الذين تعلموا في المدارس الجديدة واتصلوا بثقافة الغرب ومذاهبه الفلسفية والاجتماعية ، فخرجوا شاكين حيارى لا يستطيعون أن ينعموا براحة الايمان التي كان عليها آباؤهم ولا أن يجدوا لانفسهم نقطة ارتكاز اخرى يتخذون منها دعامة معنوية وروحية . فهم فى ملتقى

عالمين متنافرين يبحثون ويفكرون ويعيشون في اثناء ذلك ولا يبقى بين يديهم من صحيح الا هاته الملذات العابرة التي تهبها الحياة . وجيل ثالث نشأ في ظل الحياة العصرية وبين اصداء الوعي الجديد والفكر الحائر ؛ فكان عليه ان يتجاوز المتناقضات وان يختار وان يؤمن بما يختاره . فهو اذن جيل الاختيار والاقتناعات والمواقف الصريحة التي ينغمر فيها الشخص انغمارا لا رجوع فيه ويتحدى مصيره . فهو جيل يضم الاخ المسلم الذي لا يرى في غير الاسلام حلا لمشاكل المجتمع والعالم والشيوعي الذي يقاوم مخلفات الماضي ويسعى لانشاء مجتمع جديد والانتهازي الذي لا يؤمن الا بنفسه وبما تتوصل اليه يداه .

فالجيل الاول يمثله التاجر السيد احمد عبد الجواد الذي يراس اسرة محترمة ، تعيش في ظل التقاليد الاسلامية . فالابناء والبنات على السواء يؤدون فرائضهم الدينية . والام امينة لاتفتر عن ذكر الله ، وكل همها ان تسعد اولادها ، في صمت وليونة ورفق . ويخيم على البيت سمت من الوقار والحياء . لان الوالد احمد عبد الجواد ذو هيبة وشخصية ، مطاع الاوامر ، مسموع الكلمة ، لايبتسم ولا ينطلق الا نادرا .

ولكنه حينما يذهب الى متجره ينقلب الى رجل ظريف وكريم يستقبل الزبناء ببشاشة وينشر حوله العطف والاعجاب . فاذا انتهى من عمله في المتجر ، انصرف الى اصدقائه الذين ينظم معهم مجلس انس وخلاعة . فما شئت من شراب ومغنيات وضحك ونكت ، وعند السحر يعود الى بيته مخمورا حيث تستقبله امينة الزوجة الصالحة المستسلمة التي لاتنبس ببنت شفة ولا تخاطبه الا بسيدي . وهكذا كان ديدنه كل يوم . وقد حدثت له مغامرات غرامية اثناء حياته اللاهية .

واما الجيل الثاني فيمثله اولاده ياسين وفهمي وكمال وخديجة وعائشة . ولم يكن ياسين على حظ كبير من الثقافة . ولكنه كان ذا مزاج مرح ونفس تواقة الى الهوى والمنادمة . وقد ادت به شهواته الغرامية الى ان تزوج ثلاث مرات كانت آخرها مع زينب العوادة التي عرفها في ظروف مريبة . وبخلاف ذلك فهمي الذي اقبل على الدراسة حتى اوشك ان ينتهي منها . وصادف ان دخلت الحركة الوطنية المصرية في طور حاسم بعد الحرب العظمى الاولى .

وبرز سعد زغلول كزعيم للامة المصرية وكناطق بمطالبها . وكان فهمي من الشبان المتحمسين الذين يشاركون في التنظيمات والمظاهرات وانتهى به الامر الى ان سقط صريع الرصاص الانجليزي .

بهذه الحادثة المؤلمة يختم الجزء الاول من الثلاثية وبها كذلك تدخل حياة الاسرة في مرحلة جديدة . فقد تركت جرحا اليما في نفس الاب الذي هجر حياة اللهو لمدة طويلة والذي كبر ابناؤه الصغار في هذه الاثناء . فهذه عائشة وخديجة تتزوجان . وهذا كمال يصير شابا متقفا يخالط اقرانه من كبار العائلات الارستوقراطية ، ويختلف الى بيت آل شداد بك للاجتماع بصديقة حسين شداد . وهنالك عرف اخته عايدة التي ربيت تربية اروبية وصارت فتاة احلام لشاب غرير مثله . واغرم بها وانتعش في نفسه الامل بالتزوج منها ؛ سيما وقد كانت في حديثها تظهر له نوعا من العطف والتقدير . لكنه فوجيء في الاخير لما علم انها مخطوبة لاحد الشبان الارستوقراطيين المعينين في السلك الدبلوماسي .

وكانت خيبة مريرة بالنسبة اليه ، جعلته يثور ويكفر بعد ان كان مؤمنا . ومنذ ذلك الحين وهو منطو على جرحه والمه ، لا يجد عزاء الا في الكأس وفي مطالعة كتب الفلسفة وتحرير المقالات في بعض المجلات ، دون ان ينقذه هذا النشاط من الحيرة والبلبال .

وعاد السيد احمد ، وهو في طور الكهولة ، الى حياة اللهو والسمر وركب مغامرات غرامية جديدة ، لكن صحته بدات تفتر ، وقلبه لم يعد يحتمل الكحول، وشعر بنذير الخطر لما سقط يوما صريع ازمة قلبية ، حيث حمل الى منزله في حالة اغماء ومنع عليه الطبيب العودة الى حياته القديمة . ولم تكن هذه الا بداية للنكبات التي ستتوالى على هذه الاسرة ؛ حيث سيختم الجزء الثاني بمرض وبائي يودي بحياة زوج عائشة وابنيها

وينفتح الجزء الثالث على عالم ينهار وآخر يحل مكانه . فهؤلاء الاشخاص الذين رايناهم في الاول اقوياء واثقين من انفسهم صاروا اشباحا ضعيفة تدعو الى الرثاء . فالاب اصبح قعيد البيت وقد نال منه المرض وعائشة الارملة الثكلى عادت صديقة الحزن والذهول ، واصدقاء احمد عبد الجواد شاخوا وصاروا يتاهبون للموت . واسرة آل شداد بك يصيبها الافلاس وتنزل الى حضيض الفقر .

وفي اثناء ذلك يكبر الاحفاد ويطلبون نصيبهم من الحياة ويريدون ان يفرضوا وجودهم . فهذا رضوان ابن ياسين بعد ان ينهي دراسته تساعده الظروف على التعرف بأحد اقطاب الوفد ، فتنفتح له ابواب الادارة والسياسة ويساعد بعض اقاربه على الدخول الى الوظيف . وهذا عبد المنعم تجتذبه دعوة الاخوان المسلمين فيصير من انصارهم وهذا اخوه احمد يقتنع بالمباديء الشيوعية فيصبح من المناضلين في سبيلها . وينتهي الامر بالاخوين المناضلين الى دخول السجن دفاعا عن مبادئهما .

كل هذا ، وكمال الحائر لايزداد الا حيرة وترددا، فلا هو استطاع ان يخرج من فلسفته الى فكرة يؤمن بها ، ولا هو امكنه أن يقدم على الزواج ، بالرغم من تقدم سنه والحاح الجميع عليه . فهو وسط افراح العائلة واحزانها يعيش بقلب طيب ، ويعطف على الجميع ويرى الكل يتجدد شيء في حياته من حين لآخر بينما هو واقف في نقطته الاولى لا ينطلق ولا يتراجع . ويشاهد حوله سلسلة من الفواجع . فالاب يموت ، والام تموت ، وعايدة التي الهمته أصدق حب واطهره تموت .

من العقدة الى الترجمة

ذلك تحليل مقتضب ناقص عن ثلاثية نجيب محفوظ . فقد اكتفيت بابرز الحوادث واهمها . والا ، فان هنالك عالما من الاشخاص والمغامرات المتنوعة التي لا يمكن معرفتها الا بالاطلاع على الرواية ، وهنالك جو اجتماعي قوي طريف لا يسمح مثل هذا التحليل باعطاء اي صورة عنه .

وكما ذكرنا فالرواية ليست ذات عقدة واحدة ، بل يمكن القول انها غير ذات عقدة بالمرة . ولعل نجيب محفوظ اراد ان يقلد الواقع حتى في هاته الناحية ، لان الواقع المعتاد لا يقدم لنا عقدا من النوع الذي نجده في الرواية التقليدية . والحقيقة ان العقدة وسيلة فنية تساعد الروائي على ترتيب الحوادث وتوجيهها وعلى حصر اهتمام القاريء في تتبعها وانتظار حلها بتشوق . فهي وسيلة لخلق جانب من الاغراء في القصة ولرفع درجة التوتر تدريجيا بين الاهواء الجامحة والخلافات الناشبة ، بحيث تكتسي الاحداث نوعا من الرهبة والروعة . والروائيون من تمثيليين وقصصيين قد استغلوا العقدة ، كل على قدر عبقريته ، وخرجوا منها بروائع فنية خالدة . ولكن الشيء الذي يجب ان لا يغيب عن البال هو أن العقدة مجرد اداة تقنية في الرواية ، ولا تستطيع وحدها ان تكسبها قيمتها الادبية . بل انها ليست ضرورية ، اذا استطاع الكاتب أن يجد وسائل أخرى لبعث الجاذبية والاغراء في قصته . واحسن الروايات اتقانا من ناحية العقدة هي الروايات البوليسية ، ولكن من يستطيع الادعاء بانها تحل في صف ممتاز في عالم الآداب ؟ نعم ، هنالك روايات بوليسية امكنها ان تقع في عين الرضا لدى الادباء والنقاد ، ولكن ذلك لم يأتها من العقدة وحدها ، بل من مزاياها الفنية والانسانية .

وبوسعنا أن نناقش نجيب محفوظ في خلو ثلاثيته من عقدة صحيحة ، ولربما وجد من بين النقاد من يدخل هذه الظاهرة في حساب اخطائه الفنية . ولكن في مستطاعه ان يدافع عن الطريقة التي انتهجها ويقدم لنا حججا وجيهة تبرر اختياره . وفي رايي ان المقياس الصحيح الذي يخول لنا ان نفصل بين الموقفين هو ان نبحث في صلب الرواية عن المواطن التي يظهر فيها ضعف بسبب انعدام العقدة .

ولو اردنا ان نطبق هاته الطريقة بما يجب من التعمق والاستقصاء متتبعين الرواية فصلا فصلا ، لكان في ذلك تطويل لايناسب المقام ، ويكفي ان نقول ان الاجزاء الثلاثة ليست كلها في مستوى واحد من حيث الحبك القصصي والتركيز في تسلسل الاحداث . واعتقد ان الجزء الاول والثاني يتفوقان كثيرا عن الجزء الثالث « السكرية » من هاته الناحية.

ولعل السبب في ذلك يرجع الى كونه جزءا ختاميا والخاتمة هي اصعب شيء في الرواية . ففي الجزئين الاولين نشاهد ميلاد القصة وتطورها ونتعرف الى ابطالها ، وكان الكاتب يتمتع بحرية كبيرة في خلق اشخاصه وتكييفهم ، لكنه لما انتهى من هاته العملية التي استغرقت « بين القصرين » و « قصر الشوق » وجد نفسه سجينا لهذا العالم الذي اخرجه من العدم مقيدا بالوجود الذي منحه لابطاله مضطرا الى مراعاة شخصيتهم وطبائعهم وظروفهم ، متسائلا باستمرار ماذا سيكون مصير هذا الشخص ومآل هذا الآخر . وهذا المصير لا يقرر ، بالطبع ، الا في الجزء الاخير . ولذلك فنحن نشعر ، عند مطالعتنا

لـه ، بشيء من التقطع في سياق الحوادث وبشيء من التراكم في سرد نهايـة الابطـال . كمـا ان الصراع الفكري والمذهبي الذي يتخلل فصول هذا الجـزء يدخل شيئا من الفتور على حركة القصة وحيويتها . فهي وقفات مفيدة من الوجهة الفكرية ولكنها تقطـع خيط الرواية وتنال بعض الشيء من انسجامها .

وليس معنى هذا انه كان يجب التخلي بالمـرة عن تصوير الصراع المذهبي الذي عرف بـه الجيـل الثالث ، بل انه من اهم عناصر الروايـة . ولكـن الملاحظة تتجه الى طريقة الاداء الفنـي . لقـد عالـج دوستويفسكي موضوعا من هذا القبيل فـي روايتـه الشهيـرة « المـوسـوسـون » Les possédés فاستطاع ان يعرفنا بهؤلاء الاشخـاص المشغوفيـن بافكارهم الثورية دون ان يلجا الى اسلـوب العـرض المـدرسـي .

ولكن نجيب محفوظ ، بالرغم من هاته الملاحظة استطاع في الجزئين الاولين ، بصورة خـاصـة ، ان يخلق جانبا من الاغراء والجاذبية ، يشعر بهما القاريء وهو يتتبع فصولهما الممتعة . ولا يضيرهما انعـدام العقدة في شيء ، فقد اتخذ طريقة تراجـم الرجـال المعروفة عندنا . ونحن عندما نقرا ترجمة اي شخص، لا ننتظر دائما العثور على عقـدة ؛ وبالرغم من ذلك ، فقد لا تخلو التراجم من المتعة القصصية .

(يتبـــع)

سـلا : محمـد زنيبـر

عربـي ذكـــي

يحكى ان رجلا من العـرب ، بايع ان يشرب علبـة لبـــن ، ولا يتنحنــــح .

فلما شـرب بعضه كده الامـر ! فقال : كبش أملـح .

فقيل لـه : ((ما هـذا ؟)) تنحنحت . قال : من تنحنـح ، فــلا افلـــح .

الالهام في الادب

للاستاذ: عيسى فتوح

لو رحنا نعرف الالهام لقلنا « انه التعبير السريع الخفي عن الاشياء » ، وبغير السرعة والخفة لا يكون وحي ، لانهما شرطان اساسيان في عملية الالهام التي تجري في جو يسوده الانفعال والتوتر والحماسة .

وليتم الوحي يجب ان يكون هناك ملقن ومتلقن، الاول يقوم باعطاء مادة الوحي — فقد يكون ملاكا كجبريل عندما اوحى الى النبي محمد « ص » آيات الكتاب ، وقد يكون شيطانا ، كما كان يدعي العرب القدامى من ان وراء كل شاعر شيطانا يوحي له بالشعر ، ويلهمه المعاني المبتكرة ، والصور المخترعة ، والافكار الجديدة ... وفي كلا الحالين لا بد ان يكتنف المسالة شيء من الانخطاف حتى ليشعر المتلقن بعجزه عن استيعاب ما يهبط عليه دفعة واحدة ، فيلجأ الملقن الى الابطاء والاعادة والتكرار ... واما الشاعر — اذا صحت الخرافة — فكثيرا ما تزحم عملية الوحي عنده عملية التدوين والتسجيل ، لذلك يلجأ الى التقاط الفكرة وصبها على الورق مقلقة بالاوشاب ؛ وبخط رديء اغلب الاحيان ، لان سرعة الالتقاط تحول دون اجادة الخط وتحسينه ، ومن هنا قيل ان جمال الخط يتناسب عكسا مع العبقرية .

اما الاختفاء فشرط واجب ايضا والا فسد الوحي الذي ياتي من وراء حجاب : ستار او شجرة او جدار او اي حائل آخر ... اذ لا معنى لظهور الموحي وبروزه ... يجب ان يظل هناك شيء خفي مجهول ، هو سر الاسرار ، لتسود حال من الرعب والخوف والرهبة ... ثمة قدرة قاهرة ، متسلطة مهيمنة ... انفلاق هائل ... اشياء غير منظورة ، فيها كل ما في الغيب من روعة مصدرها الحيرة والابتهام ... نخضع لهذه القوى اللامرئية لاننا نجهل كنهها ، لا نعرف ماذا في داخلها ... عبد البدائيون الشمس والقمر والكواكب والانهار والجبال والريح ، لانهم ما استطاعوا تفسير القوى الكامنة فيها ، عبدوها خوفا ، وقدموا لها الضحايا الثمينة ليتقوا شرها ويتقربوا منها ... لئلا تغضب فتتلف زروعهم ، وتستل ارواحهم وتميتهم بالجوع والوباء ... « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » ...

لقد ترددت كلمة الوحي مرارا في القرآن ، فجاء في سورة النجم « ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة » ... وجاء في سورة هود « واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ، واصنع الفلك باعيننا ووحينا ، ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون » .

هذا بالنسبة للوحي او الالهام بشكل عام (*)، ويعتقد البعض ان الشيء نفسه يحدث في الادب ، ويتوسعون احيانا فيضيفون ان الخلق والاختراع والابداع يعتمد ايضا على الالهام ، فالمسالة اذن لا تقتصر على الادب والفن فحسب ، بل تتعدى ذلك الى العلم ... ولنفترض جدلا ان الالهام امر واقع ، فهل صحيح انه يتنزل على قلب الاديب او العالم تنزلا ؟ هل ياتي رهوا ، ويسلك اقصر السبل وايسرها الى النفس ؟ هل هو شيء فطري يخلق مع الانسان ويرثه عن ابويه كما يرث الذكاء او الغباء ، او انه يكتسب نتيجة الجهد الذاتي والعمل الشخصي ؟ وبعبارة اخرى هل يستطيع الشاعر او الفنان الملهم خلق شيء من اللاشيء ، بمجرد انه يوحى اليه ، مهما يكن مصدر هذا الايحاء ؟ .

لقد آمن الاوائل بالالهام ، وبخاصة اليونان والرومان ... فاعتبروا حكمة الحكماء ، وشعر الشعراء ، وفلسفة الفلاسفة الافذاذ ، ان هي الا ايحاءات غامضة تهبط على قلب العبقري فيترجمها حكمة بالغة ، أو شعرا خلاقا ، او فلسفة خالدة ... ايحاءات ترسلها آلهة الشعر او الحكمة او الفلسفة... وليس ثمة الهام الا عن طريقها ... ولذلك كان اول ما

(*) اعتبرنا كلمة الالهام مرادفة لكلمة الوحي .

فعله هوميروس في مطلع الالياذة انه خاطب ربة الشعر لتوحي اليه ، لتنفحه بالمعاني ، وتمده بالافكار والخيالات ... فقال :

ربة الشعر عن اخيل بن فيلا
انشدينا واروي احتداما وبيلا

ذاك كيد عم الاخاء بلاه
فكرام النفوس الفت افولا ....

اما العرب فقد استعاضوا عن آلهة الوحي بالشياطين ، فاعتقدوا ان وراء كل شاعر شيطانا او جنيا او ساحرا يحمل خياله الى عالم الغيب ، ويطوف به في دنى مليئة بكل ما هو طريف وبديع وخلاب ... ولكم رووا عن وادي عبقر من حكايات هي اقرب الى الاسطورة منها الى الواقع ففي عبقر تعيش قطعان الجن والشياطين التي تختفي وراء الشعراء ، لتترع حناجرهم ، وتفتق قرائحهم ، وتطلق السنتهم بالقول ... ومن هنا جاء وصفنا للشاعر بانه عبقري، ثم اتسع مدلول اللفظة ، حتى صار كل من ياتي بالجديد المدهش يسمى عبقريا ، نسبة الى وادي عبقر .

والذي اريد ان اصل اليه هو ان الافكار لا تنزل على قلب الاديب الا بعد عناء طويل ، وكد مرير ، من العمل الفني الدائب ... اذ ليست عملية الخلق الفني سهلة بالقدر الذي نتصور ... بل هي شاقة وعسيرة ومضنية ، تقتضي كثيرا من التامل والدرس والعراك ... الم يقولوا : « ان ثلاثة ارباع العبقرية جهد ونصب » ؟ ولعل اصرار الشاعر ابي التمام الطائي على الاتيان بالمعاني المخترعة ، والصور المبتكرة، قاده الى الوقوع في دوامة من التفكير الدائم المستمر، حتى روى عنه ان نفسه كانت تأكل من جسده كما يأكل السيف من غمده ... وهذا ما يفسر سبب الضعف والنحول والاضطراب الذي قلما يفارق رجال الفكر والعلم والاختراع .

يقول دي وايت باركر : « ان الوحي نتيجة درس شاق طويل ، والالهام الفني عصارة الجهد العنيف بين واع ولا واع ، وخلاصة الجهود الطويلة التي اتصل فيها الفنان بآثار اسلافه وجعلها مصدر الهامه » .

ان الصياغة الاسلوبية والموضوع المدروس لم يهبطا على قلب الاديب الا بعد ان انضجهما في فكره وشعوره ، وحضر مادتهما من الافكار الداخلة في نطاق الوعي ، او خارجة عن هذا النطاق في اللاوعي ، المكبوتة في نفس الاديب ... وهذا يؤدي بنا الى القول ان الالهام عملية ذاتية قبل كل شيء ، ولا تقترب بشكل او بآخر من عملية صب الماء في الوعاء ... فالذهن وعاء لا شك ولكنه وعاء حي ... هو كالبوتقة التي تمزج فيها الاصباغ والاشكال والالوان ، فاذا لدينا في النهاية عناصر جديدة ، ومواد لم تكن من قبل ... الفكرة التي نظن انها جديدة ليست في الواقع الا ثمرة جهود طويلة ومتواصلة عبر السنين والاجيال ... هي خلاصة جهود متضافرة منذ نشوء الخليقة ، او منذ بدا الانسان يفكر ، ويعطي حصيلة هذا التفكير ... كلما مرت بذهن جملها ، واضاف اليها ، حتى وصلتنا اخيرا كاملة مكتملة .

المعاني والافكار مطروحة في الطريق – كما يقول الجاحظ – ياخذ منها الحضري كما ياخذ منها البدوي ، وياخذ منها العربي كما ياخذ منها العجمي ... ليس ثمة احتكار في الافكار ... كلنا عالة على هذا التراث الذي وصلنا امانة من السلف، لنوصله بدورنا الى الخلف ، فاتحا صدره لعطاءاتنا واضافاتنا ... والكاتب اليوم لم يعد يقتبس من التراث المتخلي فحسب ، بل يقتبس من التراث الانساني والعالمي ، فهو يعطي وياخذ ، يستعير ويعير، لكنه يضع نصب عينيه ان عليه ان يغني هذا التراث، ان يجوده بالقدر الذي يستطيع ، ولا يجوز له ان يمسخه او يشوهه . يقول لافوازيه : « في الطبيعة لا يولد شيء ولا يفنى شيء ، الكل يتحول » وفي الفكر كذلك لا يولد شيء ولا يفنى شيء ... فالولادة لاتكون من العدم ابدا ... لا بد من وجود مادة اولية ، ولا بد من وجود نماذج سابقة ليقاس عليها ... لتكون كتصاميم يصنع على منوالها .

عندما خلق الله آدم وحواء ، استعان – كما تروي الكتب السماوية – بالطين ، نفخ فيه من روحه فاستحال بشرا سويا ، فاين نحن من الله عز وجل ؟ لقد اعطانا مثلا اي مثل ، في اصول الخلق والابداع ... حتى لا ندعي ونباهي ...

والنتيجة التي اريد ان انتهي اليها هي انه لا يخلق شيء من اللاشيء ... ولا تولد فكرة من العدم ابدا .

دمشق : عيسى فتوح

أهمية الدراسات الأدبية

للأستاذ عبد اللطيف أحمد خالص

نحن لا ننكر اهمية الدراسات الادبية والدور العظيم الذي يلعبه تاريخ الادب عند الامم خصوصا بعد الاحقاب العديدة التي قطعتها الشعوب في مدارج التقدم ومسالك الرقي . فقد اصبحت الدراسات الادبية عنوانا لمجد امة من الامم يقف فيها الباحث والراغب في الاطلاع على اعلام هذه الامة وحياتهم الادبية وانتاجهم كما يقف فيها على اسباب تقدم هذه الامة وتطورها ويطلع على مراحل تكوينها وازدهارها وما اصابها في حياتها من انطلاق وجمود وبعث وخمول وتفتح وتوقف . والدراسات الادبية خير معيار تقاس به مساهمة امة من الامم في مضمار الحضارة البشرية والتقدم الانساني . ومن هذه الزاوية اخذت الدراسات الادبية مكانتها وقيمتها كعبارة عن تحليل تاريخي للقيم الشعورية والتعبيرية التي عرفتها هذه الامة في ماضيها البعيد والقريب وحاضرها الذي تعيشه ومستقبلها الذي سيكون استمرارا لحياتها الحضارية وازدهارها العلمي المتأصلة جذوره منذ القدم . فلولا هذه الدراسات الادبية لما وقفنا على كثير من الآداب العالمية والمعارف الانسانية . ولولا تاريخ الادب لما ادركنا تطور الفكر البشري وتقدم الانسانية جمعاء فقد استمدت معلوماتنا الشيء الكثير من هذه الدراسات فاخذت منها تاريخ الامم ومراحل تطور الفكر فيها كما وقفت على تطورها الادبي والحضاري وتعرفت على اعلام في العلوم وجهابذة في الشعر والنثر ومفكرين في الفلسفة والاجتماع وقادة في المذاهب والنظريات وابطال كان لهم دور كبير في تكوين جوانب مهمة من الحضارة الانسانية والفكر البشري ..

فكيف كان يمكننا ان نتعرف على الادب الفرنسي بصفة عامة ؟ وكيف كان يمكننا ان نحكم على انجلترا او اليونان والهند واليابان وغيرها من الاقطار التي عرفت تاريخا ادبيا مزدهرا ؟ وكيف كان يمكننا ان نعرف الدور الذي لعبه ادبنا العربي يوم بلغ هذا الادب اوج الكمال والازدهار ؟ لقد توصلنا الى ذلك بفضل الدراسات الادبية المتينة التي وضعت عن هذه الامم والتي اطلعتنا بصدق وامانة على تاريخ حضارة هذه الشعوب بصفة عامة وتاريخ آدابها بصفة خاصة ولعل اكبر ما يشكو منه ادبنا المغربي قديمه وحديثه انه لا زال لم يجد من يهتم بدراسته دراسة كاملة وافية تجعله يتجلى امامنا بكل وضوح واشراق .

نعم لقد قام جلة من علمائنا وكبار ادبائنا ومؤرخينا باعمال جليلة في هذا الميدان فقد وضع لنا العلامة الجليل الاستاذ عبد الله كنون دراسة صادقة عن تطور الفكر الانساني في المغرب فكتب مؤلفه « النبوغ المغربي » و « مشاهير رجالات المغرب » وغيرهما من الدراسات والابحاث كان آخرها احاديث في الادب المغربي كما اهتم البحاثة الكبير محمد الفاسي بادبنا فأرخ لعدد وافر من من علمائنا واعلامنا وهو يعمل اليوم على تدريس هذه المادة الحيوية في كلية الآداب وقام الاستاذ محمد بن العباس القباج بوضع كتاب عن الادب المغربي الحديث لا يمكن تجاهل قيمته ؛ واشتهر الاستاذ محمد بن تاويت بدراساته المفيدة في هذا المضمار كما عرف العلامة الجليل مؤرخ تطوان الاستاذ محمد داود بالمجهودات التي يبذلها لوضع تاريخ عن جزء عزيز من وطننا هو مدينة تطوان وقد خصص لرجال العلم والادب قسطا مهما من موسوعته الجليلة « تاريخ تطوان » وخلف لنا فقيد العلم والادب المرحوم محمد المختار السوسي ذخيرة عظيمة عن اقليمنا الحبيب سوس تتبع فيها سائر رجالات سوس الذين شاركوا بعلومهم واعمالهم في تطور الحركة الفكرية في بلادنا فاخرج لنا « سوس العالمة » و « المعسول » تلك الموسوعة الضخمة التي ضمت رجالا افذاذا في العلم والفقه والتشريع والادب ولا زال البحاثة المغربي الكبير الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله يوالي جهوده المشكورة ليل نهار ليطلعنا على مظاهر الحضارة المغربية عبر تاريخ المغرب

كما يبذل اخونا الاستاذ الحسن السائح جهودا جليلة لتنوير اذهان المتطلعين حول نشاط المغرب الثقافي في الماضي يتتبع بكامل الدقة والعناية مجالي الثقافة المغربية ومراكزها وينابيعها . كل هذه الجهود تستحق التنويه والاجلال وتتطلب المزيد من الشكر والتشجيع حتى توتي اكلها باذن الله . ومتى ما توفر المغرب على دراسات كبيرة في هذا الشان فسيكتب لنفسه صفحة ذهبية تجعله جديرا بالمكانة المرموقة التي كان يحتلها في ماضيه المجيد نظرا للدور الذي لعبه في المضمار الحضاري ذلك الدور الذي ظل مغمورا منسيا الى ان تداركته هذه الايادي الكريمة وتولت ابرازه واظهاره للوجود واخراجه من عالم الظلمات الى عالم الحياة والنور .

فالدراسات الادبية اذن مجال واسع للتعريف بحضارة الامم ووسيلة طيبة لاظهار التراث الحضاري المكنوز ومرصد يسمح بالوقوف على ما خلفه السابقون ويحيي لنا عهودا درست ومجهودات عفى عليها الزمان ولكنها رغم هذه الاهمية التي تكتسيها والادوار التي تلعبها لا تعفينا من الاتصال المباشر بروائع ما انتجه الفكر البشري والاطلاع القريب على ما خلده الاجداد من آثار قيمة ومؤلفات جليلة .

فقد ينحصر دور هذه الدراسات في احياء فضول الاطلاع في نفوسنا ودعوتنا الى الرجوع الى هذه المآثر الخالدة والروائع الجليلة . وقد لا تجدي الدراسات الادبية نفعا في القراء اذا لم يواصلوا عملهم بقراءة المؤلفات التي عرضتها عليهم هذه الدراسات الادبية والآثار الخالدة التي قدمتها لهم واطلعتهم عليها واخبرتهم بها . وفي هذا النطاق بالذات تتجلى لنا عظمة مؤرخ الادب الفرنسي «لانسون» ونفوذ الفكرة التي اشار اليها في مقدمة كتابه « تاريخ الادب الفرنسي » حيث وصى القراء بعدم الاكتفاء بقراءة كتابه واوضح لهم انه لا يريد من وراء وضعه الا تشجيع القراء على الرجوع الى المؤلفات الاصلية .

ونحن عندما نرجع الى هذه المؤلفات الاصلية نريد ان نكمل المعلومات التي اخذناها من الدراسات الادبية لان هذه الدراسات مهما اتسعت وكملت فهي لا تقدم لنا الا ملخصا مختصرا عن الروائع الانسانية ولا تستطيع ان تفعل اكثر من هذا . اما اذا تناولنا هذه المراجع بالدراسة وامعنا فيها النظر فسنكون اعرف بها وادرى بمحتوياتها كما سنحصل من الرجوع اليها على رصيد من المعلومات يجعلنا اقرب مسافة من هذه المؤلفات واكثر تعمقا في مضمونها ومدلولها مما سبق ان حصلنا عليه بعد الالمام بها في الدراسات الادبية .

ثم ان الوقوف على المؤلفات الاصلية يمكننا من اصدار حكم ذاتي عليها حيث سنكون نحن بانفسنا مصدر هذا الحكم غير متاثرين بنقد ناقد ولا براي احد من الذين درسوا الكتاب قبلنا ولا بنظرية اجنبية عنا ويكون الحكم صادقا يعبر عن نظرتنا الخاصة عن هذا الكتاب او ذاك ولا يكون في حكمنا اثر لتوجيه خارجي فكم تضر هذه التوجيهات بتكوين الفرد وكم تسيء الى تقويم حكمه الخاص حيث يصبح عبدا لآراء الغير ناطقا بها ومدليا بها كحجج قاطعة وبراهين ساطعة على قراءاته ونظرياته ! وكم من ضرر ينطوي عليه هذا التوجيه الذي لا يترك للقراء حرية التعبير عن آرائهم والاعلان عنها بكل نزاهة وتجرد .

ونحن وان كنا لا نرى مانعا في تقبل التلاميذ والطلبة في حياتهم الدراسية الابتدائية والثانوية لنظريات الغير وتاثرهم بها في حكمهم فاننا لا نقبل هذا النوع من الحجر الفكري في مستوى الدراسات العليا التي تنبني قبل كل شيء على الاعتماد على النفس والثقة والاعتزاز بها . وماذا يستفيد الادب والادباء اذا تناقلت الاحكام والآراء والنظريات في كتاب من الكتب الادبية او مؤلف من المؤلفات على ممر الازمان والاجيال فسيبقى الادب هو هو لا يتطور ولا يتقدم ولا يعرف انطلاقا وتجددا مع مرور الايام والسنين . فالدراسات الادبية قد تصلح لتوجيه البحث ورجاله والتاريخ الادبي قد يدفع بالانسان الى قراءة مؤلفات تستجيب لعدد من المثل العليا وتتفق وبعض الحاجيات الفنية والعاطفية والادبية ولكن الانسان في حاجة قبل كل شيء الى نوع من النزاهة والتجرد والدراسة الشخصية والتمكن خصوصا اذا ما عثر على كتاب يشفي الغليل واذا ما وجد في مؤلف من المؤلفات غذاءه الروحي وطعامه الفكري .

الرباط : عبد اللطيف احمد خالص

شاعر من الأندلس

للأستاذ : محمد عبد المنعم خفاجي

في ظلال خلافة بني امية بالاندلس ، وفي عهد الناصر العظيم (300 / 350 هـ) ولد الشاعر الكبير، ابن هانيء الاندلسي ، اشهر شعراء الاندلس ، واسيرهم ذكرا في تاريخ الشعر في المغرب .

ولد ابو القاسم محمد بن هانيء بن محمد الازدي في قرية وادعة من قرى اشبيلية ، تدعى « سكون » عام 320 هـ / 932 م ، من اسرة عربية عريقة ، يتصل نسبها بالمهلب بن ابي صفرة الازدي القائد الاسلامي المشهور في دولة بني امية ، وهي اسرة قحطانية يمنية ، لها ماض حافل ، وتاريخ تليد .

وكان ابوه هانيء من قرية من قرى « المهدية » عاصمة الفاطميين الاولى ، وكان شاعرا اديبا كما يروي المؤرخون ، ثم هاجر من قريته في تونس الى الاندلس ، وعاش في اشبيلية ، ونشا ابنه وترعرع في بيئتها الحافلة بالوان الحضارة والثقافة والاداب ، وباسباب المجد السياسي الذي كسبه الامويون في عهد ملكهم الناصر لدين الله ....

واختلف ابن هانيء الى حلقات العلم والادب في اشبيلية ، ثم رحل الى قرطبة عاصمة الامويين ، ومقر الجامعات والمدارس والمكتبات والعلماء ، وذات الشهرة التاريخية والحضارية الكبيرة .. وكانت هذه الرحلة للتعلم والتثقيف وقد حدثت في بدء حياة الشاعر ، وكانت الثقافة الاندلسية في هذا العهد تنال من عناية الملك الاموي الناصر ، ومن رعاية دولته وشعبه ، كل ما كان يطمح اليه محب للعلم والمعرفة ، وكان الناصر وولي عهده الحكم يعملان على نشر العلم ، وتشجيع العلماء ، واقامة الجامعات ودور الكتب والمدارس ، وفي عهدهما كانت رحلة العلماء من الشرق الى الاندلس ، ومن الاندلس الى الشرق مستمر، وقد استقبل الناصر الوافدين على بلاطه من العلماء والادباء كالقالي (288 / 356 هـ) وغيره .

وكانت السمة الغالبة على الثقافة الاندلسية حينذاك هي الدراسات الدينية واللغوية والادبية الواسعة ، وهي الثقافة التي تلقاها ابن هانيء في شبابه ، ولعل ابن هانيء جلس في حلقة القالي بجامع قرطبة الكبير ، واستمع الى محاضراته اللغوية الشهيرة ، وقد قرا الشعر الجاهلي وتاثر به واحتذاه، وخالط القبائل العربية التي كانت نازلة في قرطبة واشبيلية ، وتاثر بلغاتها ولهجاتها .

وورث الشاعر عن ابيه حب الادب وتذوقه ، والاقبال على الشعر والاحتفاء به ، مما نمى ملكة الشعر في نفسه ، وقد اطلع الشاعر على آثار الشعراء الجاهليين والاسلاميين والمحدثين ، وعلى شعر المتنبي الذي عاصره وتاثر به ، فقد قرا ديوانه كما ترشدنا الى ذلك قصيدته الحادية والعشرون من ديوانه الذي علق عليه الدكتور زاهد علي .

وفي قصيدته الفائية الحادية والثلاثين من ديوانه وصف دقيق للنجوم وهيآتها وحركاتها في اشراقها وغروبها ، وقد يدل ذلك على المام الشاعر ببعض فنون من الفلسفة ، ويروي لنا التاريخ الادبي ان ابن هانيء كان متهما في الاندلس بمذاهب الفلاسفة كما يقول الذهبي ، وكانت الفلسفة محاربة في بيئة الاندلس حربا شديدا ، وقد تعرض الشاعر بسبب ذلك للقتل ، مما دعاه الى التفكير في الهجرة الى المغرب .

— 2 —

نظم ابن هانيء الشعر ، ونبغ فيه ، وذاعت

شهرته بين الشعراء ، ومدح بشعره رجالات الدولة ، وخاصة امير اشبيلية ، بعد ان عاد اليها من قرطبة ، وقربه الامير اليه ، ولكن ابن هانيء الذي ورث حب التشيع لآل البيت عن والده ، كان يتجه بقلبه نحو المهدية يريد ان يعيش في ظل الراية البيضاء المرفوعة عليها ، ويبدو انه كان لا يخلص للامويين ولا يريد ان يعيش تحت ظلال رايتهم الخضراء ، كما كان يكره العباسيين والراية السوداء المرفوعة في بغداد ، والظاهر ان ابن هانيء اتهم من اجل ذلك بالميل الى الفلسفة ، وتحت ستار هذا الاتهام الغير الحقيقي اضطهد الشاعر من الدولة ، واشار عليه امير اشبيلية بالهجرة ، حيث خرج الى عدوة المغرب ، عام 347 هـ او 346 هـ وهو في السابعة والعشرين او السادسة والعشرين من عمره ، وبذلك انتهت حياته الاولى في الاندلس ، وقد ضاع كل شعره في هذه الفترة ، وفي الحديث عن هذه الهجرة يقول الشاعر :

ومستكبر لم يشعر الذل نفسه
ابي بابكار المهاول فاتك

ولو علقته من امية اجبل
لجب سنام من بني الشعر تامك

ولما التقت اسيافها ورماحها
شراعا وقد سدت علي المسالك

اجزت عليها عابرا ، وتركتها
كان المنايا تحت جنبي آرائك

وما نقموا الا قديم تشيعي
فنجي هزبرا شده المتدارك

وفي هذه القصيدة يحمل على بني امية ، ويرميهم بالجبن والبخل وشتى الرذائل .

— 3 —

واستقر الشاعر في المهدية موطن اسرته الاول ، ومدح جوهرا قائد المعز الفاطمي ، ثم مدح الخليفة المعز نفسه ، واصطفاه جعفر بن علي امير الزاب « والمسيلة » لنفسه ، وكان جعفر احد قواد الفاطميين وولاتهم ، وقد ولي الزاب والمسيلة مدة طويلة (334 / 360 هـ) .

وفي ظلال جعفر واسرته عاش الشاعر ، وفيهم نظم اكثر شعره ، ومن كرمهم نهل السؤدد والثراء ، حتى ليقول ابن هانيء :

خليلي ابن الزاب عنا وجعفر
وجنة خلد بنت عنها وكوثر

فقيلي تأى عن جنة الخلد آدم
فما راقه في ساحة الارض منظر

خليلي ما الايام الا بجعفر
وما الناس الا جعفر ، دام جعفر

وطارت شهرة ابن هانيء ، ووصلت المعز ، فارسل الى جعفر يطلب منه شاعره ، وامتثل الامير الامر ، وبعث بابن هانيء عام 350 هـ الى القيروان عاصمة الخلافة الفاطمية ، ومدح الخليفة ، وقربه الخليفة اليه ، واقام ابن هانيء في فناء الخليفة ، واستظل بظله ، ونال من رفده وبره الشيء الكثير ، وقصائد ابن هانيء في الخليفة الفاطمي المعز لدين الله تسمى « المعزيات » وهي اروع شعره ، وابلغ ادبه ، وفيها الكثير من تراث الفاطميين الروحي والفكري والسياسي .

ولما فتح جوهر مصر ، وضمها الى دولة الفاطميين نظم ابن هانيء قصيدته المشهورة :

يقول بنو العباس : هل فتحت مصر ؟
فقل لبني العباس : قد قضي الامر

وقيل ان الشاعر بداها بدعوة المعز للقضاء على الخلافة العباسية في بغداد :

تجهز الى بغداد قد فتحت مصر
وانجز صرف الدهر ما وعد الدهر

يقول بنو العباس : هل بلغ المدى
فقل لبني العباس : قد قضي الامر

وفي عام 362 هـ خرج المعز ميمما وجهه شطر مصر ، يتخذها عاصمة لملكه الواسع وخرج ابن هانيء معه يودعه حتى برقة ، ثم قفل الشاعر راجعا الى القيروان فقتل في الطريق بيد بعض اللصوص الذين نهبوا ما كان معه من مال ، وكان مقتله في رجب 362 هـ ، ووصل المعز الاسكندرية في شعبان عام 362 هـ ، ثم القاهرة في رمضان من العام نفسه ، وفي الطريق بلغه مقتل شاعره فحزن لموته حزنا شديدا .

وابن هانيء شاعر اندلسي ، لان الاندلس هي التي غذته ووهبته اريج الشاعرية وموهبتها العالية .

وشعره المأثور المروي قاله كله في المغرب ، في المعز ورجال دولته ، وقد تفوق على شعراء عصره في المغرب تفوقا ظاهرا ، ومنهم :

1) علي التونسي الشاعر ، الذي قال فيه ابن هانيء لما هجاه شعراء المغرب بعد هجرته : (لا اجيب احدا منهم الا ان يهجوني علي التونسي فاجيبه) كما يروي ابن رشيق في العمدة .

2) ومنهم : عبد الله بن الحسن الجعفري .

3) ومقداد بن الحسن الكتاني .... وسواهم من الشعراء ...

ومع ان شعر ابن هانيء ينزع نحو البداوة ، ويحتذى فيه حذو الجاهليين ، فانه يعد نسيج وحده جودة معان، وصحةاسلوب ، وجزالةلفظ ، واحكام بناء، وكثرة اطناب ، وجودة ابتداء ، وحسن انتهاء ، وصوره الشعرية كثير ةحتى ليضيق بها البيت من شعره ، فتراه يقول في شعره في المدح مثلا :

كبدر الدجى ، كالشمس ، كالفجر ، كالضحى
كصرف الردى ، كالليث ، كالغيث ، كالبحر

وهو يذكرنا بقول الشابي :

عذبة انت كالطفولة ، كالاحـ
ـلام ، كاللحن ، كالصباح الجديد

واغراض شعره تتفاوت بين : المدح والفخر ، والرثاء ، والعتاب ، والوصف ، والغزل ، والهجاء ، والحكمة ، والشعر السياسي .

وقد لقب بتنبي المغرب ، وعده النقاد نديدا لابي الطيب المتنبي ، وصنوا له في الشاعرية ، ووازنوا بينهما موازنات طويلة .

لقد كان ابن هانيء امير الشعر في المغرب في عصره ، وقد ترك دويا ضخما في حياته وبعد حياته ... فعليه رحمة الله .

ليبيا : محمد عبد المنعم خفاجي

النهر

كانما النهر صفحة كتبت
اسطرها ، والنسيم ينشئها
لما ابانت عن حسن منظرها
مالت عليها الغصون تقراها

علي بن موسى المدلجي

نظرة في تائية ابن الفارض

للأستاذ : عبد الحق حموش

لم يجمع كتاب العربية على اصل او اشتقاق يرجعون اليه كلمة « تصوف » . كما لم يتفقوا على ربطها بطراز محدد من نماذج الحياة .

قالوا انـه تحدر من اصل يوناني هو كلمة « سوفيا » اي الحكمـــــة .

وقالوا انه يدل على حياة خشنة ، اوضح مظهر لخشونتها هو اصطناع الصوف لباسا

وارجعوه الى صوفة ، وهو شخص عربـي كان يمارس ذلك الطراز من الحياة . وايا كان من هذه التاصيلات صحيحا ، فان مجرد استعراضهـا يؤكد حقيقـة لا لبس فيها ، هـي ان التصوف الذي تحدث عنه تاريخ الفكر الاسلامي ، ليس تصوفا اسلاميا صرفا ولا عربيا خالصا . انما هو مزيج من هذا وذاك . مضافا اليهما عناصر غريبة ، دينية وفلسفية .

هذا التصوف العربي الاسلامي ، مع هذه العناصر الغريبة، بما انها نتائج امم متباينة في المشرب والمزاج ، كان لا بد ان تعكس على المجتمـع الاسلامـي الوانا متباينـة من التصوف ، الوانا تبلغ من التباين حد التناقض . وكما يقول العقاد . فان هناك تصوفا يقول للحياة « نعم » وآخر يصرخ في وجهها « لا » يضاف الى ذلك ، تباين يتعلـق بالطريقة التي تمارس بهـا مختلف الفآت حياتها المتصوفة .

ان آفاق كهذه ، لم تكن محجوبة عن التصوف والمتصوفين في العالم الاسلامي في الربع الاخير من القرن السادس للهجرة وخلال العقود الاربعـة الاولى من القرن السابـع ، وهي الفترة التي عاش ومـات خلالهـا سلطان العاشقين .. ابن الفـارض (576 ـ 632) .

★ ★ ★

والواضح ان تائيته الكبرى المسماة بـ « نظم السلوك » تتضمن خلاصة وافية لما عانى وجرب ، وما خطر له او كشف .

ونعتقد ان كتابتها تمت في مرحلة النضج من حياته ، سواء من حيث التجارب النفسـية او الصنعة الاسلوبية . ولا شك ايضا ، انه نظمها في فترات متقطعة متباعدة ، وانه وكل الى فيض الخاطر امر نظمها . لم يهتم بتنسيـق ما نظمه سلفا مع ما ينظمه الآن او سينظمه في المستقبل . لذلك جاءت طويلة ، كثيرة الحذادق ، مكرورة المعاني ، الى زخرف في اللفظ وتصيد للمحسنات واحلية قديـــة ضحلة .

على ان هذه الصنعة الاسلوبية في كثيـر من اشكالهـا ، يجب النظر فيها بالنسبة الى الصوفية على نحو آخر يختلف عن نظرة البلاغيين . ان للمتصوفة معجمهم الخاص ولكلماتهم دلالات اخرى غير ما الف اهل الاصطلاح : لقد يتبادر الى الذهن انهم يشبهون او يستعيرون والحال انهم يلبسـون الكلمات معانـــي جديدة من عندياتهم ، ويصبون فيها دلالات خاصة بهم . فالحج، والحرم ، والمسجد الاقصى ، وحواء كلمات تدل عند ابي الفارض على غير ما يفهم منها عادة .

ومع ذلك فكثيرا ما تستشعر خـلال النظم ، حرارة قلـب وحكمة ملهم . تشعر بذلك حين تخلل تلك الاقفال اللفظية التي دقها على ابوابه . ما اشبه سلطان العاشقين بسلطان المتنائمين صنعة في الاسلوب !!

★ ★ ★

والآن ما هذه المطولة التي سماها بنظم السلوك ؟

انها ملحمة لا ينازل الابطال فيهـا بعضهـم بعضا ، ولا يقعقع فيها سلاح . ملحمة عقد لواءها للشاعر ضد نفسه ، فاخـذ يحاربها تارة ويروضها اخرى ، مستعملا وسائل القهر والادلال، كي تصفو ويزايلها الباطل وتشرق بنور حقيقتها .

فيها اذن ، ثورة ومواجهة . والامر يتعلق بالكشف عن سلوك جديد . يقول :

فنفسي كانت قبل لوامة متى
اطعها عصت ، او اعص كانت مطيعتي

فاوردتها ما الموت ايسر بعضه
واتعبتها كيما تكون مريحتي

فعادت ، ومهما حملته تحملته
منى وان خففت عنها تاذت

ويقول :

فاذهبت في تهذيبها كل لذة
بابعادها عن عادها فاطمأنت

هذا العراك بين الشاعر وبين نفسه ، كان يمكن ان ينتهي الى نوع من الدربة والمران او الى نوع من الخضوع يدبر به حياته دون ان يعدو الامر ذلك . لكننا نعرف ان العراك قد افضى بالشاعر المتصوف الى مفترق من طرق . ترى كيف تمكن هذه الازدواجية في نفسه : كيف تجمع بين الخير والشر ؟ . بين وازع الضمير وهتاف الشر ؟ . انها ازدواجية لم تقبلها بداهته ، بل هي تخدم حجة الذين يقيمون الوجود على اساس من عراك الخير ضد الشر .

لو ان شاعرنا اكتفى من حربه باخضاع نفسه ، ربما انتهى به تصوفه الى ان يخوض غمار الحياة مع الخائفين . واغلب الظن انه كان سيفعل ذلك في تزمت ، اما حين تعدى ذلك الى تمحيص ضميره ، فقد هام في المتاهة تلو الاخرى ، وبذلك اغلقت من دونه سبل هذه الفانية .

ما اعجب هذا ؟ : . نفس امارة ونفس لوامة . لكن ، مهلا فالامر يتعلق بواحد لا باثنين . بتوحيد يتم بينهما ، توحيد يولده الكفاح ومحو الاثار والشر . هكذا اصبحت نفسه خيرا محضا وحبا خالصا :

فصرت حبيبا ـ بل محبا لنفسه
وليس كقول من : نفسي حبيبتي

وهكذا اصبح وحدة لا محط للشر والتعدد فيها ، واصبح قائما بالخير تائها فيه ، يستوي ازاءه الشهادة والغيب .

يجب اذن ان : « ترى الاثنين واحدا »

فان لم يجوز رؤية اثنين واحدا
حجاك ولم يثبت لبعد تثبت

ساجلو اشارات عليك خفية
بها كعبارات لديك جلية

واثبت بالبرهان قولي ضاربا
مثال محقق . والحقيقة عمدتي

وهناك يعمد الى مثل المصروعة بالجن في داخلها . والتي تتكلم بغير لسانها .. : السنا بصدد اثنين في واحد . فاذا كنت لا تصدق فابن الفارض كان مثلك « :

كذا كنت قبل ان يكشف الغطا
من اللبس ما انفك عن ثنوية .

ومضى الشاعر في مكافحة هذه الازدواجية او « الثنوية » حتى اخذت من تائيته قسما غير صغير . بل انه يفرغ منها ويتجاوزها الى غيرها حتى يعود اليها من جديد كل ذلك في نغمة تعليمية ، فيها الهام وقليل من المنطق . نغمة تدل على ان هذا الرجل جنح الى الكشف والالهام . فكان متصوفا شاعرا وليس متصوفا فيلسوفا .

تلك كانت التائية الكبرى . فيها تيه وفخر ، وفيها تسلطن وتأمر .. لا على كل الناس ، بل على العاشقين وطلاب الجلوة فحسب ، وتأمل قوله :

فانت بهذا المجد اجدر من اخي اجـ
تهاد مجد عن رجاء وخيفة

وملك معالي العشق ملكي ، وجندي الـ
معاني ، وكل العاشقين رعيتي

لكنه وقد روض نفسه فازال ثنويتها وعاد بها الى سبيل الهدى وسبيل الوحدة ، لم يعد يرى داعيا للعنف في مواجهتها . فاستنام اليها متأملا ، واخذ يعطف عليها ، بل استشعر انها تبادله العطف الحدب . فامتد بينهما خيط رقيق من هذا الحب . ثم ما لبث هذا الخيط ان امحى ، لانه اصبح هي واصبحت هو . وهذا سر ذلك الهيام ولباس العشق الذي سربل به تائيته وتغنى به في اكثر من قصيدة اخرى .

معركة ضد النفس ، لما تلبسها اعتقاد في التعدد . فانتصار باسم الوحدة ، ترى ما مضمون هذه الوحدة ؟ يقول ابن الفارض:

وبي موقفي ، لا بل الي توجهي
كذاك صلاتي لي ، ومني كعبتي

ان من يعتقد في اله مفارق له ، يتوجه اليه . اما اذا كان « الي توجهي » فهذا يعني الحياة والتدين بطريقة مغايرة . انها الحلولية ووحدة الوجود . يقول :

وفارق ضلال الفرق فالجمع منتج
هدى فرقة : بالاتحاد تحدت!

وصرح باطلاق الجمال ولا تقل
بتقييده ميلا لزخرف زينة

فكل مليح حسنه من جمالها
معار له ، بل حسن كل مليحة

وهكذا ما من مثل اعلى ، سواء تعلق بالانوثة الخالدة عند عشاقها ، او بالكشف العلمي عند رواده ، وما من خطوة في التاريخ ، الا وهذه الحلولية اساس لها ، وباختصار ما من مظهر من مظاهر الطبيعة الا وهو لسان ناطق بها :

بدت باحتجاب واختفت بمظاهر
على صبغ التلوين في كل برزة

وما برحت تبدو وتخفى لعلة
على حسب الاوقات في كل حقبة

هذه الحلولية وتلك الوحدة ، عبر عنهما في حرارة تلفت النظر ، عرفت اوجها في فناء كلي ، غير ان الشاعر ما لبث ان تراجع فأعلن في تواضع ، انه ليس حلوليا :

وحشا لمثلي انها في حلت

فعل ذلك مستعينا بالمنطق ، ونسي ان البرهنة ، على ما هو بصدده ، غير واردة ، لان الامر يتعلق بكشفه والهامه بعيان قلبه ، وعلى كل حال فهناك امور :

تنزه عن رأي الحلول عقيدة (ـه)

★ ★ ★

خلال هذا العرض الموجز لـ « نظم السلوك » يتبين لنا من هو ابن الفارض بين اهل التصوف ؟ والسبيل الذي سلكه في التعبير عن صوفيته ؟ ولا شك ان هناك ترابطا سببيا بين السؤالين .

لم يكن ابن الفارض ممن يتصوفون للحياة ، بالمعنى الذي تقول به ان المرحوم عبد الوهاب عزام كان ممن تصوفوا فاصطبغ سلوكهم اليومي بمسح من التصوف . لم يكن ابن الفارض من هذا القبيل ، لانه غاص وغاص في اعماقه او نفسه حتى لم يخرج منها ، او حتى خرج منها الى عالم مهما يكن فهو ليس عالمنا .

لذلك سلك سبيل الشعر ولم ينح نحو الفلسفة ، فجاءت تدليلاته فجة في معظمها . سلك سبيل الشعر لانه متصوف ، يستمد من وجدانه ، ويسترفد الهامات نفسه ، ولا يأبه للاشياء والاحياء حوله فيستمد من حدودها تفكيرا محصورا على نصيب من الدقة ، يتمثل لي ان ابن الفارض استحال ازاء ما عرف في عالمه الباطني ريشة مهروبا بها في فضاء لا ينتهي ...

ولما كانت هذه الحالة مما لا يلائم الطبيعة البشرية فقد اضطرب الشاعر بين فناء ما حق لكل شيء ، وبين نوازع انسانية ظلت تنتابه مثل غيره من الناس . فكأن ابن الفارض لم يوفق كما ينبغي التوفيق بعد ذلك الجهاد . ولعل هذا التأرجح هو ما حدا بالبعض الى ان يتحدث عن عشقه باعتباره عشقا ماديا .

مهما يكن ، فعلى الرغم من استخدامه للكثير من مصطلحات الفلسفة ـ ايا كان المذهب الذي سبق له الاطلاع عليه ـ فقد ظل متصوفا شاعرا ورجلا قلبيا . ولعل هذا هو سبب ما في التائية من فوضى .

★ ★ ★

وسواء أتصوفت من اجل الحياة ، او من اجل هدف خارج عنها . وسواء اتصوفت مفكرا ، او مثلهما فلا شك ، انك ستجد لابن الفارض هتافا في نفسك وانت تقرأ له ملحمة الوحدة والانسجام اللذين رآهما قوام الكون .

ولا ضد في الكونين والخلق ما ترى
بهم للتساوي من تفاوت خلقة .

عبد الحق حموش

قال شيخ الاسلام زكرياء في شرح لقطة العجلان :

« وكان الائمة يعيبون على **اهل الكلام** كثرة خوضهم فيه ، لا سيما في صفات الله تعالى ، اجلالا له سبحانه وحذرا من افساد عقيدة من لم يتضلع في العلوم ، وكان آخر قولهم : « عليكم بدين العجائز » .



غدا ابو الفتح الاسكندري ، بطل المقامات البديعية ، مثلا سائرا فى الكدية ، والاحتيال فى فصاحة وبيان ، يتمثل به الناس لدى كل خداع جشع يتقمص شخصه واعماله وتصرفاته .

والحقيقة ان بديع الزمان ارتقى ببطل مقاماته الى الشدة الانسانية فجعل منه رمزا للمكدي الماكر فدخل فى جملة ابطال الاساطير والخرافات الى جانب عطيل ودون كيخوتي ورونار (Le roman de Renard) فى نزعاته الانسانية ، وسواهم ممن جسدوا فكرة ومثلوا وضعا مسلكيا معينا .

فابوالفتح الاسكندري شخصية غريبة عجيبة رجراجة المظهر ثابتة المخبر ، ومخبر الاسكندري ظاهر معروف وهو صناعة الكدية ، فالكدية راس اهدافه والمحرك الاكبر لاعماله وتصرفاته يجند فى سبيلها مواهبه المختلفة وجميع ما وسعه من وسائل الخداع ، فهو اشحذ رجل عرفته عصابة بني ساسان ، فساراه كريم ، يخفض له جنيبته وينفض اليه حقيبته ؛ وبتكاليه على جميع المال كان يلجا الى ضروب من الاحتيال تصيب حبة القلب من الناس المخدوعين بشخصه ، فتراه حينا يطوف فى اسواق العراق مكديا بالاوراق ذاكرا فيها حاجته سائلا الناس سدها ؛ ثم تراه حينا ءاخر يصرف للمجتمعين عليه حاله وقسوة الدهر عليه ضاربا على اوتار عواطفهم بذكر اطفاله البائسين وهم لا يزالون زغاليل حمر الحواصل من شدة الجوع :

كأنهم حيات ارض محلة
فلو تقضون لزكن سمهم

اذا نزلنا ارسلوني كاسبا
وان رحلنا ركبوني كلهم

ثم يصور للسامعين حال اطفاله فى انتظاره بعد تطوافه تصويرا حسيا موحيا يثير الشفقة فى القلب الاصم ويستخف الحريص المقتر اذ يسمعه مرددا :

يطوف ما يطوف ثم ياوى
الى زغب محددة العيون
كساهن البلى شعثا فتمسي
جياع الناب ضامرة البطون *

ثم كان الاسكندري يتجاوز هذه الحيلة غالبا الى اصطحاب اطفاله على اعين الناس وذلك احكم للحيلة وادعى الى الشفقة وتحريك النفوس فيتأثر النظر والعاطفة والخيال فى ءان واحد ، فاذا به فى جامع واحد بخاري يستتلي طفلا عريانا « يضيق بالضر وسعه وياخذه القر ويدعه » او فى جرجان يجر وراءه صغارا فى اطمار او فى سوق حمص يقوم على راس ابن وبنية بجراب وعصية وهو يقول :

رحم الله من حشا فى جرابي مكارمه
رحم الله من رنا لسعيد وفاطمه
انه خادم لكم وهي لا شك خادمة

او فى سوق بغداد وقد احتضن عياله وتابط اطفاله وهو يدعو الله والعباد الى الرفق بحاله *

ولا تقف حيلة الاسكندري بجشع عند هذا الحد ، فلم يكن له من صفاء النفس ونصاعة السريرة ما يوقفه عند الطريق المباحة فى التسول والاستجداء ، فالغاية عنده تبرر الواسطة وقد تحكمت الكدية فى

* المقامات : البلخية ص 17 ـ البصرية ص 64 .
* البخارية : 82 ـ الجرجانية 46 ـ الاسدية 37 الازاذية 11

نفسه حتى صارت من كيانه فاصبح يسعى اليها بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة وما من وسيلة غير شرعية ـ في نظره ـ مهما كانت مقدسة او محظورة تستدعي تجنبها للبلوغ الى الكدية المغرية ، كذلك لم يتورع الاسكندري في تكديته عن العبث بالمقدسات ، فقد دخل جامع اصفهان ذات يوم * ووقف في الناس بعد اداء الصلاة زاعما انه اتى للمسلمين ببشارة من نبيهم مدعيا انه رءاه في المنام يسير والنجوم تتبعه ويسحب الذيل والملائكة ترفعه ، فعلمه دعاء واوصاه ان يعلمه امته ، فكتبه على اوراق بمسك وزعفران ، فمن استوهبه وهبه ومن رد عليه ثمن القرطاس اخذه ، قال عيسى بن هشام فانثالت عليه الدراهم حتى حيرته .

وبعد فتامل كيف تاجر ابو الفتح بالنبي وكيف جعل نفسه من الاولياء الذين يوحي اليهم ، فلا يبتغون على تبليغ رسالتهم اجرا ، وهذه طريقة عجيبة في خوف الصيد وتحمل الرزق على ملاحة في الاستعطاء ووقاحة لاتدانيها وقاحة ، وفي ذلك يشهد له عيسى بن هشام راوية مغامراته واخباره فيقول فيه : « شحاذ ورب الكعبة اخاذ له في الصنعة نفاذ بل هو فيها استاذ ، ولا بد من ان ترشح له وتسح عليه * »

وقد يجاوز الاسكندري في احكام حيلته هذا الحد ، فيدعي المعجزات كما في المقامة الموصلية * حيث يدخل دارا قد قامت نوادبها على ميت عزيز فيزعم انه كفيل برد الروح اليه ، ولكنه يخفق وتناله الاكف فيفر هاربا غير يائس الى ان ياتي قرية مهددة بالسيل فيقول لاهلها : انا اكفيكم هذا الماء ومعرته ، ويشير عليهم بان ياتوه بجارية عذراء وبقرة صفراء ليوهمهم بلونها ويصرف خيالهم الى البقرة الوارد خبرها في القرءان ثم يأمرهم بان يصلوا خلفه ركعتين وينسل من بينهم مع عيسى بن هشام وقد تركا القوم ساجدين لا يعلمان ما صنع الدهر بهم ، وعند ذلك يتمدح ابو الفتح بمخادعة الناس والمكر بهم كانه يرى في ذلك شرفا له فيقول :

لا يبعد الله مثلي ... واين مثلي اينا

لله غفلة قوم ... غنمتها بالهوينا

اكتلت خيرا عليهم ... وسجلت زورا ومينا

الا ان الامر الذي يرفع من شانه حيلته ومخادعته ويعلو به على سائر المكدين يدبون على الارض دبا هو ان له من البيان سحرا ومن الحكمة خيرا كثيرا . فهو « رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه والبلاغة يامرها فتطيعه » * شاعر ناثر ناقد فقيه متكلم محيط بشتى فنون اللغة والادب والدين كأنه دائرة معارف سيارة ، ويزين مواهبه تلك انه فياض البديهة حاضرها سريع الارتجال : فهو بحر زاخر لا قرار له يتلاطم الكلام في فمه فيتدافع كالموج ، ليس له الا ان يوجه ذهنه الى معنى او فكرة حتى تنثال عليه الالفاظ وتخف اليه التعابير غير مترددة ولا متعثرة ، وعندها ترى الناس مشدوهين ينصتون اليه وكأنهم في غيبوبة لا يستفيقون منها الا وقد حلوا اكياسهم وسحوا عليه بالصلات .

وهكذا يترك الاسكندري حلقة لينتحي وفدا يلقي اليهم بشباكه هائما على وجهه من بلد الى بلد ومن جبل الى واد ، فالبلدان التي تدور في فلك حياته كثيرة متباعدة : مهامه تعقبها فيافي ووهاد تعلوها نجاد وقرى تنسخها مدن .. تترامى به المرامي وتتهادى به الموامي، فراشه المدر ووساده الحجر :

بآمد مرة وبراس عين ... واحيانا بميا فارقينا

يذرع الارض من الشام الى الاهواز ومن العراق الى نجد والحجاز ، ومن بخارى الى قزوين ، جاب الآفاق وتقصى البدو والحضر فحق له ان يقول :

انا جوالة البلاد ... وجوابة الافق

انا خذروفة الزمان ... وعمارة الطرق

وبديهي الا يظهر من كانت هذه صناعته بمظهر واحد امام الناس وبهندام سوي ، فترى شيخنا ابا الفتح الاسكندري يتلون كالحرباء في لباسه وهندامه، فهو دائما في زي منكر يستر وراءه حقيقة شخصيته تكسوه اطمار بالية واسمال خلقة فداعتمد عصا وتقلس

---

* المقامات ص 51 .
* الفقارية 70
* المقامات 98
* المضيرية 104

ونية ※ وتطلس فوطة ※ ووقف فى الناس يدعو الى الله ويمجده ويصلي على النبي وآله او يعظ مرغبا مرهبا او يسليهم قرادا او يخدعهم ساخرا منهم ومن القدر .

وتراه فى مقام آخر فى صورة حزقة كالقرنبي، اعمى مكفوف فى شملة صوف يدور كالخذروف متبرنسا باطول منه معتمدا على عصا فيها جلاجل يخبط الارض بها على ايقاع غنج بلحن هرج وصوت اشج من صدر حرج يشكو قسوة الدهر ويسأل الحسنة ※ على وجهه لثام لم يحدره الا فى حضرة عيسى بن هشام ، والغريب ان جسم الاسكندري لايثبت على حال ايضا، فهو تارة شاب فى ملء الفتى ولحية تشوك الاخدعين قد شرب ماء الرافدين ※ ليس بالطويل المتمدد ولاالقصير المتردد ※ وطورا شيخ على فرسه مختنق بنفسه سمين بدين فكأن له سلطانا على تبديل هيئة جسده بعد لباسه .

فأبو الفتح الاسكندري كما ترى لغز مبهم مظهره غير مخبره حتى انه لا يصرح باسمه او بلقبه وانما يلغز اليه لغزا ويشير اليه من بعيد ، فدون اسمه لثام لا تميطه الاعلام على حد قوله ، فهو اذ يعرف الناس بنفسه مفتخرا متبجحا بمآتيه يقول : « انا باكورة اليمن واحدوثة الزمن » انا ادعية الرجال واحجية ربات الحجال ، سلوا عني البلاد وحصونها والجبال وحزونها والاعلاق ومعادنها والاودية وبطونها . : سلوا الملوك وخزائنها والامور وبواطنها والعلوم ومواطنها ※ .

وانظر فى اثناء ذلك الى قوله : « انا باكورة اليمن واحدوثة الزمن » فانه ابتدأ يلغز فى اسمه وهو الفتح ، فاذا اخذت الاضافة فى الاسم حقيقة كان معناه ما يكون منه الفتح واذا اشتهر الاسم المركب كأبي الفتح جوزوا الاقتصار على الشخص منه كالفتح فيقال لابي الفتح الفتح اذا ارتفع اللبن كما يقال لابي الضياء الضياء وعلى هذا يصح ان يراد من قوله باكورة اليمن ثمر النبع فانه يسمى فتحا ، وباكورة الفاكهة اولها ؛ واليمن مما ينبت فيه النبع وهو شجر القسي ، وقد تكون الاشارة فيه الى الحديث : اني لاجد نفس الرحمن من جهة اليمن تبشيرا بان اليمنيين يأتون مسلمين فيفتح لهم ما اغلق من بلاد غيرهم ، فأول وفد جاء منهم الى حضرة صاحب الرسالة الاسلامية يقال له ابو الفتح والانصار انفسهم كانوا يمنيين وهم اول من نصروه من غير قريش ، قالوا واليهم الاشارة فى الحديث .. والاحدوثة ما يتحدث به واكثر ما يدور على السنة اهل الزمن واسماء الفاتحين واعمالهم كلهم آباء فتح ※

واذا صرح ابو الفتح باصل منبته ، ومطلع بدره زاعما انه من اهل الاسكندرية من الثغور الاموية ※ فانه شديد التلون فى نسبه ينتمي لسليم وعبس وحينا آخر لقريش البطاح وتارة للنبيط وطورا للعرب فنسبه فى يد الزمان كما يقول :

انا حالي من الزمان
كحالي من النسب
نسبي في يد الزما
ن اذا سامه انقلب
انا امي من النبيط
واضحى من العرب(※)

والآن وبعد هذه الرحلة السريعة في منعطفات شخصية الاسكندري وسراديبها لابد لنا من التساؤل الحاجة مدفعة ابدى شيخنا كل ذلك الجشع وطوف فى الجهات الاربع سعيا وراء المال ؟ لا . لم تكن الحاجة وحدها سببا لاسفاره الدائمة في سبيل جمع المال وكسب الخبز اليومي ، فعندما بادره عيسى بن هشام متعجبا من تصرفاته بقوله : (شد ما بلغت منك الخصاصة) تبسم وانشا يقول :

※ الاذربيجانية 45
※ الاذربيجانية 44 .
※ المكفوفية 88
※ البلخية 15
※ الجرجانية 46
※ السجستانية 19
※ المقامات 19 تعليق الشيخ محمد عبده حاشية 9
※ الجرجانية 46 – البصرية – 46 – المجاعية
※ الجرجانية 46 – البلخية 17 القزوينية 91

لا يغـرنـك الـــذي

انـــا فيـــه مـــن الطلب

انـا فـي ثـروة تشف

لهـــا بـــردة الطـــرب

انـــا لـو شئت لاتخـذت

سقوفـــا من الذهب (*)

انه التكالب على المال والبخل قاتلهما الله ، فابو الفتح الاسكندري بخيل مقتر يفوق بخلاء الجاحـــظ حرصا وجمعا ومنعا ، فليـس من (طياب البخلاء) في شيء لان نفسه سوداء سيئة الظن بالناس تحتقرهم ولا تدع فرصة للانتقـام منهم ، وذلك واضـح جلـي في المقامة الوصية (*) ، فعند ما جهز الاسكندري ولـده للتجارة اقعده يوصيه فقال : (... وكما اخشى عليك ذاك فلا آمن عليك لصين احدهما الكرم واسم الآخـر القرم ، فاياك واياهما ، ان الكرم اسرع في المال مـن السوس وان الكرم اشام من البـؤس ، ودعني مـن قولهم : ان الله كريم ، انها خدعة الصبي عن اللبن .. افهمتها لا ام لك ؟ انه المال عفاك الله ، فلا تنفقن الا من الربح وعليك بالخبز والملح ولك في الخـل والبصـل رخصة ما لم تذمهما ولم تجمع بينهما ، واللحم لحمك ولا اراك تأكله والحلو طعام من لا يبالي على اي جنبيه يقع والوجبات عيش الصالحين ... ثم كن مع الناس كلاعب الشطرنج : خـذ كـل ما معهم واحفظ كـل مـا معـك) .

اذن ، كدية الاسكندري جشع تحول الى هوى في النفس ، وصناعة صارت نمطا من انماط الحياة لا يلذ لصاحبها العيش بدونها ، لانه يجد فيها نكهة الكسب دونما تعب او نصب وقد صرح بذلك حين قال :

لا تلمنـــي لـك الرشـــا

د على كديتـــي وذق (*)

ثم ان لكدية الاسكندري وجها آخـر او سببـا آخر وهو حقده على الناس ولا سيما الاغنياء منهم :

الفقـر فـي زمـن اللئـا

م لكـل ذي كـرم علامـه

رغب الكـرام الى اللئـا

م وتلك اشراط القيامه (*)

فكثيرا ما يتذمر شيخنا من الزمان المر الـذي يوالي الحمقى ويعادي ذوي الحجى والفضل فيجرهم الى ضروب من الحياة المجهـدة (فيرتضعون من ثدي عقـم) لذلك ينبغي للمرء ان يكسب عيشه كيفمـا اتفق غير مراع في ذلك سنة العقل القويم : فالحمـق لا يدفعـه الا الحمـق :

انـــا ابـــو قلمـــون

فـي كـل لـون اكـــون

اختـــر مـن الكسب دونـــا

فـــان دهـــرك دون

زج الزمـــان بحمـــق

مـا العقـل الا الجنـون (*)

وعليه ترى ابا الفتح يقاوم فساد زمانه بحيـاة ذات وجهين : احدهما التقي والاخر الفسق ، فـلا يخدعن احد بتوبته كما خدع عيسى بن هشام وصحبه في المقامة الخمرية اذ تمنـوا فـي باديء الامـر الا يحرمهم الله مثل توبته ، ثم قصدوا حانة عرفوا فيهـا ان الاسكندري هو شيخ احدى غانياتها وعندما عجبوا لامره قال لهـم :

دع مـــن اللـوم ولكـن

اي دكـــاك تـرانـــي ؟

انـــا مـن يعرفـه كـل

تهـــام ويمانـــي

---

* الكوفية 28
* المقامـات 204
* الاذربيجانيـة 45
* البصـريـة 66
* المكفـوفيـة 81

انـــا مـــن كـــل غبـــــار

انـــا مـــن كـــل مـكـــان

ساعـة الـــزم محـرابـا

واخـــرى بيـــت حـــان

وكـــذا يفعل من يعقـــل

فـــي هـــذا الـــزمـــان

وفي المقامة الساسانية كذلك يعرض الاسكندري للزمان القشوم الذي يطفـو فيه الجاهلـون ويرسب العاقلون، وتحس في كلامه نقمة مكبوتة وتذمرا، قال:

هـــذا الـــزمـــان مشـــوم

كمـــا تـــراه غشـــوم

الحمـــق فيــــــه مليـــح

والعقـــل عيـــب ولـــوم

والمـــال طيـــف ولكـــن

حـــول اللئـــام يحـــوم

وعلى هذا تجاوزت نقمة الاسكندري الزمـــان الى الناس وتحكمت في نفسه مرارة التشفـي منهم فكان راس اهدافه من الكدية أن يخدعهم ويغصبهـم اموالهم فينزع منهم بعض ما خصهم به الدهر قنصا، ولم يكن ليلجأ الى ذلك عن طريق المداورات والخبث وانما كان يصرح بلذته في المكر بالناس لإنه يحتقرهم ويزدريهم فى قرارة نفسه وفي ذلك يقـول:

النـاس حـمـــر فجـــوز

وابـــرر عليهـــم وبـــرز

حتـــى اذا نلـت منهـــم

مـــا تشتهيـــه فـفـــروز(*)

وهكذا كانت الكدية عند أبي الفتح الاسكنـدري جشعا مفرطا وانتقاما من الزمان وردة فعل فى وجهه.

---

* الاصفهانيـة ـ 154.

الثعلـــب والعـوسجـــة

اراد ثعلب أن يصعد على حائط، فتعلق بعوسجة، فعقرت يـــده، فاخـــذ يلومهـــا، فقالت: «يا هـــذا قد اخطـات حيـــن تعلقت بـــي، ومـــن عـــادتـــي أن أتعلـــق بكـــل شـــيء!».

الغـــزال والكلـــب

عـــدا كلـــب خلف غـــزال، فقال لـــه: «لـــن تلحقنـــي» قال: «لـــم؟» قـــال: «لأنـــي أعـــدو لنفســـي وأنـــت تعـــدو لصاحبـــك!».

سوف لا وهل لا

للأستاذ : محمد بن تاويت

من قبل بثمان سنوات كنت أنشر تحت عنوان « من اخطائنا الشائعة » استعمالات من هذا القبيل ، فكان من بين ما نشرت هذا التعبير « سوف لا » الذي نبهت على انه تعبير خاطيء ، ولحن شنيع ، وعدوى فتاكة ، اتتنا من اولئك الذين أعداهم التعبير الانجليزي Shall not او Will not وهو صنيع لا يوجد ـ فيما نعرف ـ الا في اللغة الانجليزية ، لايوجد هذا النفي متصلا اتصالا دائما بأداة الاستقبال ، في الالمانية التي تنهي جملتها في هذه الحال بالفعل آتيا بعد اداة النفي ، ولا يلزم أن تكون هذه الاداة متصلة بأداة الاستقبال ، كما هي في الانجليزية ، بل يفصل بينها وبين اداة الاستقبال فواصل من متعلقات الفعل وغيرها ، ولا يوجد في الاسبانية التي تسبق فيها أداة النفي ثم تتصل بالفعل الذي تاتي في نهايته علامة الاستقبال ، ولا يوجد في الفارسية التي تسبق فيها اداة النفي متصلة بها في نهايتها اداة الاستقبال ، فهي في هذا توافق الاسبانية بسبق اداة النفي وتخالفها بكون اداة الاستقبال تخلف بها مباشرة ، ولا يوجد في التركية التي تاتي فيها اداة النفي متصلة بنهاية الفعل ثم تتصل بها اداة الاستقبال ، وبذلك توافق الاسبانية في كون اداة الاستقبال في النهاية ، وتخالفها في كون اداة النفي تتوسط فيها بين الفعل واداة الاستقبال ، بينما هي في الاسبانية تتقدم الفعل كما راينا ، وتخالف الانجليزية والالمانية مخالفة تامة (*)

ولنعد الى أداة الاستقبال في عربيتنا ، فتجدها تتقدم الفعل ، مثبتا كان او موجبا ، ولكنها مع ذلك تختلف في لفظها ، باختلاف الفعل ايجابا ونفيا : ففي الايجاب تكون « سوف » التي اختزلت فصارت « سو » او « سف » أو السين ، وهذه الاخيرة هي التي تروج روجان الاولى (*) . أما ان كان الفعل منفيا ، فلا تاتي بشيء من « سوف » ومختزلاتها بالمرة، وانما تاتي بأداة اخرى مخالفة لها تماما في حروفها وهي « لن » فلا نقول « سوف لا ياتي » مثلا ، وانما تقول « لن ياتي » قال تعالى : « لن تراني ، ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني » . فها نحن راينا في الآية الاستقبال منفيا فعله بحرف « لن » ثم راينا مثبتا فعله قد أتى بحرف «سوف»

اذن فقولهم « سوف لا » استعمال غير عربي ، وانه اعدى الذين قلدوا الاستعمال الانجليزي ، في كتابتهم العربية ، فقلدناهم نحن ، بحكم الثقة التامة ، وسرت فينا هذه العدوى سريانا فتك بعامتنا ، بل انه فتك حتى باعلام من علمائنا

نعم ، نقول هذا وامامنا عشرات الشواهد عليه ، ونقول انه فتك بأعلام من علمائنا ، وهو ما حدا بنا الى ان نعود الى الكتابة فيه ؛ استمعت الى صديق لي عالم بالعربية ـ وهو ما يعنينا ـ ، وعالم بغير اللغة ايضا ، ويعلم الله اني ما جلسته الا استفدت من علمه ومع هذا فقد قرا علي من انشائه عبارة « سوف لا »

---

* كنا قد نشرنا في احد أعداد مجلة « الانوار » الصادرة سنة 1950 بحثا في اداة الاستقبال ، علقت عليه آنذاك مجلة IBLA
* المغني لابن هشام

فقلت له على سبيل المداعبة والتنبيه ، بل التذكير: « سوف لا اسمح لك بسوف لا » ولم اشا ان اقول له « ان اسمح لك بسوف لا » حتى لا أضع نفسي موضع الملقن . فاخرج قلمه وخط خطا على « سوف لا » .

واستمر في قراءته لقصته ، الى ان انتهى الى هذا التعبير « هل لا » فقلت له : وهذه ايضا ، ضع عليها خطا »

لقد راعني التعبير الاول من صديقي ، لانه عدوى فتاكة ، كما قلنا ، واستغربت منه التعبير الاخير ، ولم يرعني ، لانه « لا عدوى فيه ولا طيارة » ، وانما فيه خداع نبهنا اليه من رجال النحو والبلاغة معا ، قال أولئك ان « هلا » ليست للاستفهام وانما هي للتحضيض ، وقال رجال البلاغة ، في بحوثهم المعانية ، ومعهم رجال النحو واللغة ان هل الاستفهامية لا تدخل على المنفي . ولامر ما قال الزمخشري — رحمه الله — انها اخت « قد » اساسا ، وان الاستفهام بها لم يكن نصا في معناها ، بل طرا عليها بعد الوضع ، وذلك بكثرة ورودها مع هذا الاستفهام ، فكان الاصل في « هل جاء فلان » مثلا ، هو « أهل جاء فلان » . ثم بكثرة الاستعمال ، استغني عن هذه الهمزة واكتفي بهل وحدها ، فاستفهموا « هل جاء فلان » ؟ كأنهم استفهموا بـ « قد جاء فلان » ؟ بدون ذكر لاداة الاستفهام (أ) ، كما هو معروف في كثير من اللغات ، التي لا تتوفر على اداة خاصة بهذا الاستفهام

وبهذا فان الهمزة الاستفهامية حذفت في الايجاب ، اما في النفي فلا بد من ذكرها ، فنقول « ألا تحبون أن يغفر الله لكم » — كما في القرآن الكريم — ولا تقول « لاتحبون » ، مريدين به الاستفهام .

ونظير هذا الرابطة « أيس » فقد اختفت نهائيا من العربية ، في الايجاب ، ولكنها بقيت فيها عند النفي ، فهي « ليس » المعروفة من اخوات كان نجد في معاجم العربية الكبرى « ايتني من أيس وليس » ، ونجد الجاحظ ، وهو يتكلم عن تعابير المناطقة يعد من بينها « أيس وليس » (*)

اذن فقولهم في الاستفهام « هل لا » تعبير خاطيء ، والتعبير الصحيح « الا » كما مثلنا له من القرآن ...

فان وقع مثل ذلك من مثل عالمنا المذكور ، فما اكثر ما يقع فيه العلماء من تواقه الاخطاء ، حتى يكونوا على ذكر من ان الله وحده هو صاحب الكمال ، وانه هو المنزه عن السنة والنسيان ، اما نحن بني الانسان ، فلا نستطيع ، مهما كنا ، ان نتخلص من ربقة الاخطاء وقبضة الاغلاط ، وغرور منا وخداع لطبيعتنا أن نتحمل ما لا طاقة لنا به ، أو نتظاهر بذلك.

ولعلي بالقاريء الكريم ، يتساءل : لماذا كان الزمخشري لامر ما يقول بان هل اخت قد ؟ وهل هذا القول مما يدعم قضيتنا ؟

اما هذا الامر « المرض » فانهم قالوا بأن « قد » لا تكون في حيز النفي : قال بذلك النحاة ، ولحنوا المناطقة في قولهم « قد يكون وقد لا يكون » ، بل اننا وجدنا ، من قبل بثلاث مائة والف سنة ، جميل بثينة يلحن بهذا فيقول :

الا قالت بثينة اذ راتني
وقد لا تعدم الحسناء ذاما

وهذا اقدم نص وردت فيه قد هكذا ، وكان من طوالع اللحن الذي شاع في العربية ، شيوعا ارتاع له أبو الاسود كما يقال ... ومما لم يزل عالقا بالذاكرة ، من دروسنا التي تلقيناها ، اول ما تلقينا من دروس النحو ، أن « قد للتحقيق ان دخلت على الماضي ، وللتقليل ان دخلت على المضارع » ثم علمنا أن لها خمسة معان او ست كما في المغني . وعلى كل فان تلك الخمس يمكن ان ترد الى ما سبق العلم به فان كانت في التحقيق فلا معنى لتحملها النفي ، وان كانت للتقليل ، فهي مترددة بين الوقوع وعدمه ، وحينئذ فلا لزوم للخروج من حيز الايجاب — وهو الاصل — الى حيز السلب ، وهو فرع ، فالاصل الاستصحاب ، كما يقال ...

اذا تقرر هذا بان لنا الجواب عن السؤال الثاني ، فيكون بالايجاب . وهو ان راي الزمخشري

(*) كنا قد نشرنا سنة 1947 في مجلتي «الرسالة» و «الثقافة» بالقاهرة ، بحثا عن « ليس » ، ثم توسعنا في هذا البحث فشمل « ليت » و « لات » ونشرناه في احد اعداد مجلة « الانيس » الصادرة سنة 1950 .

مما تدعم به قضية امتناع اتصال هل الاستفهامية بالنفي ، فلا يقال هل لا ولا هل لم ولا هل لن ، بل يقال : « الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم » ، « الم نشرح لك صدرك » ، « ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم » ، كما هي في القرآن الكريم .

وبقي السؤال عن المعنى الذي استعمل فيه المناطقة ، ومن قبلهم جميل ، « قد لا » ، فالجواب اننا نضع بدل ذلك « ربما » مع اداة النفي المطلوبة ، وفي غير ذلك « لما » بتشديد الميم .

واخيرا فيبدو ان « لن » مؤلفة من لا + ن التوكيد ، ولهذا قال الزمخشري فيها انها لتأبيد النفي ، وهذا التأبيد هو الذي استغلته الاستقبال في حالة النفي ، لينال حظه الزمني منه .

والملاحظ ان الناس يخطئون بسوف لا ، ولا تراهم يخطئون بسلا مثلا . ولعلهم في ذلك استسهلوا اقحام النفي بين سوف ومضارعها ، ولم يجدوا مكانا لذلك ، وقد اتصلت تماما هذه السين بمضارعها ، حتى صارت جزءا منه ، زيادة على كون المقلدين الاولين اخذوها على هذا الاستقلال بنفسها ...

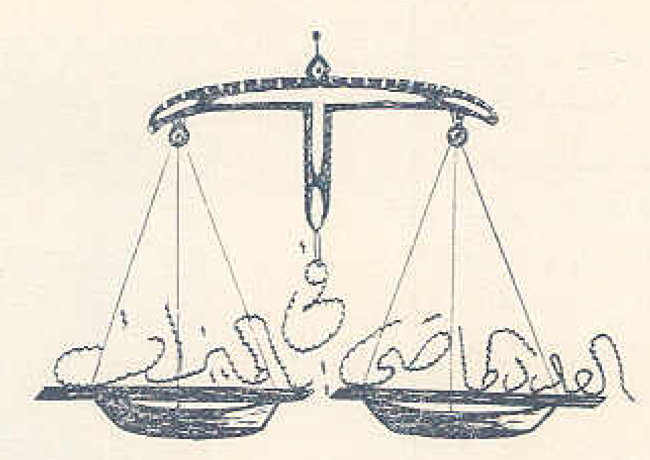
ومن اشنع الشنائع واغرب الغرائب ، أن قوما من كتابنا (الصحفيين) وامثالهم ، في الغرب والشرق ، صاروا يستعملون « سوف لن » ، فيجمعون بينهما ، وهو منتهى الاستهتار بهذه العربية الحليمة .

اما فيما يتصل « بهل لا » — بالانفصال أو الاتصال — فاننا وجدناهم يخطئون بذلك ، ولا نجدهم يخطئون بهل لم او هل لن فلعلهم سهل عليهم ذلك الخطأ ، بسبب التشابه بين « هل لا » ، التي استفهموا بها ، وبين « هلا » للتحضيض ، التي قلنا انها خدعتهم فانساقوا من غير ما يشعرون الى استعمالها — كذلك أو منفصلة — في الاستفهام ، وما دروا أن التحضيض ان كان بها مع لا ، فان كلتيهما قد نسيت معناها ، على انفراد : فلا « هل » تعترف بالاستفهام ، ولا « لا » تعترف الآن بالنفي ، أما ان كانت هلا (كذا خلقت) (فلا اشكال والله تعالى أعلم) .

محمد بن تاويت

اللجام لي ...

قال أبو عبيدة : أجريت الخيل ، فطلع منها فرس سابق ، فجعل رجل من النظارة ، يكبر ، ويثب من فرط الفرح ، فقال له رجل الى جانبه : يا فتى ، هذا الفرس فرسك ؟ قال : لا ولكن اللجام لي ...



للأستاذ : محمد العربي الخطابي

انـــه لمن الادعـــاء الممقوت ان يتصدى ناقـد واحد ، مهما اوتي هذا الناقد من سعة الافق الثقافي وسلامة الحاسة النقدية ، لتقييم (او تقويم كما يريد اللغويون) مجموعة من المقالات والدراسات والقصائد يضمها عدد واحد من مجلة على اختلاف في الموضوع والاتجاه والاسلوب .

لاجل ذلك فانني اريد ان اتحاشى القول بانني ساضع **العدد الماضي** من مجلة « دعوة الحق » في الميزان ، لانني بذلك ساضع نفسي في ميزان لن ترجح كفتي فيه قطعا . وساقتصر على استعراض مواد **العدد الماضي** مبديا رايي – في اغلب الاحيان – على الشكل ، وفي احيان قليلة على الموضوع ، حينما يكون لي في ذلك راي تمليه الحقيقة والمقاييس المعروفة او مجـرد التذوق الخاص .

منذ سنوات ؛ ولعل ذلك كان سنة 1959 ، شاء لي الاخ الاستاذ عبد القادر الصحراوي ، ان اضع احد اعداد « دعوة الحق » في الميزان ، وبعيدا عن الادعاء لاحظت حينذاك ان المجلة ، او بالاحرى ذلك العدد الذي كلفت بتقويم مواده ينقصه الطابع المغربي، حيث كانت جل المواضيع تتناول اشياء ليست مغربية، وكان ذلك في نظري نقصا يجب تلافيه ، لان رسالة كل مجلة ثقافية – الى جانب التعريف بالتراث الانساني المشترك – ابراز الطابع الثقافي والحضاري الوطني واظهار عبقرية الامة في المجالات الفكرية والشعورية المختلفة ، وقد حرصت مجلة دعوة الحق منذ ذلك الحين – شعورا منها برسالتها – على خدمة الثقافة والحضارة المغربيتين ، الى جانب تعريفها بالفكر الانساني والتراث المشترك بين كل الشعوب .

والعـدد الذي بين يدي الان يسير على هـذا النهج ، ولا بد في بداية الامر من التنويه بتبويب المجلة الذي يسهل الاستفادة منهـا .

فالدراسات الاسلامية تبـدأ بحصـة التفسير حيث قام الاستاذ ابو العباس احمد التجاني بتفسير الآية الكريمة « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » ، وقد شاء المفسر ان يستعرض اقوال بعض الغربيين في الرسالة المحمدية وفي الاسلام ، فبدأ بمقدمة طويلة ذكر انه نقلها عن « جون لابوم » من كتابه تحليل القرآن ، وتعرض فيها للحالة التي كان عليها العالم ، وجزيرة العرب بصفة خاصة ، في القرن السادس الميلاد ، كما نقل الاستاذ التجاني اقوالا اخرى عن (لامارتين) و (البطريق ميشو) مستدلا بها على اهمية رسالة النبي (ص) وعلى قيمة الاسلام ، ولست اراني متفقا مع الاستاذ الجليل في حشر اقوال لطائفة من كتاب الغرب او مؤرخيه ، لانني لا ارى لذلك علاقة مباشرة في شرح الآية الكريمة التي اظن انها لم تف حقها من الشرح ، ولست ارى كبير فائدة في الاتيان باقوال علماء غير مسلمين للاستدلال على نبل مقاصد الاسلام وسلامة اركانه ، وبخصوص النص الذي نقله الاستاذ الجليل ابو العباس عن ميشو ارى فيه دسا ، حيث قال : « **من المحزن** في حق الامم المسيحية ان يكون التسامح الذي هو قانون التراحم بين الشعوب علمه لهم المسلمون » ، فالذي يفهم من كلامه ان سبق الاسلام الى التسامح شيء يحز في النفس ويبعث **على الحزن** . مع ان الاسلام لم يعلم الغرب التسامح فقط بل لقنه دروس الحضارة التي مهدت لعصر النهضة الاوربية .



وبعد التفسير تاتي حصة الحديث النبوي حيث شرح الاستاذ محمد الطنجي الحديث الشريف: (اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل ...) فجاء شرحه وافيا بالغرض بما اشتمل عليه من ادلة مستمدة من كلام الله وإيضاح بارع لاغراض شريعة الاسلام ، كل ذلك في اسلوب سلس واضح ، واعتقد ان هذه الطريقة في شرح الاحاديث النبوية ذات فائدة كبيرة وخاصة بالنسبة للشباب الذين ارى ان نخصهم باكبر قسط من الدعوة الاسلامية باسلوب بعيد عن التزمت والتجهم المنفرين .

وبعد حصة الحديث جاء مقال قيم للاستاذ احمد انور الجندي بعنوان « الاسلام ازاء الفكر الغربي » وهذا الموضوع الطريف قد استأثر باهتمام طائفة من العلماء المستنيرين في العالم العربي الحديث وفي مقدمتهم الدكتور محمد البهي الذي افرد له جهدا حميدا .

وقد استعرض الاستاذ السيد انور الجندي في هذا المقال طائفة من آراء بعض مفكري الغرب الذين نددوا بتعصب بعض العلماء المسيحيين وتحاملهم على الاسلام انطلاقا من نظرة خاطئة بعيدة عن الاسلوب العلمي الذي يتحرى الحقائق ، وقد استخلص الاستاذ الجندي من اقوال المنصفين والمتعصبين « ان جوهر الاسلام النقي وقوته الذاتية بالرغم من الضباب التي رسمت صورته من خلاله ، وهذه الاتهامات المريرة الذاهبة في اطواء الحقد والتعصب ،

قد استطاع ان يكشف عن نفسه وان يدل على مفاهيمه الاساسية » .

وتحدث الاستاذ السيد محمد بنعبد الله عن الفراغ الروحي فلاحظ ان هذه الصفة اصبحت من مميزات عصرنا ، وان « اشد الشعوب احساسا بذلك الفراغ ارقاها حضارة » فهل يكون السبب يا ترى في هذا الفراغ هو فكرة فصل الدين عن الدولة في اوربا ، ودعوات الالحاد القائمة في بعض الشعوب ؟ ان الكاتب الفاضل ذكر ان ذلك من اهم الاسباب .. ولعل الاسباب الاخرى كامنة في طبيعة الحضارة المعاصرة نفسها ، تلك الطبيعة المعقدة المادية المعتدة كل الاعتداد بالاستدلال العقلي التجريبي ، اما فصل الدين عن الدولة في الدول المسيحية فقد كان امرا طبيعيا في نظري .. لان الدين المسيحي كما عرف عند الامم الغربية له صفة كهنوتية اكليرجية محض ، وهو بذلك يختلف عن الاسلام الذي هو نظام كامل: دين ودنيا .

وشاء الاستاذ ابو عبد الله ان يتحدث عن « تدين المراة المسلمة » وانني لاسأل الاستاذ الكريم ان يحدثنا في مقال لاحق عن الكيفية التي يمكن ان توفر لمجتمعنا امراة متعلمة ومتدينة في آن واحد ، امراة تعرف حقوق ربها ونفسها واسرتها ومجتمعها ، انه موضوع جدير بالاهتمام والدراسة على ما ارى .

وختم الاستاذ محمد العربي الشاوش باب الدراسات الاسلامية بمقال (الاسلام فلسفة ونظام) فابرز بعض القيم التي يمتاز بها هذا الدين كالعدل والمساواة والاخوة والتوحيد وحرية الفرد والفكر ، والتسامح وشمول الرسالة .

ونجد في الباب التالي « ابحاث ومقالات » مقالا للاستاذ احمد زباد بعنوان « ثقافة العصر » لاحظ فيه ان ظروف الثقافة في العالم العربي قد تغيرت من عمق القديم الى سطحية الجديد ، وعد ذلك اصلا في الازمة الثقافية العربية ، ويرى الاستاذ زباد ان ثقافة هذا العصر اصبحت تلزم المثقف بان يكون على بينة مفصلة ومدققة من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية في بلاده وفي البلاد الاخرى ، وان

يعرف البون الشاسع الذي يفصل بين عالمين احدهما متقدم والاخر في طريق النمو ، ولعل هذا الذي يدعو اليه الاستاذ زياد هو ما قصد اليه مؤتمر الكتاب الاسيويين الافريقيين المنعقد في طشقند (1958) وفي القاهرة (1962) حيث بحث وضع الثقافة فيما يسمى بالعالم الثالث وعلاقتها بثقافة العالم المتقدم واظن ان معالم الطريق قد بدات تتضح شيئا فشيئا امام مثقفي الدول النامية .

وحلل الاستاذ حسن السائح (خصائص المدرسة الحديثية المغربية) بعد مقدمة طويلة عن خصائص علم الحديث وموضوعه ومكانته من القيادة الفكرية الاسلامية ، ومما يلفت النظر ما قاله الاستاذ السايح من ان المغاربة اخذوا انفسهم بالشدة في معالجة قضايا الدين واتباع النهج الصحيح ، وفي نظري أن هذا الراي في حاجة الى تحليل ودراسة وافية ، هل هذه الشدة كانت ناتجة عن تعصب او عن رغبة في استقصاء الحقائق او عن جبلة يمتاز بها الشعور الديني عند المغاربة ؟ وهل كان لهذه الشدة اثر ظاهر في الحياة الفكرية والثقافية ببلادنا عبر الاجيال ؟ ان الموضوع الذي تناوله الاستاذ السايح هام جدا ، واعتقد انه يتطلب دراسة اطول واكثر تحليلا ، فقد اقتصر المقال او كاد على اعطاء لمحة تاريخية عن المدرسة الحديثية المغربية ، وبقي عليه ان يبرز لنا بتفصيل خصائص المدرسة ذاتها مع تحليل منحى علماء الحديث المغاربة ، ولعله سيفعل ذلك مشكورا .

وتحدث الدكتور جمال الرمادي عن الصحافة من حيث هي مهنة ورسالة وعن العلاقة بين الصحيفة والجمهور في مقال بعنوان « نظرات في الصحافة » ، وقد لفت نظري في هذا المقال قول الكاتب : « من الصعب على الجريدة ان ترتفع عن مستوى القراء ، ولذلك كان من الصدق ان نقول ان للامة الجريدة التي تستحقها » .

وياتي بعد ذلك مقال للاستاذ محمد زنيبر عن نجيب محفوظ ، او على الاصح القسم الاول من المقال الذي جعله الكاتب بمثابة تمهيد للدراسة التي اعدها عن نجيب محفوظ ، هذا الكاتب الذي لا تكاد تخلو صحيفة او مجلة عربية (شرقية) من مقال أو دراسة عنه .

وكتب الاستاذ عبد اللطيف خالص في نفس العدد القسم الاول من دراسة هامة بعنوان « اهمية الدراسات الادبية » وقد كان بودي ان اناقش الاستاذ الكريم في هذا الموضوع الهام لو ان الدراسة كانت تامة ، خصوصا حول مفهوم الثقافة والمعرفة والصراع بين الثقافة الادبية والثقافة العلمية ، وذلك بمناسبة ما اثاره في القسم الاول من مقاله من كلام عن الاختلافات القائمة حول تاريخ الادب والاكتفاء بالدراسات النقدية او الرجوع الى امهات الكتب التي خلفها عباقرة الفكر والادب ، وذلك لانني اعتقد ان المشكل لا يقف عند حد الرجوع الى الامهات او الاكتفاء بالدراسات المختصرة عنها ، بل انه يشمل مفهوم الثقافة نفسها والفرق بينها وبين المعرفة ، ومن الصواب ان ننتظر جواب الاستاذ خالص على السؤال الذي طرحه في آخر القسم الاول من مقاله ، ولعله ان يشفي من قرائه الغليل ، غير انني اريد ان اقول للاستاذ الكريم بان القضية التي يتناولها بالدرس قد تجاوزت مدرسة رينان صاحب (مستقبل العلم) قد تجاوزته زمنا وتشعب موضوع ، ولا شك ان الاستاذ خالص مدرك هذا .

وفي نفس العدد دراستان احداهما للاستاذ عبد الله العمراني عن معركة القصر الكبير (وادي المخازن) والاخرى للاستاذ عبد الله الجراري عن قصبة الرباط في مراحل التاريخ .

واعتقد ان هذه الدراسة الاخيرة فريدة في بابها لم يفرد لها مؤرخ مغربي دراسة خاصة ، حسب علمي ، وبالرغم من ان بحث الاستاذ العمراني عن معركة القصر الكبير لم يتم بعد ، اذ له بقية ، فالذي يبدو ان الاستاذ الفاضل قد بذل مجهودا يشكر عليه في تقصي المعلومات المتعلقة بهذه المعركة ، واستشار عدة مراجع في الموضوع ، واعتقد ان مثل هذه الابحاث التي تنشر متفرقة في المجلات والصحف والتي يبذل فيها اساتذة مطلعون امثال السادة محمد الفاسي

وعبد العزيز بنعبد الله والجراري والعمراني .. يمكن ان تؤلف نواة الكتاب كامل عن تاريخ المغرب الذي ما زلت اعتقد انه لم يكتب لحد الآن كاملا وباسلوب علمي منهجي .

اما الاستاذ محمد العلمي الذي كتب كلمة عن توحيد القوانين في المغرب ، كما يفهم من العنوان ، الا انه ذهب في صلب المقال مذهبا بعيدا وهو توحيد القوانين بين جميع الدول العربية ، فلا يسعني الا ان ابارك معه كل دعوة او مجهود ينحوان هذا المنحى .

ونقف مع الاستاذ المهدي البرجالي على دراسة قيمة عن الجامعة الذرية الاوربية ، وقد تخصص الاستاذ البرجالي في ميدان الدراسات الدولية ، ولعلني لا اكون مبالغا ان قلت بانه الكاتب الوحيد الذي يتناول مثل هذه الدراسات بعمق وتفهم ووعي للاحداث السياسية والاقتصادية وخاصة في المجال الدولي وهو يضاهي في ذلك كبار الكتاب المتخصصين في هذا الميدان في الدول الغربية ويتفوق على كثير من المعلقين العرب الذين تتسم دراسات بعضهم بالسطحية .

وياتي بعد مقال الاستاذ البرجالي — الذي له بقية — تعقيب للاستاذ محمد بن تاويت بعنوان: « رد الصدر على العجز » الذي يؤلف جزءا من نقاش يدور بينه وبين الاستاذ الحلوي في موضوع تقصر معارفي عنه .

وديوان المجلة محتو على قصائد خمس احداهما من الشعر العربي القديم ، وبما أن الشعر عندي حاسة وتذوق اكثر مما هو معرفة ومقاييس ، فانني افضل ان امر مر الكرام على القصائد الخمس لانوه بحسن اختيار الاستاذ عبد القادر زمامة للكتاب الذي علق عليه ، وهو « المشرق في نظر المغاربة والاندلسيين في القرون الوسطى » للدكتور صلاح المنجد ، واشد من جهة اخرى على يد الاستاذ محمد برادة الذي يوفق دائما في ان ينقل الى قرائه اصداء الثقافة والفكر ، واصل الى قصة « الديك الاحمر » للاستاذ عبد القادر زمامة التي ارادها اقصوصة رمزية وكتبها باسلوب جميل سهل مع ضعف في الحبكة القصصية .

الرباط : محمد العربي الخطابي





للأستاذ : محمد بن عبد العزيز الدباغ

فى سنة 1941 أصدر الاستاذ . ا . لفي بروفنصال مجموعة وثائق سياسية يرجع عهدها الـى عصـر الموحدين تتضمن عددا من رسائلهم الادارية وتصـور نماذج حية من اساليبهم فى تسيير الدولة وتبرز خطتهم فى كيفية نشر هم لاخبارهم وسعيهم فى اذاعتها واشاعتها بين عمالهم واعوانهم وانصارهم فى كل مكان .

وتشتمل هذه المجموعة على سبع وثلاثين رسالة كتبت باقلام اشهر كتاب الدولة ، أظهروا فيها براعتهم ونوعوا فيها اساليبهم فكانت نموذجا صالحا لـلادب العربي فى احدى فترات ازدهاره ببلاد المغرب .

وهؤلاء الكتاب هم ابو جعفر بن عطية واخوه ابو عقيل وابو الحسن بن عياش وابو الحكم بن الموخي وابو القاسم المالقي وابو الفضل بن محشرة وابو عبد الله بن عياش (*) .

وهم يعدون بحق من المع الكتاب واقدرهم علـى تبليغ المعاني وتبينها بالفاظ جزلة رصينة جذابة متأثرة بالادب العربي القديم وبالايات القرآنيـة والاحاديـث النبوية والامثال السائرة .

وقد كان لنشر هذه الرسائل اثر فى التعرف على كثير من الاحداث المتعلقة بحياة هاته الدولة واخبارها وعلى الاطلاع على كثير من انظمتها فى الحرب والسلم .

لقد كانت هذه الرسائل مظهرا قويا لايمـان الموحدين واعتقادهم فى الامام المهدي الذي كان الممهد الاول لتاسيس دولتهم والعامل الاساسي فى تغييـر الاوضاع ببلاد المغرب حيث اثار الفتنة ضد المرابطين واذكى روح المقاومة فى نفوس اتباعه فاستهانوا بالاخطار واستمسكوا بالعقيدة الجديدة التي دعاهم اليها فآمنوا به وآزروه ونصروه واستماتوا من اجل الدفاع عنـه وعن افكاره حتى بلغ بهم الامر اذا دعا احدهم أن يقتل اباه او أخاه او ابنه بادر الى ذلك من غير ابطاء (*) .

وقد رايت ان اعرض بعض الصور المقتبسة مـن هاته الرسائل وان اتحدث عن بعض الاحداث والوقائع المستنتجة منها لتكون نبراسا وضاء للتطلع على حياة هاته الدولة وحياة ملوكها .

وقد جزأت الموضوع الى اقسام اربعة :

القسم الاول — يتعلق بحياة عبد المومن بن علي وصدر عنه فى الرسائل المنشورة ثلاث وعشرون رسالة

القسم الثاني — يتعلق بحياة يوسف بن عبد المومن ويرتبط بثلاث رسائل

القسم الثالث يتعلق بابي يوسف يعقوب المنصور وصدر عنه تسع رسائـل .

القسم الرابع — يتصل بالخليفة الناصر وقد صدرت عنه رسالتان

القسم الاول :

عبد المومـــن بن علـــي

أما عبد المومن بن علي فهو احد الصحابة العشرة الذين اختارهم المهدي وجعلهم ركيزة دعوته واسـاس دعايته ، كان اقواهم صبرا على القتال واشدهم مراسا واربطهم جاشا خبره المهدي فى حياته وسبر غوره فرآه

* فى مقدمة هاته الرسائل تعريف وجيز بهؤلاء الكتاب بقلم الاستاذ ا لفي بروفنصال
* المعجب فى تلخيص اخبار المغرب للمراكشي صفحة 117 الطبعة الاولى .

اصلح الناس للولاية من بعده فجمع المصامدة ودعاهم الى بيعته في خطبة رائعة قال فيها : « .. وقد اخترنا لكم رجلا منكم وجعلناه اميرا عليكم ، هذا بعد ان بلوناه في جميع احواله من ليله ونهاره ومدخله ومخرجه واختبرنا سريرته وعلانيته فرايناه في ذلك كله ثبتا في دينه متبصرا في امره واني لارجو الا يخلف الظن فيه))

وقد تحقق امل المهدي في صاحبه فتولى شؤون الدولة بحزم منذ ولايته سنة 524 هـ وحمل لواء الدعوة صامدا في وجه الاعداء عاملا على نشر عقيدة الموحدين في المغرب كله وفي الاندلس وقد كان بارعا في تحقيق الاهداف عاملا على اختيار ولاته وعماله من اقدر الناس علما ودراية بالمشاكل السياسية والادارية لذلك اسس في مدينة مراكش مدرسة ادارية كبرى ضمت ما يقرب من ثلاثة آلاف طالب عودهم على التسيير الاداري والقيادة العسكرية واختار من بينهم عماله وولاته في كل الاقاليم التي اصبحت تحت امرته وكان يشترط على جميع الطلبة قبل الخروج من المدرسة ان يكونوا عالمين بالعقيدة التي دعا اليها المهدي لانه كان يرى ان توحيد العقيدة مدعاة الى توحيد الراي وتطهير النفس من الادران وترغيبها في الجهاد .

وقد كان لسياسة عبد المومن اثر في تسيير الدولة وفي حفظها من الانهيار بل كان يرى ان الموحدين يجب عليهم ان ينشروا مبادئهم في العالم كله ، وان الواجب على سكان البسيطة ان ياتوا اليهم طائعين مهطعين وهذا دليل على ان طموح الموحدين كان بعيدا بعيدا .. يظهر ذلك في احدى رسائله التي ارسلها الى اهل قسنطينة بالجزائر يدعوهم الى التوحيد ويهددهم اذا لم يستجيبوا لندائه قال لهم ... فبادروا – وفقكم الله – الى اجابة منادي الحق وداعيه واسعوا الى الخير باعماله المزلفة ومساعيه وسارعوا بالتوبة النصوح تسارع الراغب بدينه المقبل الى ما يعنيه الصارف نفسه عن ما كانت تكسب من الاثم وتجنيه . واعلموا ان الواجب عليكم وعلى جميع عمرة البسيطة اتيان هذا الامر العزيز في محل قيامه والهجرة اليه وقت ظهور دلائله وارتفاع اعلامه وهجر الاوطان والقطان لطلب الرضوان به واغتنامه فكيف به وقد اظلتكم في عقر دياركم رايته وتجلت بين اظهركم آيته وتأكدت في الوجوب عليكم واللزوم لكم ولايته وولايته واستغفروا الله انه كان غفارا وتوبوا الى الله توبة تظهر تعويلكم عليه اظهارا واحذروا ثم احذروا تماديا واصرارا واحرصوا على ما ينجيكم وقوا انفسكم واهليكم نارا . وكونوا – ارشدكم الله – ممن سار على الواضحة احسن سيره وسارع الى نعيم هذا الامر وخيره واذكروا ما حاق بالمتوقف عنه من سوء مآله وصيره واتعظوا بغيركم فالسعيد من وعظ بغيره)) (*) .

وفي هذه الرسالة ذكر انه سيصب العذاب والعقاب على كل من لم يستجب لدعوته ولم يتعظ بآياته فالبوار والدمار والهزيمة والعار كل ذلك يتربص بالذين يتقاعسون عن البيعة او يترددون فيها .

وكانت لهجة الرسالة قوية ، فيها ايمان بالنصر والظفر وثقة بهزيمة المعارضين فاضطر حاكم قسنطينة آنذاك وهو يحيى بن عبد العزيز الصنهاجي ان يتنازل عن حكمه وان يطلب الامان من الخليفة الموحدي فقبل رغبته وحمله مع جماعة من زعماء صنهاجة الى مراكش حيث جعلها مقر اقامتهم فاكرم مثواهم واستالف قلوبهم واستمالهم بالاحسان . قال المراكشي : « فحين وصلوا الى مراكش امر لهم بالمنازل المتسعة والمراكب النبيلة والسكنى الفاخرة والاموال الوافرة وخص يحيى من ذلك بأجزله واسناه واحفله (*)))

وفي فتح قسنطينة سنة 547 هـ كتب عبد المومن رسالة الى طلبة تلمسان يخبرهم بالنصر وبدخول يحيى ابن عبد العزيز الصنهاجي في طاعة الموحدين قال فيها : « وكان التخييم الملاصق والتدويم المراهق والحق يتجلى والنصر يتوالى من اظهار الطائفة العزيزة ما يتولى الى ان صرف الله الباب القوم المذكورين الى قبلة الاصابة واراهم ان النجاة في جانب هذه العصابة والحياة في قرارها الذي هو مقر اليمن والمثابة فاتفق رايهم على انفاذ جماعة منهم فيهم اخو ابي زكرياء وشيوخ صنهاجة وقسنطينة معتصمين بهذه العروة الوثقى مستسلمين للامر الذي لا يقابل بعناد ولا يلقى سائلين من التأمين والابقاء ما يدوم خيره للمحق السائل ويبقى ... فمن الله على جميعهم بتيسير مطلبهم واجمال منقلبهم(*).

وكان عبد المومن حريصا على ان ينشر بين رعاياه عقيدة المهدي بن تومرت ليفهمها جميع رعاياه وليتشبثوا بها وليدافعوا عنها وكان يعمل على شرحها ويامر

---

* من الرسالة السابعة وهي من انشاء ابي جعفر بن عطية
* المعجب صفحة 124
* الرسالة الثامنة وهي من انشاء ابي جعفر بن عطية

طلبته بتدريسها وتطبيقها كما كان يصدر قوانين صارمة تدفع الناس الى الطاعة خوفا من الزجر الشديد والعقوبة التي لا هوادة فيها وقد اصدر رسالة تعرف برسالة الفصول (*) تعتبر دستورا قيما وضعه عبد المومن ليسير جميع اتباعه على نهجه ويلتزموا باوضاعه الزمهم فيها بتطبيق قواعد الاسلام وبتطهير النفس من شوائب الشرك وابعادها عن الانزلاق في مهاويه كما حذر المنافقين والمدلسين من العبث بالقيم الخلقية او بالاستهانة بقوانين الدولة ولا باس ان اسجل للقراء جزءا يسيرا من هاته الرسالة ليطلعوا على اللهجة الشديدة التي كتبت بها تلك اللهجة التي كانت اكبر زاجر لهؤلاء تبعدهم عن الغواية وتنذرهم لما لا قبل لهم به قال : « .. وآمر بالكشف عن التلصص والجرابة والتولج في مكان من الريب والغواية والاجتماع على السير الجاهلية من الملاهي على فنونها وانواعها وضروبها واختلاف آلاتها وما يتبعها من المناكر الناشئة عن اصل الجهالة والافعال المنافية للشريعة الصادرة عن اهل الزراعة والضلالة من الرجال المفسدين والغواة المضلين ومن النساء المفسدات المتفننات في طرق الغوايات ، فاكشفوا عن هذه الاصناف وأثيروهم عن مكامنهم ونقبوا عليهم في مظانهم فمن شهد عليه منهم شهادة صحيحة سالمة من الهوى والظنة باستصحاب حاله وتماديه على الاحضار في محل باطله ومحاله فيحكم كتاب الله ـ جل اسمه ـ عليه وتطاع سنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه

وليكشف عن الذين يفرمون الناس ما ليس قبلهم وياكلون بالباطل اموالهم وعن اهل العناد والتقاعس والاخلاد والتثبط الذين اذا دعوا الى الجهاد ونودوا الى الصلاح والرشاد صموا عن النداء وتلوموا في اجابة الدعاء والقوا المعاذير المعربة عن العناد والناطقة عن الضمائر الممتلئة بسوء الاعتقاد ، وعن القبائل الباقية على سير الجاهلية من الهرج فيما بينهم والقتل والفساد والخبل والانقياد الى سلطان الجهل والخروج عن قانون الحق وضبط الامر ، وعن اهل النفاق والتدليس الناطقين بما لا يعلمون والقائلين ما لا يفعلون فاذا تعينوا على التحقيق فليمض عليهم حكم الله تعالى الذي امر به فيهم ..

ولقد كان عبد المومن في تاريخ الموحدين من اشهر الملوك دراية بالفنون العسكرية واقدرهم على التغلب على مخالفيه واسقاطهم في قبضته ولو صمدوا في القتال.

ان المؤهلات العسكرية التي تكون شخصية القادة كان مطبوعا عليها فهو جريء لا يبالي بالاخطار جسور لا يبالي بالاعداء شجاع لا يتوانى عن الحرب والجلاد يحسن مواقع الكر والفر ويدري كيف يدخل الرعب على مخالفيه فيرجعوا خائفين خائبين يلتمسون الامن منه ويرجون الغفران .

وكان يظهر في رسائله الى جنوده وعماله ان النصر لا يعود الى قوة عتادهم او كثرة عددهم وانما يرجع الى ايمانهم القوي بالله وثقتهم المطلقة في نصره فهو الذي يمدهم بقوة من عنده يهزمون بها اعداءهم ويقضون بها على كل مناوىء .

انه كان يرى ان الايمان بالله والثقة في نصره اكبر دافع للجنود على الاستماتة واعظم حافز لهم على الكفاح والمقاومة .

ورغم ذلك فان عبد المومن كان قد انشا مصانع للسلاح كثيرة في جل المدن والاقاليم وكان يصنع الاسلحة الكبرى الصالحة للحصار خارج المدن التي يحاصرها فلا تمر الا ايام معدودات حتى تراه وقد هيا السلاليم الكبرى والمجانيق العظيمة المهولة لتحطيم المدن ونسف الاسوار وهدم الخنادق والانفاق فلا يسع المخالفين الا ان يستسلموا ولا يجدون في العناد سبيلا الى الامن والهناء .

وساقدم للقراء جزءا من رسالة تصور صمود عبد المومن في الحصار كتبها الى طلبة قرطبة يخبرهم فيها بفتح مدينة قفصه قال : « وكانت حول البلد غروس وبناءات وعرت المسالك وضيقت المنافذ واشبت المداخل اليهم والمخارج فاخذ الموحدون ـ وفقهم الله ـ في هدمها ونظروا في ازالتها وجدوا في تعفية رسومها ونقلوا مضاربهم بحيث يسمعون سرارهم ويتعرفون مع اللحظات احوالهم واحدقوا بهم اتم احداق واحاطوا بمدينتهم احاطة الاطواق بالاعناق وشدوا عليهم انشوطة الحصار والخناق وسدوا دونهم خصاص الانقاب والانفاق ولم يؤخذوهم منفسا لانسراب ولا مذهبا لارتفاق ، واشفوا بهم من ضنك النكال وضيق المجال على شفر الاماق ، ونصبوا عليهم مجانيق بلغت في نكايتهم المبالغ واحلت بهم القواصم والدوامغ ونهكت اسوارهم وهدمت ديارهم وعفت آثارهم ، واصلتهم بناعب الحمام ووحي الموت الزؤام امهم الهاوية ونارهم ، وهم مع ذلك لا

(*) رسالة الفصول هي الرسالة الثالثة والعشرين من الرسائل المنشورة كتبت عن عبد المومن الى اهل بجاية سنة 556 هـ وهي من انشاء ابي جعفر بن عطية ايضا

تسعى بهم الى منجاتهم قدم ولا يهديهم الى استنزال الايمان ، وتطلب العفو والغفران تروع من العصيان ولاندم ... قراينا - والمستعان الله - انمقاتلتهم بالات تعلو عليهم ويتعجل معها مرام اخذهم اصلح بالموحدين - اعزهم الله - واصون لهم واوفق لما تؤثره من الشح بهم والاحتياط عليهم مع ما في ذلك لهذا الامر من فخامة التناول وعزة القهر وظهور القوة وارهاب العدو .. وتمادى التسفل فى الالات المباركة الى ان تمت على المراد وتهيات حسب القصد بها ثم استخير الله سبحانه فى ادنائها اليهم وتقريبها منهم فقدمت ونصر الله يقدمها وتأييده يكنفها وعونه يمهد ويطرق لها فانتهت الى حفيرهم واستعلت على اسوارهم وتضاءلت لها منيفات جدرهم وصبت عليهم سوط عذاب ..(*)

وهي رسالة طويلة تعد ملحمة كبرى فيها تصوير هائل للحرب والمقاومة وابراز للبطولة والحزم فى جيوش الموحدين الذين استطاعوا ان يقضوا على الفرقة والخيانة والاحتلال الاجنبي .

لقد استطاعت جيوش عبد المومن أن تحرر تونس من ربقة النورمانديين الذين قدموا من صقلية واحتلوا اهم شواطىء البحر الابيض المتوسط بل استطاعت هاته الجيوش المنظمة المؤمنة بالنصر انتكون امبراطورية كبرى ارهبت الاعداء ونشرت الامن بين ربوع العرب والبربر وشجعت العلم والادب واحيت الثقافة العربية وحررت الفكر من العبودية والتبعية وكونت وحدة سياسية وادارية وادبية وعلمية بين اقطار المغرب العربي وبين الاندلس قال المراكشي عن عبد المومن : « فملك فى حياته من طرابلس المغرب الى سوس الاقصى من بلاد المصامدة واكثر جزيرة الاندلس وهذه مملكة لم اعلمها انتظمت لاحد قبله منذ اختلت دولة بني امية الى وقته .. (*)

ورغم اتساع مملكته فقد كان يسير امرها تسييرا موفقا لا يعزب عنهشيء يتلقى من عماله جميعملاحظاتهم وتصله اخبارهم ويرسل اليهم ايضا بالتطورات الحاصلة فى الدولة حتى تكون لهم خبرة تامة بكل ما يقع ويحثهم على نشر الدعاية لانتصاراته المتوالية ليتسرب الرعب الى المحاربين والثائرين والاعداء وتقوى همة الموالين والجنود والاتباع ففي رسالته السالفة التي كتبها تبشيرا بفتح قفصة قال : « وانشروا هذه الفتوح البينة والبشائر المبهجة وبثوها فى املائكم وتحدثوا بها فى نواديكم وخاطبوا بشرحها جميع جهاتكم واذيعوها فى اكنافكم وارجائكم يشترك جميعكم فى المسرة ويتساهم كلكم فى شكر الله عليها ويتجدد الاخلاص لكافتكم ..

ولما كانت الدعاية تقوم بواسطة مهرة الكتاب والادباء فقد علا شأنهم فى عصر عبد المومن وقربهم اليه ومكنهم من عطاياه واستمالهم باحسانه الا انه كان يعيش على حذر منهم خشية ازورارهم او خيانتهم فهو اذا احس بازورار او خيانة او فتور او تعال او استخفاف بالمسؤولية ثار وانتقم فهذا كاتبه ووزيره الاول ابو جعفر بن عطية الذي كان مسنده فى الملمات ونديمه فى المجالس ومستشاره فى حل المشاكل ، هذا الوزير الكاتب الذي راينا نماذج من رسائله فيما قدمنا كانت نهاية حياته أن مات قتيلا ، قتله عبد المومن لانه افشى سرا من اسراره واذاع امرا ما كان له ان يذاع.

هذه نبذة يسيرة من حياة عبد المومن اقتبسناها من بعض الرسائل التي نشرت ومن يتتبع دراسة هاته الرسائل فسيجد فيها منبعا فياضا على حياة عبد المومن جلالا وعظمة ويصور لها صورة من صور العبقريات الخالدة فالى اللقاء مع القسم الثاني من الرسائل ...

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

* من الرسالة العشرين وهي من تاليف ابي الحكم بن المرخي كتبها عن عبد المومن بن علي من داخل بلاد قفصة .
* المعجب صفحة 138



الامبراطورية الموحدية في دور الانحلال

للاستاذ: محمد المنوني

مقدمة:

من المعروف ان الدولة الموحدية اعظم دولة اسلامية قامت في المغرب، بما كان لها من سعة الرقعة، وانبساط النفوذ، في الشمال الافريقي والاندلس، وفي عهدها بلغت العلوم والآداب والصناعات شأوا عظيما في التقدم والازدهار.

اخذ يبدو ضعف الموحدين بعد موقعة العقاب (609 هـ 1209 م) وهي التي افضت ـ على حد تعبير ابن الابار (*) ـ الى خراب الاندلس، وكانت السبب الاقوى في تحيف الروم بلادها حتى استولت عليها.

وقد كان اثر هذا الحادث بالاندلس اسبق منه في بقية اجزاء الامبراطورية الموحدية، فمنذ سنة 610 هـ 1210 م اخذت مدن اندلسية تسقط بيد اسبانيا النصرانية دون ان يستطيع الموحدون الدفاع عنها (*).

وفي المغرب الاقصى بالخصوص، يبتدىء الانحلال الموحدي من سنة 615 هـ 1215 م وتتلاحق بوادر الضعف الحكومي، فقد انحسر نفوذ السلطة الى المدن خاصة، حيث اعتصم بها الولاة، الذين لم يعد لهم نفوذ على البوادي، كما اشتعلت الثورات في كثير من الجهات، وانعدم الامن في الطرقات وظهرت المناكر، بينما امتنع عامة الشعب من اداء الضرائب(*)

وزاد الامر خطورة ان السلطة المركزية انتابتها فوضى، واصبح اشياخ الموحدين يتلاعبون بملوكهم، فخلعوا عبد الواحد بن يوسف الاول ثم قتلوه سنة 621 هـ 1221 م وبايعوا ـ بعده ـ العادل، ثم خنقوه وبايعوا المامون، ثم نكثوا وبايعوا ابن اخيه يحيى في الحين (*).

وساوق هذه الظواهر غلاء ومجاعات اجتاحت المغرب والاندلس سنوات طويلة (*).

وقد نشأ عن هذا كله انحلال في حياة المملكة الموحدية: ففي المغرب توقفت حركة الحراثة في البوادي (*)، كما ان عددا من المدن انتابها الخراب: ففي فاس اضمحلت كثير من المنشآت الصناعية والعمرانية (*)، كما كثر الخراب في ديار مدينة

(*) التكملة لكتاب الصلة

(*) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية لمؤلف مجهول (الجزائر سنة 1920) ص 51.

(*) الذخيرة السنية ص 35 ـ العبر (بولاق سنة 1284) ج 7 ص 170.

(*) روض القرطاس فاس 1305 ص 204 وفي الذيل والتكملة لدى ترجمة ابن الصفار الملقب بالبرنامج يسجل ان خلع عبد الواحد وما تبعه كان سببا في ابادة دولة الموحدين، وصورة الخزانة العامة بالرباط رقم د 2647 لوحة 488، ونحو هذا في نظم السلوك للمزوزي (المطبعة الملكية بالرباط) ص 60.

(*) روض القرطاس ص 29 / 196 / 198.

(*) الذخيرة السنية ص 35.

(*) انظر روض القرطاس ص 29 و (زهرة الاس) الجزائر ص 60.

مراكش (*) وفي مكناس دثرت مدائنها القديمة ولم يبق منها سوى الصوامع والاطلال العتيقة (*) وفي الرباط تهدم جامع حسان الذي تقضه السعيد الموحدي ليصنع بخشبه الاجفان الغزوانية (*) وفي هذه الفترة ايضا خربت ـ نهائيا ـ مدينة مغيلة (*) التي لا تزال اطلالها قائمة غرب مدينة فاس .

يضاف لهذا ان امن المغرب الخارجي صار مهددا نتيجة ضعف القوى الداخلية ، وهكذا تعرضت عدة مدن شاطئية لهجمات بحرية ، فقد شدد الجنويون الحصار على سبتة ، ونصبوا عليها المجانيق وآلات الحرب واسرفوا في التضييق عليها حتى صالحهم اهلها باربعمائة الف دينار ، فاقلعوا عنها سنة 633 هـ (*) ، وفي سنة 658 هـ هاجم القشتاليون مدينة سلا ودخلوها وخربوها (*) ، وفي سنة 668هـ دخل النصارى حصن العرائش وحصن شمس فقتلوا الرجال وسبوا النساء والاموال واضرموا الحصنين نارا ثم ارتحلوا (*) قال في الاستقصا (*) : ولم يبين في القرطاس هؤلاء النصارى من هم .

ولقد فكر فرديناند الثالث ملك قشتالة في ان يعبر البحر باسطول الى افريقية ويغزو هنالك ويفتتح ، وقام اسطول قشتالة بالفعل باحراز نصر على الاسطول المغربي سنة 649 هـ 1251 م (*) .

اما في الاندلس فقد افترقت كلمة الامراء الموحدين بها ، وتحاربوا على الخلافة ، واستجاشوا بجيرانهم الكفار ، وامكنوهم من كثير من الحصون الاسلامية طمعا في التغلب ، وفي سنة 625 هـ قام ابن هود بمرسية وشرق الاندلس وقضى على النفوذ الموحدي بالاندلس ، وبعده ـ في سنة 629 هـ ـ ثار محمد بن يوسف ابن الاحمر بغرب الاندلس ، وثارت الحروب بينه وبين ابن هود ، وفي خلال هذه التقلبات التي مرت بالاندلس كانت القواعد والمدن والحصون تتساقط بيد اسبانيا النصرانية ، وكان عدد من الجهات ينزل عنها ابن هود او ابن الاحمر فيتملكها هؤلاء الاسبانيون بدون قتال ، وقد بلغت الجزية التي كان يؤديها ابن هود اربعمائة الف دينار سنوية (*) .

ثم آلت الحال بالاندلس ـ سنة 663 ـ الى ان عزم الفونسو ملك قشتالة على استئصال الصبابة التي تبقت للمسلمين بالاندلس ، وقرر ان يبعث الى كل بلدة اسلامية جيشا لمحاصرتها (*) .

ولا ننسى ان نذكر ـ بعد هذا ـ انه في هذه الفترة كان قد انفصل عن المملكة الموحدية تونس التي قامت بها الدولة الحفصية ابتداء من سنة 625 هـ ثم الجزائر التي ظهرت بها دولة بني عبد الوادي من سنة 631 هـ .

وهكذا تتبين مظاهر الضعف الذي لحق المملكة الموحدية خلال النصف الاول من القرن السابع الهجري ، وطبيعي ان يتبع هذا انحطاط في العلوم والآداب والصناعات ، وانتكاس في المستوى الاخلاقي والاجتماعي ، وقد كانت هذه ـ مضافة الى مظاهر الضعف الاخرى ـ من الاسباب التي اطاحت بالدولة الموحدية العظيمة ، حيث تناثرت اجزاء امبراطوريتها في الاندلس والشمال الافريقي ، وقد صار المغرب الاقصى من نصيب الدولة المرينية التي سنتناول التعريف بها في موضوع مقبل بحول الله تعالى .

الرباط : محمد المنوني

---

* البيان المغرب لابن عذاري المطبعة الحسنية تطوان ج 4 ص 417 .
* الروض الهتون المطبعة الملكية بالرباط ص 32 / 33 .
* الذخيرة السنية ص 66 .
* ذكر مشاهير بيوتات فاس في القديم نسخة مخطوطة لدى بيت بني المفيلي .
* روض القرطاس ص 198 ـ البيان المغرب ج 4 ص 404 / 405 .
* توجد تفاصيل هذه الحادثة في (البيان المغرب) ج 4 مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ق 200 وهناك نبذ عنها في روض القرطاس ص 216 والذخيرة السنية ص 103 والعبر ج 7 ص 178 .
* الذخيرة السنية ص 137 واقتصر في (روض القرطاس) ص 295 ـ على ذكر خصوص العرائش .
* ج 2 ص 15 القاهرة سنة 1312 هـ .
* تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين تاليف المؤرخ الالماني يوسف اشباخ ، الترجمة العربية ، الطبعة الثانية ص 445 .
* العبر ج 7 ص 190 مع روض القرطاس ص 197 .
* الذخيرة السنية ص 113 .

أمجادنا الوطنيّة



«2»

نشوب القتال : في هذا الوضع تتجه الجيوش الغازية للاشتباكات في قتال مرير يعلم الله نتيجته . وتنشب الحرب ، ويتقدم البرتغاليون بسرعة ، فيصدر السلطان — الذي يقود القلب والميمنة من جيشه — الامر باطلاق المدفعية ، فتطلق المدافع المغربية نيرانها ، ولكن دون جدوى . ويطلق البرتغاليون مدافعهم ايضا ، فلا يحصلون على نتيجة كذلك . غير ان مدافع السلطان استطاعت فيما بعد ان تمزق شمل نبلاء البرتغاليين ، وتحصد بعضها منهم حصدا ، فت هذا فى عضد الجنود المعادية ، وبث الرعب في قلوبهم .

وسط هذه المعركة الحامية انطلق الملك سباستيان ينادي: سنتياغو ! سنتياغو ! وعلى رنين هذه الصيحة التي كررها جنده في نغم مماثل ، تقدمت طليعة الجيوش الاجنبية ، وهاجمت الجيش المغربي ، ومزقت وسطه ، بيد ان القوات المغربية تمكنت من صد الهجوم ، وتكرر معه الصد .

يقول مانويل كاستيانوس : « ان لوامين من الالوية الخضراء التي كانت ترفرف حول خيمة مولاي عبد الملك ، تمكن البرتغاليون من اخذهما . . . وان الحظ كان يميل — بادىء ذي بدء — الى جانب المسيحيين » (✱) .

وفاة عبد الملك : ولم يلبث السم ان فعل فعله فى جسم الملك البطل ، وان كانت روحه ابعد واعلى من ان تؤثر فيها السموم . فقد احس هذا الملك العظيم بالفوضى وقد بدأت تدب في صفوف جنده من اثر الهجومات المعادية . فقام بمجهودات جبارة لاعادة تنظيمهم ، وركب حصانه في حماس محموم ، واراد الصمود في وجه الخطر الاعظم حتى ينال الشهادة . لكن حاشيته واخاه مولاي احمد منعوه من ذلك . . . ولم يلبث ان داخ رأسه عليه فسقط فجأة بين اذرع اصحابه الذين نقلوه الى خيمته حيث اسلم الروح لبارئها عن عمر لا يتجاوز الخامسة والثلاثين سنة . وكان الوقت وقت زوال .

هكذا مات هذا المحارب الشهير الذي بهرت بطولته العدو قبل الصديق ، فقد كان بطلا في كل شيء ، وفي كل حين ، حتى بعد مماته ، حيث قضى نحبه وهو واضع سبابته على شفتيه وكأنه يصدر بذلك امره النهائي بوجوب كتم نبأ موته اذا اريد احراز النصر .

وعمل حاجب السلطان — رضوان العلج — على تنفيذ الوصية ، فكتم خبر الموت ، وكتمه ايضا اخوه احمد الذي كان يدعوه في رسائله « بابا احمد » . وظل الحاجب يختلف الى خباء الجلالة الشريفة ، ويصدر الاوامر لامراء الجند باسمها ، ويقول : « ان امير المومنين يامر فلانا ان يذهب الى موضع كذا، وفلانا ان يلزم الراية ، وفلانا ان يتقدم وفلانا ان يتاخر (✱) وهكذا .

متابعة القتال : وتوبعت المعركة بحماس من كلا الطرفين وتقدم الجيش البرتغالي الى ان وجد نفسه محاطا بالمجاهدين من كل جانب . ووقعت المؤخرة كذلك بين جموع المغاربة ، وبما انها كانت تتركب من جنود اغرار قليلي الخبرة ، فانهم تخاذلوا والقى بعضهم سلاحه ، وفر ينشد السلامة في معسكر المسلمين ، ولكن من يسمح لهم بذلك ؟ لقد هاجمهم المغاربة ، « وذبحوهم كما تذبح الشياه » على حد تعبير شاهد عيان كان حاضرا فى الميدان .

ولم يكن حظ الطليعة احسن من حظ المؤخرة ، فقد قاوم الاسبان والطليان ببطولة ، ولكن المغاربة تكاثروا عليهم وهزموهم . وطار دوق افيرو Duque de Aveiro الفرسان التابعين لمحمد بن عبد الله لانقاذ الموقف ، غير ان هذه النجدة كانت غير مجدية . ومثل هذا المصير كان ينتظر حرس العلم الملكي ، اذ احاط به الجنود المغاربة احاطة السوار بالمعصم ، فلم يستطع الحرس حماية علم ملكهم ، لان الرعب والخذلان كانا

(✱ Descripcion Historica de Marruecos

(✱ الاستقصا ج. 5 ص. 80 .

احد منهم كل ماخذ . وسقطت في يد المغاربة المدفعية البرتغالية ايضـــا .

وعلى الرغم من هذه الانتصارات ، فان النصر النهائي ما زال غير موءكد ، خصوصا حينما تمكن احد العلـــوج الاسبان الذين كانوا مع المغاربة ، من الوصول الى معسكر سباستيان ، واتاه بنبأ موت سلطان المغرب . كان لذلك اثر بالغ في رفع معنوية المسيحيين ، فصاح البرتغاليون ، المتحمسون : النصر ! النصر !! وعاد النظام الى صفوفهم ، وبدوا وكأنهم يحلمـــون بمعجزة ، وعاد الجنرالات ــ وكان اليأس من الانتصار لم يعد يخامرهم ــ فعاودوا الهجـــوم على جيـــوش الاسلام الظافرة ، بضراوة وحرارة .

الانتصـــار : وفي وسط ضجيج المعركة ، واثناء قصف المدافع الذي يصم الآذان ، وخلال دخان البارود المتصاعد الى عنان السماء والمختلط بالغبار الذي تثيره حوافر الجياد ، سمعت وسط الفيالق البرتغالية ، صيحة اعقبها نفير كان نذير الشـــوءم بالنسبة للمعسكر الغربي : الى الوراء ! الى الوراء ! لقد قطعونا ! (يعني عزلونا وطوقونا) .

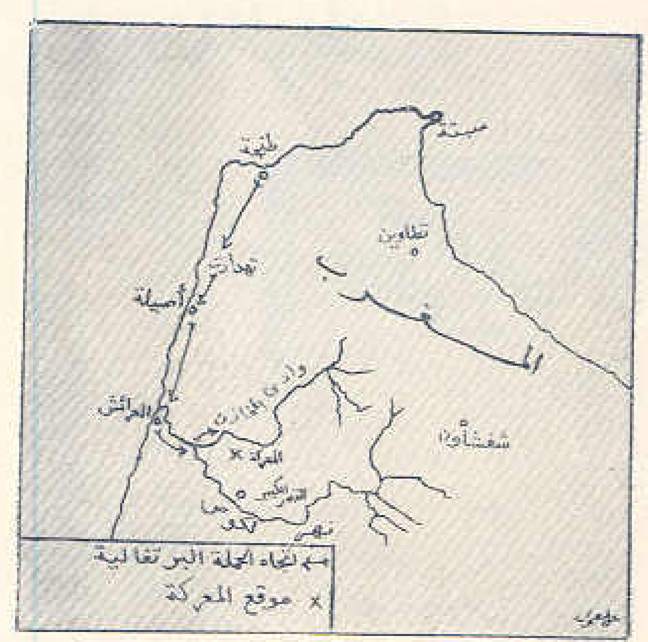
لم يدر اي شيء عن مصدر تلـــك الصيحة ، ولم يعـــدم من يعزوها الى علج استعملها خدعة حربية ليكون لها اثرها الفعال في ايقاع الفوضى بين صفوف الجيش المعادي ولتكون علامة على هزيمته النهائية .

اغتنم المغاربة هذه الفرصة السانحة ، وتلك اللحظات من الاضطراب ، فشنوا هجوما جديدا . ولم يصبح من الصعب عليهم ان يزرعوا في جميع الجهات بذور الرعـــب والمـــوت ، وصار معسكر المسيحيين عبـــارة عن اكوام ضخمة من الجنـــود والخيل والعربات والاثقال وصناديق الذخيرة . ولم يعد احد يسمـــع تلك الاصوات الآمرة وسط الضجيج .

وفر الذين نجوا من الموت متجهين نحو نهر وادي المخازن ، وصوب القنطرة الوحيدة التي عبروها من قبل ، علهم يفلتون من القدر اللاحق الماحق ، ولكن هل يجديهم الهرب ؟ ام هل ينفع حذر من قدر ؟ ان القنطرة هدمت في الليلة البارحة !! وخيل اليهم انهم يستطيعون العبور بارجلهم ، ولكنهم كانوا واهمين ، فغرق معظمهم لاسباب :

1) ثقل الاسلحة التي يحملونها .
2) تعبهم ، وضعف احتمالهم .
3) موجـــة المـــد العاليـــة .

والذين استطاعوا عبور النهر ، لم يستطع معظمهم الافلات من الموت او الاسر . واستطاع ذلك عدد نزر يسير ، وشرذمة قليلة تجعلهم الرواية ستين شخصا ، تمكنوا من العودة الى اصيلة ثم سبتة ، حيث رووا خبر هزيمتهم الشنعاء .



خريطة لبيان الاماكن الواردة في بحث « معركة القصر الكبير »

المسلـــوخ : وبحث الجند المنتصر عن الـــذي كان سببا في هذه الكوارث كلها اي الملك المخلوع ، فوجدوه غريقا في النهر . لقد قاتل هو ورجاله بشجاعة ، ولكن حينما احس الهزيمة بين صفوف حلفائه او حماته ، والا امل ــ البتة ــ في في علاج الكارثة التي الـــمت به ، حينئـــذ اطلق ساقيه للريح ، ظانا انه واجد منفذا للحياة ، ولكنه ــ بدلا من ذلك ــ وجـــد منفذا لقاع النهر ، حيث غاص عليه الغواصون ، واخرجوا جثته ، وسلخوها ، وحشوا جلدها تبنا ، وطافوا به في مدن المغـــرب الرئيسية . ومنذ ذلك الحين صار يلقب بالمسلوخ ، بعد ان كان يحمل لقبا شعبيا (الاكحل) واخر ملكيا (المتوكل على الله) فهل توكل عليه حقا ؟

جثة سباستيان : اما ملـــك البرتغال فقـــد حـــارب ايضـــا بشجاعة . ويعزى اليه انه قال لفرسانه وجنده : « اذا رأيتموني فعلى رأس رجالي ، واذا لم تروني فانا وسط اعدائي اقاتل » ويقول الرواية الغربية انه حافظ على هذا الوعد ، ووفى بـــه كملك وفارس معا ، وان اربعة احصنة ماتت كلها من تحته . لقد اصابته رصاصة منذ بداية المعركة ، ولكن ، كان له من برودة الدم ما جعله يخفي جرحه عن الجميع ، ويواصل القتال كما لو لم يحصل اي شيء .

ويروي الغربيون انه لاقى حتفه ــ اخيرا ــ بين صفوف اعدائه ، وان تابعه وحامل ترسه ، Sebastian de Rosende هو الذي دل على جثته وسط اكوام من الاموات ، بينما تذكر الرواية المغربية وتوءكد ان «الطاغية قتل غريقا في الوادي(✱)»

(✱) الناصـــري : الاستقصا ج 5 ص 81 .

ومهما يكن من امر ، فان ملك المغرب الجديد مولاي احمد ، امر انتهاء المعركة ان تحمل جثة الملك الخصم ، وان تدفن في نفس البلاط الملكي بالقصر الكبير الذي لم يكن يبعد عن متدان العراك الا بضعة اميال .

لقد احتفظت ارض المعركة بالطبقة النبيلة البرتغالية ، وبزهرة شباب البرتغاليين ، لان الحملة التي كان يقودها ملك، كان لا بد ان ترافقه فيها الطبقة الارستقراطية والشباب المتحمس الذي يبتغي المجد في غير اوانه ، وينشد النصر في غير مكانه ، فيعاقب بحرمانه .

فهناك مات دوق افيرو وفرسان آخرون عديدون كانوا قد احرزوا انتصارات عديدة في حملات اخرى ، ومنهم (✶) و Aldana, de Aguilar, Francisco de Alonso T. Sterling وقد فحصت جثة سباتيان Bourgogne Foscari قبل الدفن ، فوجد انها جرحت سبع مرات ، كل جرح فيها كاد يكون مميتا .

مفاوضات : وبعد مرور بعض الوقت ، اراد خلف سباستيان على عرش البرتغال ضون انريكي (✶) ان يسترد جثة سلفه ، ففتح مفاوضات من اجل هذا الغرض ، وذلك بوساطة خديم البلاط المغربي اندريا كاسبرو . غير ان ملك المغرب ابى تسليم الجثة ، وفضل ان يقدمها الى فيليب الثاني ، كما قدم شخصية السفير الاسباني الذي كان قد اسر اثناء العراك المرير .

ونبش قبر الملك سباستيان ، واستخرجت جثته ، وقدمت الى حاكم سبتة بحضور عدد من الشخصيات . وقد تم امضاء التوصيل في رابع دجنبر 1578 اي بعد مرور اربعة اشهر بالضبط على يوم المعركة . ويحمل التوصيل توقيع : Fr. Roquel del Espirito-Santo . وبقيت الجثة في سبتة الى ان مات ملك البرتغال ضون انريكي ، حينئذ نقلها فيليب الثاني – وقد اصبح ملكا للبرتغال ايضا – الى دير بليم Monasterio de Belem بعاصمة البرتغال ، حيث شغلت جثة سباستيان حيزا في مقبرة اسلافه الاولين .

اسماء لمسمى واحد : تلك صورة مختصرة لمعركة من اهم معارك التاريخ المغربي – الايبيري ، حاولت جاهدا ان اضعها بين يدي القارىء ليستخلص منها العبرة والعظمة ، وليحيط علما بمزيد من التفاصيل ، وببعض الوان النشاط الحربي الذي فطر عليه هذا الشعب ، في هذا الركن من العالم العربي .

هذا وقد عرفت هذه المعركة الطاحنة بعدة اسماء :

1) فهي معركة القصر الكبير لوقوعها قريبة من تلك المدينة التي لا تبعد عن ارض المعركة الا ببضعة اميال (نحو 12 كيلو مترا) .

2) وهي معركة وادي المخازن ، لوقوعها على ضفاف ذلك النهر الذي هو رافد لنهر لكوس الشهير . ويلاحظ بعض الباحثين ان هذه الناحية لا تحتوي على اية مخازن يمكن ان ينسب اليها النهر او المعركة . ويمكن ان توجه هذه التسمية باحد التوجيهات الآتية :

ا – ان كلمة « المخازن » محرفة عن « المخازي » جمع مخزي ، ويراد بهم الاعداء .

ب – انها غير محرفة ، بل مقلوبة عن « المخانز » ، من خنز اللحم اذا انتن .

ج – انها غير محرفة ولا مقلوبة ، بل هي ماخوذة من خزن اللحم اذا تغير لونه وانتن . . .

ومعلوم ان جثث الاعداء ، ظلت هناك في الوادي او السهل مدة لم تدفن فانتنت وخزن لحمها .

د – انها مشتقة من قولهم « اختزن الطريق » اذا اختصره وسلك اقرب السبل ، فمخازن الطريق هي اقرب السبل الموصلة الى الموضع المقصود .

3) وهي معركة الملوك الثلاثة ، لان ثلاثة ملوك حاربوا فيها على رأس جيوشهم ، كان احدهم مخلوعا يأمل في استرداد عرشه ، وكان الآخر مخدوعا يأمل في اضافة جزء من ارض المغرب الطاهرة الى امبراطوريته الشاسعة .

اما الثالث فقد هب للقتال مدفوعا بغريزة الدفاع عن النفس والعرش والوطن الذي اصبح مسؤولا عنه امام الله والرسول والشعب . . .

لقد ماتوا كلهم ، اثنان منهم بحد السلاح ، والثالث بفعل مؤامرة مدبرة خبيثة ، ونتيجة تسميم .

✶) كان كاتبا ومؤلفا ، عاصر شارل الخامس وفيليب الثاني . ويقال انه هو الذي استلم سيف ملك فرنسا (فرانسوا الاول) عندما اسره الاسبانيون في معركة بافيا : Pavia سنة 1525 .

✶) لما هلك سباستيان لم يترك اي وارث للعرش ، فلبس التاج الكردينال العجوز ضون انريكي هذا الذي لم يترك اي وارث للعرش كذلك .

4) وعند التأمل نجدها « معركة الملوك الاربعة » لان الذين خاضوا غمارها اربعة ملوك اثنان منهم ملكان بالفعل ، والاثنان الآخران ملكان بالقوة ، فالمتوكل باعتبار ما كان ، وابو العباس احمد باعتبار ما هو كائن ، ذلك اننا نعرف ان الاخ خليفة اخيه ، ووارث عرشه ، لا ينازعه في ذلك منازع . هكذا كان اثناء حياته ، وهكذا وجب ان يكون بعد مماته . لقد كتب ابو مروان عبد الملك الى اخيه ابي العباس احمد ذات مرة يقول :

ـ ... « اما بعد ، فاعلم اني لا احب احدا بعد نفسي كمحبتي لك ، ورغبتي في انتقال هذا الامر بعدي اليك لا لغيرك ... (✱) »

فتاخير المبايعة الى ما بعد المعركة ، انما كان تكتيكا حربيا ، ورأيا سديدا اقتضاه بعد النظر ، وكياسة السياسة ، وحسن التدبير في ارض المعركة الخالدة .

حكمة بالغة : يقول المؤرخ المغربي ابو العباس احمد ابن القاضي في كتابه القيم (درة الحجال) ما يلي : « ... فانظر لحكمة الله الواحد القهار ، اهلك ثلاثة ملوك في يوم واحد ، وهم ابو مروان بن الشيخ ، وولد اخيه محمد بن عبد الله المسلوخ والطاغية سباستيان ، واقام واحدا هو ابو العباس المنصور » .

وعلق على هذا الكلام مؤلف كتاب الاستقصا فقال : « وفي اهلاك الثلاثة واقامة الواحد ، اشارة واضحة لاهلاك دين التثليث ، ونصر دين التوحيد في ذلك اليوم (✱) » .

بدر اخرى : ويقول ابن القاضي ايضا في كتابه (المنتقى المقصور على مآثر خلافة السلطان ابي العباس المنصور): « كانت هذه الغزوة من الغزوات العظيمة والوقائع الشهيرة ، حضرها جم غفير من اهل الله تعالى ، حتى انها اشبه شيء بغزوة بدر . حدثنا شيخنا ابو راشد يعقوب اليدري عمن يثق به ، ان الرجل من حاضري ذلك المعترك ، كان يستبق الى النصراني لينتهز فيه الفرصة ، فما يصله حتى يجده ميتا (✱) » .

نتائج المعركة : عم البشر والفرح سائر بلاد المغرب ، بل سائر اطراف العالم الاسلامي ، وشرب المغاربة كاس النصر حتى الثمالة . وبويع ابو العباس مولاي احمد بن محمد الشيخ السعدي خليفة واميرا للمومنين في الميدان نفسه ، ومنحه الشعب لقب « المنصور » عن جدارة واستحقاق ، لانه هو الذي سير المعركة بالاتفاق مع حاجب الملك المتوفى ، وعمل على جمع الكلمة ، وتوحيد الصف .

وكان من نتائج المعركة ما يلي :

1) افناء جيش الاعداء ، ومن افلت من الموت ، لم ينج من الاسر .

2) كان معظم الاسرى من الطبقة البرتغالية النبيلة ، مما مهد السبيل الى افتدائهم باموال باهظة .

3) ارتفاع شان السياسة المغربية في العالم ، وعلو همة المغرب كدولة عظمى ، الامر الذي جعل الدول حينئذ تسعى للتقرب منه ، وتخطب ود ملكه المنصور ، الذي اتته الوفود المهنئة بالنصر من مختلف انحاء الدنيا ، حتى من البابا والدول الغربية التي اسهمت جيوشها في المعركة الخاسرة بالنسبة اليهم .

4) ان نفوذ اوربا تقلص ، وهيبتها زالت او كادت تزول بسبب هذه الوقعة الشهيرة .

5) ان البرتغال لم تخسر المعركة فحسب ، بل خسرت نفسها ايضا ، اذ فقدت استقلالها بعد سنتين ونيف من تاريخ المعركة ، وتمكن ملك اسبانيا فيليب الثاني (سنة 1581) من اضافتها الى مملكته ، ومن توحيد شبه جزيرة ايبيريا تحت حكمه . ولم تستطع البرتغال ان ترفع رأسها وتسترد استقلالها عن اسبانيا الا بعد ستين سنة (✱) من ذلك التاريخ .

6) ومن النتائج البعيدة المدى ان البرتغال فقدت مركزها في الملاحة والتجارة الدوليتين ، وفقدت مستعمراتها في الشرق الاقصى تبعا لذلك . ففي اوائل القرن السادس عشر وصل البرتغاليون الى جزر الهند الشرقية (اندونيسيا) واستعمروها ، وصاروا يتاجرون معها ، وينقلون بضائعها الى عاصمتهم اشبونة ، حيث كانت توزع منها على سائر بلدان اوربا . وكانت هولندة هي محتكرة نقل هذه التجارة من اشبونة .

وبعد هزيمة البرتغال في معركة القصر الكبير ، وبعد ضم بلادهم الى اسبانيا ، حرم الهولنديون هذا الاحتكار والامتياز ، ففكروا في شد الرحال بانفسهم الى تلك الاصقاع النائية . وقد نجحوا في ذلك ، وتمكنوا من طرد البرتغال من هنالك سنة 1595 م .

(✱) من رسالة تمكن مراجعتها في كتاب الاستقصا ج 5 ص 66 ـ 67 .

(✱) نفس المصدر السابق ص 84 .

(✱) نفس المصدر السابق ص 81 .

(✱) وهم هنري تيراس فجعلها سبعين سنة (ص 123 من الطبعة الانجليزية من « تاريخ المغرب » .

كل ما تقدم ، نتائج قريبة او بعيدة ، مباشرة او غير مباشرة لهذه المعركة التي خسرت فيها البرتغال سيادتها الوطنية واهم ممتلكاتها في الخارج ، كما فقدت خيرة عناصر سكانها ، والعدد العديد من ابنائها ، فقل عدد السكان ، وخلت الديار ، وافتقرت العائلات الى من يعولها .

يذكر ابو عبد الله الافراني ان اساقفة البرتغال « لما راوا قلة عددهم ، وخلاء بلادهم ، لكثرة من مات منهم ، اباحوا للعامة فاحشة الزنى ليكثر التناسل ، ويخلف ما هلك منهم ، وراوا ذلك من نصرة دينهم وتقويم اود ملتهم (✶) » .

ويذكر بعض المؤرخين ان الطاغية البرتغالي (صون اريكي) لما تم له افتداء الاسرى وتمكنوا من الرجوع الى بلادهم ، سالهم « لماذا لم تاخذوا تطوان والعرائش ، والقصر قبل ان يصل ملكهم ؟ » فقالوا له « امتنع من ذلك الامير الذي كان علينا » . فامر بهم ، فاحرقوا جميعا (✶) .

ولا ندري كم عدد الذين احرقوا ؟ كما لا يمكننا التنبؤ هنا بعدد الذين قتلوا في المعركة من الجانبين ، وان كان بعض الغربيين يبالغون في عدد قتلى المسلمين فيوصلونه الى ثمانية عشر الفا ، ويقللون من قتلى المسيحيين فيقولون انه كان ستة آلاف قتيل ، وان الباقي اسروا كلهم ، ولم يكد ينجو واحد منهم ليحمل نبأ الهزيمة .

ولا تذكر المراجع التي بين ايدينا شيئا عن مصير الاسطول البرتغالي الذي كان يتألف معظمه من فلك كبير ، فلم يكن به من السفن المهمة غير ستين سفينة حربية كبيرة ، وسبعة مراكب شراعية من نوع Galeras (✶) . يقول ابن القاضي ــ كما سبق ان اقتبسنا ــ « ان الخمسة والعشرين الفا بقوا في الاسطول» فهل بقوا فيه الى نهاية المعركة ؟ ام هل اشتبك اسطولهم مع الاسطول المغربي في حرب بحرية ؟ وما ذا كانت نتيجة الاشتباك ؟ تصعب الاجابة عن هذه الاسئلة ، لان المؤرخين اغفلوا هذه الناحية ولم يوردوا فيها ما يشفي غليل الباحث المدقق . ويظهر لنا ان جنود الاسطول قد اشتركوا في القتال ايضا ، ولم يبق بالسفن غير النوتية الذين اصدرت لهم الاوامر بالعودة الى طنجة فاسبانيا والبرتغال قبل الشروع في المعركة، وذلك حتى لا يفكر الجنود في التقهقر او الانسحاب ، وحتى تخلص نيتهم في القتال ، واما ان النوتية مكثوا بسفنهم في اصيلة ، وحينما اتاهم خبر الهزيمة ، تمكنوا من الفرار الى مأمنهم . وعلى اي حال فالاسطول البرتغالي ــ فيما نعتقد ــ لم يبحر جنوب ميناء اصيلة ، ولم يشتبك مع الاسطول المغربي في قتال .

نصب تذكاري : وتمر السنون والقرون ، فيفد على ميدان المعركة وفود الطلبة الحربيين والدارسين البرتغاليين ، كي يتفقدوا مصارع اجدادهم ، وليجدوا مقبرة فيزعموا انها لهم . وترفض السلطات المغربية الزعم ، ويتم الاتفاق على التحكيم ، فتتالف لجنة للبحث ، والتحقيق ، وتجد ان القبور كلها مستقبلة القبلة ، ومن ثم يقتنع البرتغاليون بان تلك المقابر هي لشهداء المسلمين وليست لهم ، ويكتفون ــ حينئذ ــ باقامة نصب تذكاري لعله ما زال دليلا قائما على خيبة املهم ، وعلى تهور ملكهم الذي ضرب عرض الحائط بكل النصائح التي اسديت اليه ، فعرض بذلك حياته وحياة الآلاف من رعيته ورعية حلفائه الاوربيين للموت او الاسر ، كما عرض كيان بلاده للخطر الماحق المحقق . وذلك جزاء من لا يسمع النصيحة .

امجادنا : وقبل ان اختم هذا البحث اريد ان اتساءل : ما ذا فعلنا نحن لتكريم شهداء المعركة الخالدة ؟ ما ذا اعددناه من الكتابات او الكتب حول ابي مروان مولاي عبد الملك البطل الذي لم يهن ولم يستكن امام التحالف الاوربي ضده ؟ كم هي الدراسات او الابحاث التي انشأها كتابنا ومؤلفونا تكريما للبطل العالمي مولاي احمد المنصور الذهبي قاهر اوربا في معركة القصر الكبير ، وفاتح السودان ؟ ما ذا اعدت وزاراتنا الوطنية المتعاقبة في سبيل تشجيع التاليف ، وبعث تراثنا الادبي، وكتابة تاريخنا المجيد ، باسلوب البحث العلمي الحديث ؟ ؟ ثم ما ذا فعلنا لترغيب شبابنا في مطالعة امجاده عبر التاريخ ، ولتحبيب القراءة اليه ؟ ؟ بل اين القارىء المغربي الذي يتلهف على الانتاج الوطني ، ويلتهمه فهما وهضما ؟ ؟

اخشى ما اخشاه ، ان يكون جواب هذه التساؤلات سلبا لا ايجابا ، واذا كان ذلك كذلك ، فالى متى هذا الاهمال الشنيع ؟ والى متى هذا التواكل المرير ؟ والى متى الى متى .

عبد الله العمراني

(✶) نزهة الحادي للافراني ، والاستقصا للناصري ج 5 ص 85

(✶) الاستقصا ج 5 ص 85 .

(✶) مانويل كاستيانوس في كتابه : Descripcion Historica de Marruecos

نظم الحكم في عهد الوطاسيين

للأستاذ : إبراهيم حركات

نحن مدينون للحسن الوزان بكثير من المعلومات المرتبطة بهذا الموضوع ، والباقي نلزم فيه الرجوع الى بعض كتب التاريخ السياسي على قلتها فيما يخص العصر الوطاسي ، كما تعين بحث عدد من كتب التراجم التي من شأنها ان تلقي بعض الاضواء على شخصيات لها ارتباط بالموضوع :

1) رئيس الدولة : كان اول ما يهتم به السلطان الوطاسي بعد تنصيبه ، ان يعين من اكابر شخصيات حاشيته مستشارا رئيسيا ويخصص فيما يقول الوزان ثلث دخل دولته ، كما يعين شخصية اخرى تجمع بين مهام الكتابة الخاصة ومرافقة الملك وخدمته ، فضلا عن الاشراف على الخزينة ، ثم يعين السلطان ضباط الحرس الخاص المؤلف من كتيبة الفرسان ، وهم بدورهم يشاركون في الحملات الحربية عند الاقتضاء ، وفي الميدان القضائي والمالي يقوم بتعيين قضاة وجباة جدد .

اما في داخل القصر فان للسلطان قيما خاصا على نفقاته ، كما انه يشرف على تزويد الجيش بالمؤونة ، وهناك مشرف على الاصطبلات الملكية التي تتوفر على دواب كافية (جمال على الخصوص) لحمل المؤن للجيش ، وقد وضع الطباخون ومساعدوهم تحت ادارة هذا السائس الذي يخضع بدوره للقيم .

اما الاحكام الصادرة عن القصر ، فيتولى السهر على تنفيذها قائد الحرس الخاص ، الذي من مهامه ، زيادة على ادارة الحرس المذكور ، الاشراف على الموظفين المكلفين بتنفيذ الاحكام القضائية ، والمصادرات ، وحق اعتقال الشخصيات السامية ، وتطبيق العقوبات عليهم ، اذا صدر امر سلطاني بذلك .

وهناك بطبيعة الحال عدد من خدم القصر ، وفيهن عدد من السوداوات ، كما يوجد بينهن مسيحيات من اسبانيا والبرتغال ، وهناك حاجب كان يؤدي ما يقوم به مدير التشريفات اليوم ، وكان يصحب السلطان دائما ويرشد الناس الى اماكنهم في مجلس السلطان ، ويشير اليهم بتناول الكلمة حسب مراتبهم .

وفي الحفلات التي يترأسها السلطان ، يقوم المشرف على الحفلات (المزوار) باخبار السعاة بموعد الحفلة ومكانها ، فيقومون اولا باخبار اقارب السلطان ثم القواد وقواد الرحى وسائر الفرسان ، ويتم الحشد في ساحة المشور والازقة المجاورة ، ثم يتقدم الموكب حملة الرايات ، يتلوهم الطبالون وسائس السلطان ومساعدوه ثم القيم الخاص ومساعدوه ، فقواد الرحى ، فالمزوار ، فكتاب الملك ، وامين المال ، والقاضي ، وقائد الجيش واخيرا ، السلطان الذي يرافقه مستشاره او وزيره الاعظم مع بعض الامراء ، ويتحلق حول السلطان وحاشيته حراس ملحون ثم ياتي بعد ذلك الخدم والخصيان والقواسة والبندقيون .

واذا تنقل السلطان الى البادية نصب له مشور خاص من ثوب سميك ، وهو ذو شكل مربع يبلغ طول كل من اضلاعه حوالي خمسة وثلاثين مترا اي ما يعادل مساحة 1225 مترا مربعا ، ولكل من اركان هذا المشور العظيم برج تعلوه قبة مذهبة ، وباب يحرسه الخصيان . ووسط هذا المشور تنصب خيام احداهما عبارة عن غرفة نوم للسلطان وحول المشور تنصب خيام الضباط والندماء المقربين ، فخيام قواد الرحى المصنوعة من جلد المعز ، واخيرا خيام باقي الحاشية ، اما دواب الموكب فتأتي بعيدا عن المعسكر ، تنتصب دكاكين الجزارة والبقالة وباعة القديد ، والصناع وكل هؤلاء يرافقون الجيش للتعامل معه خلال تنقلاته .

اما حرس المشور المذكور ، فهم غير مسلحين ، وقد وصفهم الحسن الوزان بالكسل ، حيث ان عدم اخلاصهم ، كثيرا ما كان سببا في تعرض المعسكرات للسرقة ، بل ومحاولة الاعتداء على السلطان .

وقد اعترف الوطاسيون بالسيادة الرمزية للخليفة العثماني ، كما نقشوا اسمه على السكة ، ولذلك الغوا لقب امير المومنين الذي كان قد سبق ان رجع اليه ابو الحسن المريني ، وهكذا

اكتفوا بلقب السلطان للذي كان قد احدث لاول مرة بالمغرب في عهد المنصور المريني ·

2) ولـي العهـد : تركزت ولاية العهد في ذرية محمد الشيخ الثلاثة : محمد ، وعلي ، واحمد ، الا ان تولية علي الاولى على الرغم من انها كانت بعهد من اخيه محمد البرتغالي، فان احمد الوطاسي سرعان ما نحاه عن الملك سنة 932 ﻫ ، واحمد هذا هو ولد محمد البرتغالي ، وكان الذي تولى كتابة بيعته ، هو الفقيه الونشريسي ، وقد لعب دورا بارزا في البلاط الوطاسي ، وكان لولي العهد ، وزيره الخاص مثلما كان الشأن في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين ·

3) الـــوزراء : استوزر الوطاسيون في معظم الاحيان اشخاصا من اقرب اقاربهم ، كمحمد الحلو والناصر بن ابي زكرياء اخي محمد الشيخ ، وكلاهما كان وزيرا لهذا الاخير ، وكالمسعود بن الناصر ابن عم ابي عبد الله البرتغالي ووزيره ، ومحمد ولد احمد الوطاسي ووزيره ·

وكان هؤلاء الوزراء ، يتولون مهام سياسية وحربية ، فضلا عن اشرافهم على الاعمال الادارية ، كما كانوا يشاركون في قيادة الجيوش المحاربة ، والظاهر ان الصقالبة في هذا العهد لم يحظوا بوظائف وزارية سامية مثلما كان الامر في عهد بني مـريـن ·

4) القضـــاة : تقلصت سلطة القاضي في العصر الوطاسي بشكل ظاهر ، حيث اقتصر على البت في القضايا الشرعية ، واحيلت القضايا المدنية والجنائية على الولاة ، وهذا هو النظام الذي احيته الحماية الفرنسية فيما بعد ، حتى ضغطت دائرة اختصاص القضاة في الميدان الشرعي نفسه ·

وكان القاضي الشرعي يعززه قاضي التوثيق الذي يتكلف بشؤون الزواج والطلاق والتحقيق في الشهادات ولم يكن يتقاضى راتبا رسميا ، لان القضاة كانوا في الغالب يشتغلون بوظائف اخرى كالتدريس وخطبة الجمعة ·

وكان المفتي بمثابة قاضي الاستئناف الذي يرجع اليه اما بقصد الاستشارة في مسألة قانونية او لاعادة النظر في حكم قضـائـي ·

وكان القاضي يتوفر على سجن يودع فيه المحكوم عليهم باحكام خفيفة ، اما القضايا الجنائية ، فكان تنفيذ الاحكام فيها من اختصاص الوالي ، وكذا البت فيها ، وكانت العقوبة العادية في هذه الحالة هي الضرب بالسوط مائة فاكثر ثم تطويق المحكوم عليه بسلسلة في عنقه ، وقد يشرك في السلسلة الواحدة عدة متهمين ثم يطاف بهم عراة ، الا من لباس يستر عورتهم ، ويصحبهم رئيس الشرطة والجلاد الذي يعلن الجريمة المنسوبة الى المتهم بصوت عال · وكان للقضاة في المدن الكبرى نواب كما كان الشأن ايام بني مرين ايضا ·

ومن قضاة الوطاسيين محمد بن عبد الله اليفرني وولده ابو عبد الله ، ومحمد الرزيني الغماري قاضي تطوان المتوفى سنة 934 ﻫ ومحمد بن عبد الرحمن الكراسي قاضي تطوان ايضا والمتوفى سنة 964 ﻫ وعبد الواحد الونشريسي قاضي فاس الذي اغتيل سنة 955 ﻫ بتدبير من السعديين ·

اما الحسبة في هذا العهد فقد انحطت رتبتها الى درجة انها بدات تسند الى اميين ، فضلا عن انها صارت موضع مساومة لدى القصر السلطاني ، وكان محتسب فاس جابيا في نفس الوقت ، وكان من اختصاصه مراقبة الاسعار والمجزرة ، ومواد الاستهلاك ، خصوصا الخبز الذي كان له وزن موحد، واللحم الذي كان يبين ثمنه في بطاقة يشاهدها الزبناء ·

5) العـــال : اتسعت سلطة العمال في هذا العهد ، على حساب سلطة القضاة كما تقدم ، وقد كانت العمالات او الاقاليم يومئذ سبعة هي : (1) تامسنا ، ومن كبريات مدنها الرباط وآنفا (2) فاس، وتمتد الى سلا غربا ومن مدنها فاس وزرهون والمعمورة وسلا (3) ازغار (وتكون مع عمالة الهبط معظم منطقة الغرب الحالية) ومن مدنها القصر الكبير (4) الهبط وتكون باقي منطقة الغرب ، مع منطقة غمارة ، ومن مدنها طنجة وتطوان واصيلا والبصرة (5) الريف ومن مدنها باديس وترغة (6) الحوز وهو يكون احواز فاس وتامسنا الجنوبية ، ومن مدن هذا الاقليم صفرو وتازا ، اما الاقليم السابع فيشكل الاجزاء الشرقية وهو افقر الاقاليم المذكورة ، ومن مدنه مليلية وتازوطا (حصن عظيم مريني) ·

اما اختصاص العمال ، فكان يشمل السلطة الادارية والعسكرية الى جانب القضاء المدني الذي كان تنفيذ احكامه يجري تحت اشراف العامل ·

وكان العامل يستخلص مبالغ هامة من الذعائر وكان على بعض التجار والصناع ان يؤدوا اليه ضريبة معينة عن كل سجين تم اعتقاله ، وكان صاحب الشرطة تحت اشرافه ، اما العاصمة فقد خصص لها اربعة من اصحاب الشرطة ، يتولون السهر على الامن خاصة بالليل ، وكانوا لا يتقاضون رواتب معينة ، وانما يحصلون من المعتقلين على ضرائب حسب مدة اعتقالهم ، ونوع العقوبة المنفذة فيهم ، وقد كان لقصبة فاس صاحب شرطة خاص

وفي هذا العهد بدا يطلق على بعض الولاة لقب قائد ، خصوصا ولاة المراكز التابعة للعمال ، والقائد في الواقع لقب اداري وعسكري خصصه الاتراك لولاتهم وضباطهم فضلا عن لقب الباشا وهو اعظم رتبة ، والاغلب ان هذا الاخير لم يبدا استعماله الا في عهد السعديين ·

وكانت تامسنا من اهم اقاليم المملكة ، اذ كان يبلغ عدد مدنها حوالي اربعين ، وعدد حصونها المعمورة حوالي ثلاثمائة ، ومن اكبر قبائلها يومئذ زناتة وهوارة .

اما اقليم فاس فكان يمتاز بجودة اراضيه الفلاحية ويتوفر على قرى عديدة في التلال والمرتفعات ، اما السهول فقد قللت الحروب كثيرا من نشاطها وسكانها ، وفي هذا الاقليم كان عدد من قبائل العرب يشتغل بالزراعة في الاقطاعات غالبا .

وكان اقليم الهبط يتوفر على مياه غزيرة ومدن عتيقة ، وكانت ثرواته في الماضي السحيق اعظم شأنا وقد ضعفت اهميته منذ الفتح الاسلامي بسبب الحروب الطاحنة والثورات التي كان مسرحا لها .

وكان اقليم ازغار يمد اغمارة وفاس بالاقوات والماشية والجياد،وكان الى ذلك الحين يتوفر على كثير من الغزلان.وعلى الرغم من هذا التقسيم ، فقد كانت عدة مراكز خارجة عن نفوذ الدولة كمراكش وناحية الهبط وسبتة وطنجة وآسفي وتطوان وشفشاون ودبدو ... الخ ...

وقد تم تجديد تطوان سنة 889 هـ وتولتها عائلة ابي الحسن المنظري طيلة العهد الوطاسي ، وكان ابو الحسن علي المنظري من قواد جيش ابي الاحمر بالاندلس ، ثم وفد على محمد الشيخ قبيل سقوط غرناطة فاذن له في تجديد بناء تطوان في السنة المذكورة ، ثم خلفه حفيده ابو عبد الله في اوائل القرن العاشر ، وتزوج بالست الحرة ، بنت الشيخ علي بن راشد حاكم شفشاون الذي تعاون كثيرا مع اسرة المنظري في الجهاد ضد البرتغال ، وكان اسم الست الحرة عائشة وقد كانت تشارك زوجها مهام الحكم حسبما استنتجه الاستاذ داود في كتابه « تاريخ تطوان » وقد توفي زوجها حوالي سنة 935 هـ وتولت هي نفسها حكم تطوان بعد ذلك ، وتزوجها احمد الوطاسي سنة 948 هـ ، وبقيت هناك نائبة عنه حسب استنتاجات المصدر المذكور الى ان استعادت عائلة المنظري الحكم سنة 949 هـ حيث تم اقصاء السيدة الحرة التي لا يعرف مصيرها بعد ذلك على التحقيق .

وبقرب تازا تقع دبدو،التي كانت تحكمها منذ عهد بني مرين عائلة من بني ورتاجن،وظلت كذلك حتى عهد الوطاسيين وحاولت جيوش محمد الشيخ ان تستولي عليها مرة ، وكانت الطريق اليها محفوفة بالمخاطر ، حتى اذا بعدت عن كل نجدة محتملة هزمها الورتاجنيون بعد هجوم مفاجيء ، ولكن محمد الشيخ قاد حملة جديدة بنفسه ضد دبدو سنة 904 هـ 1499 م فلم يسع اميرها محمد الورتاجني الا ان يعلن استسلامه ، بيد ان محمد الشيخ وخلفاءه تركوه واسرته يتولون امور هذه القصبة ، ووثقوا صلاتهم بها عن طريق المصاهرة ، كما فعلوا مع امارات اخرى .

ومن المؤكد ان حكم الوطاسيين فتح مجالا اوسع من ذي قبل بحكم العائلات واستبدادها حتى صار ذلك تقليدا فيما بعد.

وكانت شفشاون في يد بني راشد الذين ظلوا فيها منذ اختطاطها سنة 876 هـ الى 969 هـ حيث طردهم السعديون .

6) الجيش : كان قواد الجيش يدعون بقواد الرحى ، وكان السلطان يقطع كلا منهم حصنا او قريتين ، يكون خراجهما موردا شخصيا له ، وليتمكن بفضله من الانفاق على عدد معين من الفرسان الذين يتم تجنيدهم في الحروب ، وهم في الواقع جنود نظاميون يظلون تحت اشراف قائد الرحى حتى في ايام السلم حيث يزودهم بكميات من القمح والزبدة واللحم وقليل من الدراهم فضلا عن كسوة سنوية ، وكانت الجمال التي تحمل المؤن والذخائر يقودها اسرى مسيحيون .

وكان الجيش النظامي يتكون من ستة آلاف فارس من المرتزقة ، بالاضافة الى خمسمائة بندقي وخمسمائة قواس وكلهم على استعداد دائم للحرب ، وهم غير الصنف الذي تقدم ذكره .

وعدا الفريق المحارب ، كان هناك بطبيعة الحال ، من يشتغل بالطبخ والتنظيف وتموين الدواب وما الى ذلك من لوازم الجيش ، كما ان هناك فرقة من الطبالة الذين كانوا يحملون طبولا من النحاس عظيمة الحجم ، على جياد اصيلة ، ويحافظون عليها اشد المحافظة .

وفي عهد الوطاسيين بدا استعمال المدافع والبنادق ولو ان الاسلحة التقليدية ظلت مستعملة الى جانبها . وقد اتقن الوطاسيون فن الحصار هجوما ودفاعا ، فقد تمكن محمد الشيخ من حصار فاس مدة سنتين قبل ان يستولي عليها ، كما ان حصار اصيلا استمر مدة طويلة حتى تمكن الجيش الوطاسي من اقتحامها سنة 914 هـ وجرى بها قتال شديد داخل الازقة والاسواق ، وكانت تحت حكم البرتغال .

وكان الجيش يتكون من عناصر كثيرة : بربر وعرب وعلوج ، وكان العرب والبربر من قبائل مختلفة ، اما القيادة فكان يتولاها في الغالب شخصيات سامية وربما قاد الحملات السلطان نفسه .

وللجيش فرقة خاصة من حملة الرايات ، واذا ساروا تركوها ملفوفة وتنشر منها واحدة تكون في المقدمة وترفع الى اعلى لتدل الملك وحاشيته وجيشه على الطرق ، وتقودهم عبر الغابات والانهار والمسالك ، فضلا عما لها من دور معنوي في جمع شمل الجيش وتشجيعه على القتال .

7) النظام المالي : ظلت مهمة الجباة كذي قبل ، هي استخلاص الضرائب من السكان وتقديم حساباتها الى القصر

السلطاني الذي يتولى مباشرة فرض ضرائب جدد او الغائها ، ويتوفر القصر على خمسين فارسا مهمتهم الاخبار بالضرائب المقررة . اما استخلاص المكس بالابواب ، فيتولاه شخص يشتري هو نفسه حتى استخلاص المكس من السلطان ، في المكان المعين له ، مقابل مبلغ محدد ، وقد يشتري شخص واحد مجموع حق استخلاص المكس بالمغرب (او على الاصح بالمراكز الخاضعة للدولة) .

وكان لهذا النظام سوابق في دول الشرق الاسلامي كالفاطميين وغيرهم مما كان يؤدي غالبا الى عجز الجباة عن الايفاء بتعهداتهم ، فتعمد الدولة الى مصادرتهم وتشريدهم ومن امثلة ذلك ان ابا العباس احمد الوطاسي عين على امكاس المغرب رجلا يدعى المنجور الاسلامي ، وكان يقدم الى الدولة عن مكس فاس وحدها الف دينار سنويا ، ولكن عجزه عن الايفاء بها ادى بالسلطان الى ان ينكبه ويصادر امواله .

وكان الشخص الذي يتولى مهمة الجباية بفاس هو المحتسب الذي كان عليه ان يؤدي الى الخزينة الملكية ثلاثين دينارا يوميا ، ويتعين عليه ان يقيم على ابواب المدينة حراسا وكتبة يتقاضون تعويضات حسب البضائع الداخلة .

وكثير من الترتيبات المستعملة الآن بالمغرب ، كانت تطبق تقريبا بنفس الكيفية في العهد الوطاسي ، من ذلك ، ان حراس الابواب كانوا يذهبون كما يفعل الدركيون اليوم الى خارج المدينة ، للقيام بتفتيشات مباغتة للسلع التي تدخل بها الدواب الى المدينة ، ومتى ثبت ان التصريح بالبضائع غير مطابق لنتيجة التفتيش ، تعين على التاجر ان يؤدي المكس مضاعفا .

وكانت مواد الاستهلاك الرئيسية من قمح وحطب ودجاج وبقر ، معفاة من الضرائب بينما يؤدي مبلغ معين عن كل كبش ذبح بالمجزرة وكذا عن الثياب المستوردة من اوربا .

هذه لمحة موجزة عن نظام الحكم في عهد الوطاسيين الذين لا يصور التاريخ السياسي ايامهم الا كفترة مظلمة تسودها الفتن والقلاقل ، وما اسوأ تاريخ المغرب حظا لدى اكثر من الفوا فيه ، فقد لاحظنا من خلال هذا العرض المختصر ان اجراءات الحكم في جملتها ايام الوطاسيين لم تكن تخلو من تنظيم مهما كان من عيوبه .

الرباط : ابراهيم حركات

جنة حل بها العاصي

حمص لمن حل بها جنة

يدنوا لديها الأمل القاصي

حل بها ((العاصي)) الا فاعجبوا

من جنة حل بها العاصي

عن المقري في نفح الطيب



الحمايات الأجنبية وأثرها في ماضينا القريب

للأستاذ : مصطفى الغربي

ان ابرع الاساليب التي ابتكرتها الدول الغربية في اواخر القرن التاسع عشر للتأمين على مصالحها الاقتصادية بالمغرب ، واكبر الوسائل التي استخدمتها لتبرير تدخلاتها في شؤونه الخاصة لتركيز هذه المصالح ، واعظم الحيل التي استعملتها لايجاد مشاكل واسباب تضلل عن مقاصدها ، وتخفي نياتها الاستعمارية وتدنيها من الانتفاع بنتائجها المغتصبة وتوطيد خطتها الاستغلالية ، وتضمن الثبات والاستقرار لما فرضته على البلاد من امتيازات ، خلق بدعة « الحماية » لافراد الشعب من عدم متابعتهم امام المحاكم المغربية ، ومنحهم حقوقا واعتبارات لادنى المعاملات الرابطة معهم ــ فابعدت بهذا الميز ــ اولئك المحميين عن البيئة التي عشوا فيها ، واندمجت حياتهم في تقاليدها وعوائدها ، كما عزلتهم عن الوسط الذي نشأوا فيه وشبوا على مميزاته ومقوماته ، وجعلتهم ذاتيين منطويين على انفسهم فيما يقصدون من مطالب الحياة ، انانيين محتكرين فيما يرمون له من رغائب في مجتمعهم ، واعضاء شل عاطلين سلبيين امام مصالح قومهم ، تنظر الامة اليهم نظرة اشمئزاز واحتقار وازدراء، وتعتبرهم مارقين من الدين منسلخين عن وطنيتهم لعدم رضاهم بشرائع البلاد ، ورضوخهم لحماية الاجنبي « الكافر » كما تعدهم « عيونا » للاجانب تحذرهم في المعاملات وتخالطهم بتحفظ وتيقظ ، وتعاشرهم بفتور واهمال ، مما يعطي ــ لقارئي العزيز ــ صورة واضحة جلية عن وعي وطني كامل كان ممتزجا في نفوس الشعب المغربي الابية ، ومختلطا بدمه الاصيل في تلك الفترة التاريخية المظلمة من حياته الاستقلالية ، التي عاشها وشقي فيها كثيرا وكابد المرائر ، واستطاع بقوة معنويته وحصانة قوميته وفطرته المجبولة على الحرية ، ان يجتاز المراحل الطويلة التي تلتها متحملا امتحاناتها القاسية التي ما اجدت الداخل الغاصب في تحويل هذا الشعب الابي عن عقيدته ، ولا افادته في فل عوده الصلب ولا نفعته في الانة قناته ، للخضوع والانقياد، رغم المصاعب المتوالية عليه ، حتى استرد ما اغتصبه منه ، واستأنف حياته الاستقلالية من جديد ، مندفعا الى الامام بروح وثابة ، ومستفيدا من الكل على ضوء احداث ماضيه القريب ، لا يعبأ بما يعترض طريقه ونهجه القويم من اشواك وعقبات .

اجل كان مما ساعد على انتشار هذه البدعة المقيتة المخزية وذيوعها في ربوع المغرب وشيوعها في اوساطه ، والتهافت على اعتناقها والسعي للاستظلال بمأمنها ، هو سريان فقدان الثقة بالسلطة المركزية وتضاؤل نظرات قوتها بين الناس ، وتضعضع هيبة « المخزن » ونفوذه في نفوس العامة ، وسقوط احترامه لكثرة التدخلات الاجنبية ، وبهذا قد تسرب الجزع بين مختلف الهيئات التجارية والصناعية خشية اهدار حقوقهم ، كما استولى الفزع على قلوب اصحاب الاملاك العريضة خوف ضياع مقتنياتهم والاستئثار بمصادر غناهم ، وزاد الحالة سوءا عجز الدولة عن استتباب الامن والمحافظة على سلامة الافراد وصد عدوان الجناة ورد جماح المغامرين الانتهازيين والضرب على ايديهم ، وتفاحش الامر وبلغ اقصى مداه لتوالي الفتن المدبرة من الطامعين في خيرات البلاد ، التي تكاثرت احداثها وصارت وقائعها تترى في معظم الجهات ، ونمت بسببها بذور القلاقل واينعت بصفة مسرعة في بعض النواحي لحساسية مراكزها، وبدأت تبرز قرون الفتن وتتحرك براكين الثورات ، وبدت للعيان ترفر نيرانها المؤسية المؤسفة كطليعة لانقلابات خطيرة، ولقد غذى هذه الاحداث المؤلمة ، وطورها لاسوء حالاتها ووجهها لطريق الانهيار الداخلي للاستسلام والانهزام ، تلك المؤامرات السياسية التي كانت تحاك هنا وهناك خيوط برامجها في طي الخفاء ، وتبرم لاجلها بين ساسة الدول الغربية الاتفاقات والمعاهدات السرية ، قصد تمزيق وحدة المغرب والقضاء على استقلاله وقلب وضعيته رأسا على عقب ، رغبة في استغلال اراضيه الخصبة الشاسعة ، والاستيلاء على ثروات معادنه ، وتهييئه للدخول في طور « الحماية » الثاني والاخير الشامل لجميع اقوامه ، والعمل على حصر الجهود والخدمات والتوصيات في ان يكون اتجاه المغرب المدني مبنيا على المناحي السلبية ليكون سوقا رائجة لانتاجاتهم المتنوعة ، وموردا هاما للمواد

الخام التي تتطلبها معاملهم الصناعية ، وقدمت من جانبهم لهذا اقتراحات للحكومة المغربية كاصلاحات للتطور وتقدم البلاد ، وسيرها في ركب الامم المتمدنة ، والتي تقضي – كما يزعمون – برجوع الامن واسترداد هيبة « المخزن » ونفوذه بين القبائل ، تلك الاصلاحات المقتصرة على مثل فتح المدارس لتعليم ابناء « الاعيان » وتشجيع نشر العلوم النظرية فيها ، وترقية الوسائل الفلاحية وتحسين انواع الانتاج المغربي والاقتصار على تنميته في اطاره التقليدي – لئلا ينافس وارداتهم ويقضي على مشاريعهم الاقتصادية – ، والعمل على التصنيع في الكمالي والثانوي مما تحتاجه البلاد ، وفتح الطرق العامة لربط جميع الانحاء بعضها ببعض ، ومد السكك الحديدية لتسهيل المواصلات، وبناء الجسور على الاودية والانهار ، وتكوين فرق من الشرطة طلبا لاسترجاع الامن ، الى غير ذلك من المقترحات الداعية لتقدم البلاد ، في نطاق يساعد على تركيز وتثبيت نفوذهم للتأمين على مصالحهم ، وعملت هذه الدول ايضا من جهة اخرى – بما لديها من تاثير واعتبار لدى بعض الشخصيات المغفلة المؤولة على تحطيط مشروع انبعاث البلاد ، واعادة تاريخها المجيد من جديد ، وتحقيق نهضة حق تضمن لها السير في مصاف امم هذه الدول المتكالبة عليها ، وتجعلها امة صناعية غنية بنفسها منتجة مصدرة في مستوى تبادلهم التجاري مع اتخاذ الوسائل المؤدية لمستواهم الحضاري ، واستطاعت بهذه « النصائح » والاقتراحات ان تعرقل التصميمات الموصلة لهذه الغاية ، فبعد ما اقتنع رجالات الشعب المغربي وعلى رأسهم العاهل الهمام الحسن الاول بوجهة نظرهم في التطور الصحيح لترقية البلاد وتمدنها لصيانة استقلالها من التدخل الاجنبي ، صار المغرب يرسل البعثات لاوربا وللشرق العربي الفنية والعسكرية ويطلب المتخصصين من الدول المتحالفة للتجهيز العسكري ، وتنظيم جيوش برية على نموذج التسليح الاوربي ، فقد استدعى المغرب سنة 1877 م بعثة عسكرية فرنسية لتنظيم المدفعية ، وطلب من الانكليز ضابطين لايجاد فرق نظامية من الجنود البرية وهما « هاري ماك لين » و « الماجور او جيلفي » ، كما اهتم باحداث مصانع مجهزة تجهيزا عصريا كمصنع الاسلحة بفاس ، الذي عرف باسم « الماكينا » فقد كلف بعثة ايطالية باقامته سنة 1886 م لصنع الاسلحة وسك النقود ، ولكن كل ذلك لم تطقه تلكم الدول التي كانت تشرئب نفوسها – بشره – لخيرات المغرب ، وتتطلع لما احتوت عليه اراضيه من معادن ، ولم تكن لتتحمل مدى عاقبة هذا التطور حيث سيقضي – لا محالة – على مشاريعها الاستعمارية ، ويرغمها على تغيير خططها السياسية نحو هذه البلاد الطامحة ، فعملت ما في وسعها من مناورات لطمس هذه الحركة المباركة ومحوها من اذهان المغاربة ، باهتمامات اصلاحية سطحية اثارتها في اوساطهم ، لتبعدهم عن السير في النهج العملي الايجابي ، ومع الاسف الشديد فلقد نجحت مساعيها الماكرة في اقبار هذه النهضة في مهدها ، وارجاع البعثات العلمية لوطنها مزودة بالخيبة والحسرة ، فأدمجت جلها بيئاتهم المتخلفة ليبحث افرادها عما يمكن ان يدفع عنهم غائلة الجوع ومعرة الاملاق ، بمهن وضيعة لا تتناسب مع المقام الذي هيئوا له ، لولا هذه المكايد الاستعمارية ، وجازت الحيلة على اولئك المغفلين المغرضين من بعض مسئولي البلاد ، في تغيير الاتجاه الى نهج نظري سلبي يدعو للاستغلال ويعلن عن المظاهر ويؤدي الى الاعتماد على الغير في كثير من المناحي الحيوية .

حقا ، لقد كان نجاح الامتيازات الاجنبية ، وفرض الحلول الزائفة للاصلاح ، واخفاق حركة الانبعاث اكبر عامل في تركيز نفوذ الاجانب ، واعظم مشجع لهم في بث الدعاوة لهذه « الحماية » واعطائها بسخاء دون قيد ولا شرط ، وقسموها على اقسام ثلاثة : قسم اجازوا به اي مغربي ادى خدمة لهم كانقاذ احد الجالية من خطر او بناية قنصلية من حريق او ما يشبه هذا ، وقسم ثان منحوه لموظفي قنصلياتهم المغاربة من كتاب وتراجمة وعمال والمضافين لهم من اهل واتباع ! وقسم ثالث وهو اهم ما في القضية لانه عليه انبنت مشكلة المغرب ، ولمراميه اشتدت المناورات الدولية ، ولمبغاته استوقدت نيران المؤامرات الاستغلالية في جميع ربوع المغرب والتي زادها اشتعالا رياح السوء والخديعة ، فأتت على اليابس والاخضر فخلفت الافقار والافلاس ، اجل خصصوا هذا القسم لكل تاجر مغربي يتعامل معهم ، وحرروه من جميع الضرائب ، كما حصنوه من المسؤوليات التي يمكن ان يتابع بها من جهة حكومته المترتبة عن المضاربات التجارية ، وتكاثر هذا النوع من الحماية وتفاحش امره بين الاوساط حتى ادركه الناس بأتفه الوسائل واسخف الطرق وادنى معاملة ، وبلغ الحد فيه منتهاه بحيث صار في استطاعة كل محمي ان يحمي بدوره كل عائلته ، ومن ينفق عليه من الخدم والحاشية ، بل ومن يلوذ به من صغار الباعة والتجار !! ، وبسبب هذا العمل المشين ظهرت مهازل ومآسي على مسرح المجتمع المغربي مثلت ادوارها اقبح تمثيل ، بلغ مداه السيء الى التأثير على دولاب السلطة المركزية والتنقيص من نفوذها العام ، فاختل بذلك الامن في معظم النواحي ، وعمت الفوضى وساد الارتباك في اصدار الاحكام التي يطلب تنفيذها من المحاكم الشرعية والباشوية ، علاوة على المفعول الضار الذي ادى الى تدخل الاجنبي في قضايا المغرب ومسائله الخاصة ، مما يدعو للمس بسيادته ويرمي للتحكم في مصالحه العامة ، ويقضي على شخصيته الاستقلالية .

هذا ولما رأى الحسن الاول ومستشاروه المحنكون من حكومته مبلغ هذه الحالة الشاذة التي كادت ان تعطل شرائع البلاد وتجعلها عاجزة في ايدي السلطة التنفيذية عن تسوية الحكم بين الناس ، وتسلب نفوذ الحكومة وهيبتها من بين مختلف طبقات الشعب ، تداركوا هذا الامر واحتجوا احتجاجات صارمة على الدول ، تلكم الدول التي كانت تتجر مع المغرب وتستعمل طرقا لا تتفق مع حرمته ومكانته المستقلة ، ولا ما

تقتضيه القوانين الدولية في مثل هذه الحالات ، واقتنعوا فكانت ساعة الاقتناع تتلاقى مع اشتداد تنافسهم بوجوب انعقاد مؤتمر تدرس فيه اوجه صالحة لحل هذا المشكل المعضل حلا يقر بالوضعية الاستقلالية ، ولا يتعارض مع السلطة المركزية ، او يتنافى مع شريعة الامة ، فانعقد بمدريد بتاريخ 3 يوليوز سنة 1880 م (25 رجب عام 1297 هـ) واجتمع فيه ثلاثة عشر مندوبا عن : اسبانيا ـ ايطاليا ـ المانيا ـ البرتغال ـ بريطانيا العظمى ـ بلجيكا ـ الدانمارك ـ السويد ـ فرنسا ـ النرويج ـ النمسا ـ هولاندا ـ الولايات المتحدة ، وقد مثل المغرب فيه السياسي الغيور الحازم وزير خارجية حكومته والنائب المفوض بطنجة السيد محمد بركاش بمؤازرة كاتبه المحنك السيد الحاج عبد الكريم بريشة ، واتفق المؤتمرون ـ بعد مداولات حادة ومناقشات عديدة ، واعتراض من ممثلي بعض الدول ودفاع من سفير المغرب عن وجهة النظر المغربية في قضية الحمايات ـ على وضع وفق مؤلف من ثمانية عشر فصلا . نص الفصل الثاني ان لسفراء الدول ان تختار موظفيها من المغاربة بشرط ان لا يتمتع هؤلاء باي حق من الحقوق يمتازون به عن غيرهم من المواطنين او يعفون من الضرائب ، كما ان الفصل الثالث قرر ان لا يتعدى الموظفون منهم مترجما واحدا او كاتبا ـ ان احتيج اليه وخادمين فقط ، ونص الفصل الخامس ان الحكومة المغربية تخول للسفراء المفوضين والقائمين باعمالهم حق اختيار الذين يستخدمونهم على ان لا يكونوا من شيوخ القبائل او من موظفي الحكومة او من جنود تحت السلاح الا من كان من جنود الحراسة ، ولا يجوز استخدام من اتهم بارتكاب جريمة ، وقرر في هذا الفصل ان القضايا المرفوعة ضد هؤلاء المحميين قبل دخولهم في الحماية تفصل بواسطة المحاكم المغربية ولا يحال بينها وبين تنفيذ الحكم الذي يصدر عليهم منها ، كما نص الفصل السادس ان لاتشمل الحماية فيما بعد الا عائلة المحمي داخل منزله فقط ، ولا يدخل فيها اهله خارج المنزل ، ومن يقوم بنفقتهم من الخدم والحاشية ، ولا تنتقل بالارث ، وفي الفصل الثامن يلزم لكل مسئولي القنصليات ان يقدموا كل سنة الى السلطة المحلية قائمة باسماء من يتمتعون بحمايتهم ، لترى وزارة الخارجية المغربية رأيها في تلك القائمة هل هي موافقة لبنود الوفق ام لا ؟ . ونص الفصل العاشر بمنع الاجانب من اقتناء الاملاك بالمغرب الا باذن خاص من الملك ولا يتم التملك الا بموافقة الحكومة المغربية ويشترط ان تكون سندات اثبات الملكية خاضعة للقواعد المنصوص عليها في شرائع البلاد ، وفي الفصل الرابع عشر ان كل مغربي نال جنسية في الخارج ، ثم عاد الى البلاد فبعد انقضاء المدة اللازمة للحصول على جنسية يخير في الخضوع لشرائع البلاد او مغادراتها ، وقرر الفصل الخامس عشر بان السلطات المغربية لا تعترف بحماية بعد الآن مهما كان نوعها ، سوى ما نص عليه في هذا الوفق عدا حماية مغربي ادى خدمة لدولة اجنبية ، ويجب تبليغ هذه الخدمة مقدما لوزير الخارجية المغربية ليبدي ملاحظته خشية ان تكون ضارة بالمصالح العامة ، ولا يجوز ان يتجاوز هذا النوع من المحميين اثنى عشر شخصا لكل دولة ، ويظل هذا العدد حدا اعلى ، وبعد ذلك انعقد اجتماع نهائي بطنجة في فاتح مايو سنة 1881 م حول المصادقة على هذا الوفق الذي صار يطلق عليه بعد هذا الاجتماع « معاهدة مدريد » ، ولقد كان العاهل الهمام الحسن الاول ارسل قبل عقد جلسات المؤتمر رسالة هامة لممثل حكومته ونائبه المفوض ، كتعزيز لسفارته وتقويتها بارشادات نيرة ، وتعليمات خاصة ،وتوجيهات لا غناء عنها في مثل هذه المفاوضات، تحدث سطورها عن يقظة وحذر من تلاعب الغربيين ذوي المطامع ونضج ودراية بما يرمون اليه في منطقهم الموجه في المداولات السياسية ، والى قارئي العزيز نصها

« خديمنا الارضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد فقد وقع الاتفاق من دول الاجناس على الجمع في امر الحماية بمدريد ونحن نتأمل ونستخير الله فيمن نختار لهذا الامر المهم وتظهر نتيجته على يده من درء المفاسد وجلب المصالح لهذه الامة المحمدية ، فلم يقع اختيارنا الا عليك ، لكونك اجتمع فيك ما افترق في غيرك ، ولك قدم راسخة في الخدمة ، وجربت الامور واقتصر نظرنا الشريف تعزيزك بخديمنا الابر الحاج عبد الكريم بريشة ليكون ردءا لك وعضدا مساعدا لكونه رجلا كيسا فطنا حنكته التجارب ومن بيت الخدمة ، على ان المدار في ذلك والمعول عليه فيه والمعتمد عليه هو الله تعالى ثم عليك تحقيقا وتشريعا وتأسيسا وتفريعا ، لكونك عندنا وزير الامور البرانية التي البستناك من حللها بردة يمانية ولكون ابتداء هذا الامر منك وحاولته بكلتا يديك، وعالجته بما من السياسة لديك، وكان ما تقدم فيه من المقادمات والمكابدة للمشاق غير خاف عليك بعد استعمال الروية فيه ، على وجه يستخلصه ويستوفيه ، حتى سهل الله الآن الطرق والاسباب ، ولكل اجل كتاب ، وحيث حان وقت الاجتماع عليه وادرك اباته ، تعين توجيهك للحضور مع اولئك النواب ، واستخلاص الغرض على وجه يكون امس بالمقام واحرز للصواب، وعليه فنامرك ان تتوجه صحبة الخديم المذكور لمباشرة امر المحميين من هذه الرعية ، سفيرا متحملا لأعباء المحاضرة مع الاجناس لذلك بمدريد ، لكونك بالنيابة التي وصفنا وباحكام ذلك جديرا وبمباني اركانه خبيرا ، امدك الله بتوفيقه ، وسددك فيما تأتي وما تذر من جمع الامر على مركز المصلحة وتطبيقه وزد في ذلك تيقظا ودهاء ونباهة على ما هو معروف منك على البداهة ، واستعمل في ذلك غاية مقدورك من السياسة والتدبير ، والاخذ بالحزم والاحتياط والنظر في ذلك بعين الناقد البصير ، ولاحظ مع ذلك ما هو مقرر مشترط ولا تحتاج الى ان ننبهك على الاخذ بزمام اللسان فيما عسى ان يتلفظ به خارجا عن القانون ويجري مجرى السقط ، واسلك مسلك التأني

والتروي فيما تبرمه ، او تعقده يمناك بروابط الاناة وتحكمه ، حتى تباشر الامر بحول الله على وجه متمم الاركان ، منوطا بالمصلحة دائرا معها بقدر الامكان ، كما نامرك ان تباشر امر ما يضيع لبيت المال بسبب منع القنصوات اهل الحماية من اعطاء ما يجب عليهم وتعرضهم عليهم عند الحكام فيما يباشرونه من حقوق المخزن وغيرها ، حتى يرتفع ذلك وتقع المساواة بين الرعايا والاجناس ، ولا يقع تخصيص لبعضهم دون بعض في شيء من الاشياء ، الا ما احكمته الشروط اذ ربما يتعصب المحميون وغيرهم من رعايا الاجناس كالذين يردون من الجزائر ونحوهم ويستوطنون في هذه الايالة ويبقون على تمنعهم من ذلك ، ويزعمون ان عادتهم عدم الاعطاء ، ويتظلمون اذا خوطبوا باداء الواجبات كغيرهم من الناس ، فلا بد من التنبه لهذا ليتبرم الامر على مقتضاه ، وقد فوضنا لك في ضبط امر الحماية ورده الى القانون الاصلي المقرر في الشروط ردا مطلقا من غير خروج عليها بزيادة ولا نقص ولا تعليق على شيء غير معهود ، حتى ترجع الى اصلها القديم المجعول بين الاسلاف رحمهم الله ودول الاجناس من غير اقتراح زيادة عليها ولا سيما فيما يرجع للدين والشريعة فاني لا اوافق عليه وانما اتمسك بحبل الله ، واقول ربي الله ، وما قال ابونا ابراهيم ويعقوب عليهما السلام كما في الكتاب المكنون : « يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون » وعليك بتقوى الله ومراقبته في السر والعلانية ، فانها عدة تكفي عن غيرها ولا يكفي غيرها عنها ، ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومن كل هم فرجا ، والسلام . 20 جمادى الاولى عام 1297 هـ » .

هذا وبعد ما صدق المؤتمرون على « معاهدة مدريد » صارت الدول ذات المصالح الاستعمارية كفرنسا وانجلترا واسبانيا والمانيا ــ بصفة خاصة ــ تنقض ما عاهدت عليه ، وتخرق البنود شيئا فشيئا وتهمل العمل بها ، لان مسايرتها ــ اول وهلة ــ لقبول هذا المؤتمر لم تكن عن رغبة في اعطاء الحق لذويه ــ كما لا يخفى على متتبعي سياستها في هذه الفترة الحاسمة في استقلال المغرب ــ وانما اكرهت على ذلك تحت ضغط التنافس الذي اشتد بينها ــ اذ ذاك ــ على توزيع المصالح ، تلك المصالح التي كانت تعتبر عدم الاتفاقات حولها من العوامل الاساسية في تأخير احتلال هذا القطر الذي لا غناء لها عنه في ربط الصلات مع مستعمراتها ــ علاوة على ما تحتوي ارضه البكر الشاسعة من معادن واخصاب ــ وما دام يكسب موقعا جغرافيا ذا اهمية كبرى ويملك واجهتين بحريتين ، اولاهما تطل على البحر المتوسط ، وتتحكم في مضيق جبل طارق ، ذلك المضيق العالمي الهام ، والاخرى على البحر المحيط الاطلسي ، وتمتد موانئه عليه من طنجة الى ايفني ، وهي تعد من اهم المراكز للخطوط الملاحية المؤدية لامريكا الشمالية والجنوبية ، ومن اعظم المحطات الموصلة للبلاد الافريقية المرموقة من الرأسمالية الغربية لتركيز ميدانها الاقتصادي ، وتثبيت دعائمه بمواد اراضيها الخام الغزيرة ، حقيقة ، فباغتيال هذه المعاهدة تأزمت الحالة بالمغرب وتطورت من سيء الى اسوء ، وتكاثرت الاحداث المؤلمة بموت الحسن الاول (1894) وازدادت وقائعها الوخيمة بموت الوزير الشهير با احمد (1900) الذي تولى زمام الامر بعده نيابة عن عبد العزيز لصغر سنه ، والذي تحسب سياسته الخارجية ــ لشخصيته القوية ــ امتدادا لسياسة الحسن الاول فكان ذلك مما عجل بحدوث الكارثة والاسراع بوقوعها كارثة عقد الحماية المشؤوم (1912 ، ذلك العقد الذي شتت شمل الشعب المغربي ، ومزق قطره العظيم على ثلاث مناطق « سلطانية فرنسية » « خليفية اسبانية » « منطوية دولية » .

رأى ابن القيم اعوجاجا في كلام شيخ الاسلام « اسماعيل الهروي » ، وكان صديقا له ، فقال :
« شيخ الاسلام حبيب الينا ، والحق أحب الينا منه » .

خصائص المدرسة الحديثية المغربية

للأستاذ: حسن السائح

-2-

كان من نتيجة العناية بالحديث ان برع في علم الحديث في الاندلس ابو علي الصدفي ✻ الذي كان يروي السنن لابي داود، والدارقطني، وجامع الترمذي وتاريخ البخاري ورياض المتعلمين لابن نعيم ثم انفرد بالامامة بعده الغساني ✻ الذي كان ءاخر المسندين بقرطبة.

وبرز في هذا الميدان ابو العباس الخزرجي وابو الوليد الباجي وابو عامر ابن حبيب وابو عمران بن ابي تليد وابو بحر الاسدي وابو العباس بن دروة، وكان محمد بن حيدرة المعافري خاتمة الحافظ بالاندلس واعرفهم بعلله واكثر المبرزين في صناعته ومعرفة معانيه وحفظ اسمائه ✻

وتالق نجم الوزير ابو عبد الله محمد بن مسعود ابن فرح ابن الخصار الغافي ✻ مؤلف «منهج في معارضة المبهج» وكان الناس يروون جميع كتبه من منظوم ومنثور ✻ ومن كبار المحدثين بالمغرب ابن دحية السبتي الذي كان يحفظ صحيح مسلم ✻ وقد امتحنه علماء مصر حفظة الحديث فذكروا احاديث بأسانيد حولوا متونها فأعاد المتون المحولة، وعرف تغييرها، ثم ذكر الاحاديث على ما هي عليه من متونها الاصلية ✻ وعبد الرحمن بن محمد من اهل تاسنا المعروف بالمكولي ✻ وابو عبد الله محمد بن عبد الله بن طاهر الحسني الشريف الصقلي، وابو الحسين علي بن عبد الملك الكتافي الحميري الفاسي ويعرف بابن القطان كان من ابصر الناس بالحديث كما ذكر ابن سعيد في الرسالة التي ذيل بها رسالة ابن حزم في مفاخر الاندلس، ومنهم ابو اسحاق ابراهيم بن محمد المرادي الذي كان احفظ اهل زمانه، واذكرهم للتاريخ وابو عبد الله محمد بن يحيى بن صاف المعروف بالمواق المراكشي الذي شرح مقدمة صحيح مسلم ✻ ولا يمكن استقصاء كبار المحدثين المشهورين في المغرب وتفصيل ءاثارهم وانما حسبي ان اذكر المشهورين فيهم كالامام ابن غازي المتوفى سنة 919 من محدثي القرن العاشر وهو اول من سن قراءة الحديث في رمضان بالمساجد، وكالمحدث سقين وابن القصار من نفس هذا العصر واشتهر « القرن الحادي عشر » بثلاثة محدثين كبار تفاوت تقدير نقاد الحديث لهم وهم المقري والفاسي والفيلالي حسب قولة محمد بن ابي بكر الدلائي المشهورة في المفاضلة بين هؤلاء الثلاثة، ومن القرن الثاني عشر نذكر ابا سالم العياشي صاحب الرحلة وابن عبد السلام بناني، وبعد هؤلاء تالق اسم المحدث الدراتي السلاوي والعربي الرباطي.

وكان من اشهر المحدثين في المشرق الامام العبدوسي احد اعلام الحديث في المغرب زار المشرق وعلم به ويقدر الشوكاني طريقته ومهارته البيداجوجية حيث يستعمل اساليب المحدثين في تلقين العلوم الاسلامية

✻ التكملة لابن الابار ج 1 ص 89
✻ ابن الابار ج 1 ص 78.
✻ التكملة لابن الابار ج 1 ص 94.
✻ قيام دولة المرابطين للدكتور حسن احمد محمود
✻ فهرست ابن خير ص 386 و 450.
✻ الشذرات ج 5 ص 160.
✻ عنوان الدراية 161.
✻ التكملة ص 1657.
✻ الاعلام ج 3 ص 142.

فكان في التفسير يفتح الاية بما يناسبها من الاحاديث واخبار السلف من الصحابة والتابعين واتباعهم ثم بعد ذلك يرجع الى الاية ، وبما يأخذ في نقل الاحاديث ، فيقول الحديث الاول كذا والثاني كذا الى المئة ثم يبدىء المئة الثانية حتى يختمها وسلك في المدونة نفس المسلك فيذكر المسالة براي مالك ، ثم ينزل طبقة طبقة حتى يصل الى علماء الانصار من المصريين والافارقة والمغاربة والاندلسيين ، ويسلك في النحو نفس المسلك يبدأ بأصحاب سيبويه ثم السيرافي وطبقات النحاة كما اشتهر من بين كبار المحدثين المسلمين في المغرب ابو بكر الدلائي المتوفى سنة 1046 واحمد القربي الرباطي المتوفى سنة 1178 والشيخ التاودي ابن سودة المتوفى سنة 1209 وابن عجيبة التطواني المتوفى سنة 1224 .

على ان المدرسة الحديثية المغربية تبلورت في في شخصيتين « الاولى » في القرن الخامس ، وهي شخصية ابي الفضل عياض اليحصبي المولود سنة 476 ، المتوفى سنة 530 المعروف بالقاضي عياض ، عياض ، هذه العبقرية التي كيفت شؤون الحياة بما لها من جاه وثراء * فتفرغت لدراسة الحديث ، واهتمت به اهتماما بليغا * فالف فيه عدة كتب قيمة ذكر الضبي منها في بغية الملتمس كتاب « الالماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد السماع » و « بغية الرائد معرفة ما في حديث ام زرع من الفوائد » وحدث الضبي به عنه وابو محمد ابن عبيد الله ، ويروى عن الفقيه ابي عبد الله التميمي وابي الصدفي وابي عبد الله بن حمدين وابي بكر بن العربي * كما الف المشارق على الصحيحين والموطأ ، وشرح مسلم وكتاب « الفنية » و « ترتيب المدارك في طبقات اصحاب مالك » * وقد اصبح القاضي عياض راس علماء المغرب في الاسلام كما يقول المترجمون له يعرف اسرار الاسلام العقيدية والشرعية والسلوكية كما كان * يوضح من المعارف ما اشكل « حسب تعبير الفتح بن خاقان » * واصبح القدوة التي يحتذيها علماء الاسلام في المشرق والمغرب من بعد بل نموذجا عاليا لعلماء الاسلام * وحسب قول عالم الهند الشيخ محمد بن مصطفى ، فشخصية القاضي عياض كانت درسا لعلماء عصره الذين اصبحوا لا يعرفون من هذا العلم الا الاسم ولا من اصحابه الا الرسم ، وقد خصص في دراسة شخصيته وآثاره وعصوره المحدث المقري في كتابه القيم «ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض » ، وتصدى لشرح اقواله من العلماء العباس ابن ابراهيم في اظهار الكمال * كما تحدث عن صراعه المذهبي ، والتزامه للمالكية والمدرسة الحديثة ضد الموحدين والظاهرية كثير من المؤرخين المعاصرين ، على ان اشهر ما عرف به القاضي عياض هو كتاب «الشفا في التعريف ببعض حقوق المصطفى»، وهو تحليل لحياة الرسول في اسلوب ادبي بليغ وقد ذاع في سائر الاقطار الاسلامية ، حتى اصبح خير ما يتقرب به الى الله ، وطبع مرارا وشرح عدة شروح ، ومن شروحه « الفتح الفياض في شرح شفاء القاضي عياض » لابي الحسن علي الحريسي ، و «مفتاح الشفا لعبد الرحمن الفاسي كما أن المع ما الفه القاضي عياض في التراجم هو « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك» وقد نشر ابن شنب وصفا لهذا الكتاب ، ويهتم بعض الباحثين بطبعه الان. «الشخصية الثانية » ظهرت في القرن الثاني عشر وهي شخصية ابي العلاء ادريس بن محمد العراقي « 1120 ــ 1183» الذي كان اشهر محدثي القرن الثاني عشر ، ومن خلال ما كتب في علم الحديث نعرف مقدار ما بذل من جهد في نشر هذا العلم وتدقيق مباحثه ، فقد شرح شمائل الترميذي ، ويقول علماء الحديث ان الترميذي لا

---

* كان القاضي عياض متمولا « تاريخ قضاة الاندلس للنباهي» تحقيق ليفي بروفنصال ص 101 .
* جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 277 .
* بغية الملتمس للضبي ص 225 .
* الفكر السامي ص 59 .
* الفكر السامي « نفس الصفحة » .
* قلائد العقيان ص 232 .
* مفتاح السعادة ج 2 ص 19 .
* اظهار الكمال في تتميم مناقب اولياء مراكش سبعة رجال ص 82 ومخطوط ترجمة القاضي عياض بقلم ابنه بالخزانة العامة تحت عدد 553 .
* محمد الفاسي مجلة المغرب سنة 1941 عدد اكتوبر .

يشرحه الا رجل الفن القدير ، وشرح قسما من « المشارق » للصاغاني ، وشرح احياء الميت للسيوطي ، وخرج الشهاب للقضاعي ، وله تكميل لمؤلف القاضي وعياض ، وله « الدرر اللوامع فى الكلام على احاديث جمع الجوامع » ، وفتح البصير في التعريف بالرجال المخرج لهم فى الجامع الصغير .

وبما ان العراقي عاش فى عصر اهتم فيه العلماء بالاختصار ، فقد اختصر كامل بن عدي، وتاريخ الخطيب وكتاب الحضرمي ، وحظي العراقي بتقدير معاصريه واعترافهم بتخصصه فى الحديث ، وذكر جسوس فى اجازته المشهورة ان العراقي حاز السبق فى علم الحديث حفظا ورواية ودراية ووصل فى ذلك الى غاية الغايات ويقول الشيخ الغربي فى اجازته ان العراقي عظيم الحفظ يكاد لا يشد عنه متن الا ويعرفه ، ويعرف الرواة وطبقات العدالة وطوال الصحبة ، وفى معجم الشيخ مرتضى الزبيدي ، ان العراقي اعلم علماء عصره فى فن الحديث ، على ان القرن التاسع عشر والقرن العشرين شهد ظهور مدرسة حديثة سلفية فى المغرب بصفة تساير الحركات السلفية فى المشرق ، كانت «الاولى» فى عصر ابي عبد الله السنوسي الذي املى الحديث على منابر القرويين وشجعه الملك المولى سليمان باصدار منشور لتأييد اتجاهاته ، وكان هدفه تدعيم السلفية فى الوقت الذي كانت الحركة الوهابية تحاول فى الجزيرة العربية النائية عن مركز السلطة العثمانية نشر الحركة السلفية بالسيف والقوة ، وكانت فى الهند « جماعة الشيشتي » وحركة شريعة الله ضد سلطة المغول والشيخ البريطانيين ، والحركة المهدية فى سودان والثورة التيوقراطية بزعامة محمد ابن علي السنوسي فى ليبيا .

اما الحركة الثانية فكانت فى عهد الشيخ ابي شعيب الدكالي الذي املى دروسا حديثية سلفية فى الوقت الذي كانت حركة المنار تصدع بتركيز السنية السلفية وحركة الشيخ ابن باديس فى الجزائر تناضل ضد الطرقية وقد نجحت هذه المدارس نجاحا هائلا فكان من تلامذة الشيخ محمد عبده ورشيد رضا وجماعات المنار وكان من تلامذة الشيخ الدكالي محدثان عالمان محمد السايح والمدني بن الحسني ومحدث مصلح الشيخ ابن العربي العلوي ، وبجانب هؤلاء الملتزمين للسنة محدثون كبار متخصصون فى الحديث على الطريقة الاتباعية الصوفية اكثرهم شهرة واوسعهم دراية الشيخ محمد بن جعفر الكتاني .

اما فى السند فقد احتفظ المغاربة بسندهم الحديثي الخاص وذكروه فى كتب الاثبات وفى الفهارس والتراجم ، والسند المغربي يشمل السند الحديثي فى القيروان عاصمة العلم فى تونس وسند الحديث فى بجاية ، وسند الحديث فى فاس ومراكش ، وفى كتاب المنح البادية و ✻ ذكر للاسانيد المغربية كما فى فهرس الفهارس تفاصيل عن الاسانيد المغربية ، وفى شرح البخاري لابن سودة ذكر لسنده كما فى فهرسته تفصيل لاسانيد المغاربة . . ومما يصون قيمة السند المغربي ان الموطا لا تعرف الا من رواية يحيى الليثي الاندلسي رغم ان لها عدة رواة اكبرهم رواية عبد الله بن مسلم القعنبي ✻ .

وحقق موطا مالك ابو عمر يوسف ابن عبد البر النميري القرطبي فى كتاب التقصي ✻ الذي جمع ما فيه من الاحاديث المرفوعة موصولة كانت او منقطعة مرتبة على شيوخ مالك . وذاعت شهرة المغاربة بتآلف الاسانيد الحديثية ومن اشهرهم ابن بقي بن مخلد الاندلسي المتوفى سنة 270 وابن ميمونة دراس المتوفى سنة 357 الذي قال عنه عياض فى المدارك ، انه من حفاظ المغرب ومن مشاهير المحدثين محيي الدين ابن العربي الحاتمي المتوفى سنة 638 مؤلف «مشكاة الانوار فى الاحاديث القدسية» لمحمد بن الطيب الشرفي المتوفى سنة 1170 كتاب فى المسلسلات .

وفى غريب الحديث كتب ابن حزم السرقسطي المتوفى سنة 302 واتمه ابوه بعد وفاة الابن .

وظهرت فى علم الحديث تآليف فى الجمع بين المسانيد واشهر من الف فيه من المغاربة الامام محمد بن سليمان الروداني مؤلف صلة الخلف بموصول السلف المتوفى سنة 1094 كتاب فى الموضوع سماه « جمع الفوائد فى جامع الاصول » .

✻ انظر مخطوطة الخزانة لـ 1249

✻ الرسالة المستطرفة ص 14 ط دمشق

✻ نفس المصدر 85

✻ السلوة ج 1 ص 176 .

والف ابن القطان المتوفى سنة 628 تعليقا على ما في كتاب الاحكام الشرعية لعبد الحق الازدي الاشبيلي من الاوهام ، وابن القطان من اعلم الناس بالحديث ويقول عنه السوداني : كان من ابصر الناس بصناعة الحديث واحفظهم لرجاله واشدهم عناية بالرواية ، مع تفنن ومعرفة ودراسة ، كما الف من بعده الخطيب ابن مرزوق التلمساني المتوفى سنة 781 كتابا في الجمع بين الصحيحين ※ ومن مشاهير المسندين ابو القاسم عبد الله بن جزي الغرناطي المولود سنة 692 والمتوفى شهيدا في ظروف سنة 741 وهو مؤلف كتاب « الانوار السنية في الالفاظ السنية » .

والف في نقد الرجال عبد الله بن خلف المستشهد في المرية 542 كتاب الاعلام ※ .

كما الف ابن الفرضي القرطبي مؤلف تاريخ الاندلس الذي ذيل عليه ابن بشكوال بصلته المستشهد بقرطبة سنة 403 كتابا في مشبه النسبة .

وبعده الف الحسن الغساني الجياني المتوفى سنة 498 كتابا قيما اتلف خطه اختلف لفظه سماه رجال الصحيحين .

وذيل ابو العباس احمد بن مفرج الاموي المعروف بابن الرومية المتوفى سنة 637 على كتاب الكامل في العلل والرجال ، بتاليف سماه الحافل في تكملة الكامل كما اختصر الحافظ العراقي المشهور ميزان الحافظ الحلبي ، وترك العياشي فهرسته الحديثية ، وكذلك فعل التاجموعتي المتوفى سنة 1118 ، وكتب الشيخ التاودي ابن سودة المتوفى سنة 1209 فهرسته الحديثية كما كتب المولى سليمان المتوفى سنة 1238 فهارس واسانيد حديثية مشهورة .

اما في السيرة النبوية فقد كتب عالمان مغربيان سبتيان لاول مرة في المغرب في هذا العلم « الاول هو ابو العباس احمد بن محمد العزفي اللخمي 557–633 الذي كتب «الدر المنظم في مولد النبي المعظم » واكمله ولده ابو القاسم وذكر فيه ما خص الله به النبي ص وفضل به ، وما امتن به عليه وعلى امته ※ .

والثاني هو ابو الخطاب عمر بن حسن ابن دحية الكلبي المعروف بابن الجميل 547–633 الف كتاب « التنوير في قول السراج المنير » ※ . والف ابو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي603 « اللمعة في ذكر ازواج النبي واولاده السبعة » ※ والف ابو الخطاب بن حية كما في نفح الطيب نهاية السول في خصائص الرسول ، على ان اول ما كتب في المغرب في السيرة النبوية ، وقد انتقده الذهبي كما الف الامام السهيلي المتوفى بمراكش سنة 581 كتاب « الروض الانف » ، وكتب « الكلاعي » البلنسي المستشهد بالاندلس سنة 634 كتاب « الاكتفا في مغازي المصطفى » شرحه محمد بناني المتوفى سنة 1163 ، ونظم ابو الفضل العراقي الفية رجزية سماها « الدرر السنية في السيرة النبوية » شرحها كثير من المشارقة واشهرهم من المغاربة محمد الطيب ابن كيران المتوفى سنة 1 220 .

وقد درس المغاربة السيرة بكتاب ابن اسحاق ، والف فيها سليمان الروداني ومحمد بن مبارك الاقاوي واحمد الصوابي والحضيكي ※ وترجم نور اليقين ※ الى «الشلحة» في سفرين ، وكانت في السوس نساء يعرضن السيرة النبوية بالشلحة .

على ان المغاربة لهم الفضل في نظم حياة الرسول فقد اعجب الشعراء المغاربة بسيرة الرسول حيث وجدوا فيها النموذج الكامل للانسان فنظموا القصائد ونثروا الكلمات تعبيرا عن هيامهم ببطولة النبي ص . وتناقلت الجماهير هذه القصائد النبوية فرددت في المساجد في حفلات عيد المولد .

ولعل اقدم اثر نعرفه هو قصيدة عبد الله الشقراطسي ، تلك القصيدة العصماء التي جعل الشاعر موضوعها « سيرة الرسول » فشغلت النقاد والادباء بشرحها والتعليق عليها كما اثرت تأثيرا عميقا في المجتمع الاسلامي فكانت تردد في قصور الامراء واكواخ الفقراء . والشقراطسية قصيدة طويلة

※ نفس المصدر « ص 15 » .
※ نفس المصدر « ص 85 »
※ ازهار الرياض « ج 2 ، 375–376 » توجد نسخة منه في المكتبة الزيدانية .
※ وفيات الاعيان 483 ج 1 نفح الطيب ج 1 ص 371
※ السلوة ج3 ص 269.
※ تاريخ الادب العربي ، بروكلمان ج 2 ص 265 .
※ سوس العالمة ص 36 ج 1 .

تصل الى وخمسة وثلاثين بيتا فهي دون الملحمة فى عدد ابياتها ولكنها بالشرح والتعليق خليقة بان تكون ملحمة تواكب ابياتها حياة الرسول فى مولده الى حياته الحافلة بالكفاح البطولي ثم الى التحاقه بالرفيق الاعلى الفها ابو محمد عبد الله بن ابي زكرياء الشقراطيسي نسبة الى « شقراطيس » وهو حصن روماني قديم قرب قفصة ولد بمدينة توزر ، ودرس بالقيروان عن ابي عمران الفاسي ، والسيوري ، والعطار ، وتوفى سنة 466 ، والشقراطسية خمسها ابن الشباط المولود سنة 618 والمتوفى سنة 681 كما فى نفح الطيب فى ترجمة ابن عظيمة الاشبيلي .

كما خمسها ابو بكر محمد بن الحسن بن يوسف ابن حبيش وابو عمر عثمان ابن عتيق كما فى رحلة التجاني وشرحها ابن الشباط فى ثلاث شروح كبير ومتوسط وصغير ، ويسمى الشرح الكبير صلة السمط توجد نسخة منه بخزانة تمكرورت «ميكروفيلم» له بخزانة الرباط ويذكر الزرقاني فى المواهب اللدنية ابن شامة شرحها كما شرحها ابن جماعة فى جزء واحد والعلامة المغربي الكبير ابن غازي فى عشرة مجلدات وذكر ابن ناحي فى معالم الايمان ان ابراهيم بن عبد الملك بن عوانة وضع تأليفا على الشقراطيسية * ، كما ان ابن مروزق التلمساني المتوفى سنة 842 شرحها فى كتاب المفاتيح القرطاسية .

وتخصص ابن الشباط فى هذه القصيدة حيث اشتغل بها زهاء عشرين سنة وقال عنها بئست من معارضتها الاطماع ، وانعقد على تفضيلها الاجماع فطبقت ارجاء الارض ، واشرقت منها فى الطول والعرض ، والعجيب ان ابن الشباط لم يعرف ان فى نفس الشهور التي كان يقضيها بشرح هذه القصيدة كان فى مصر شاعر معاصر ينسج على منوالها قصيدة لتنافس الشقراطيسية .. بل وتحل محلها فقد فقد عارضها البوصيري المتوفى سنة 681 ونسج على منوالها بردته التي كتب لها ان تغزو « الشقراطيسية » فى عقر دارها وتحل محلها ثم تعفي عليها الى يومنا هذا . ليكن هذا تنافسا ادبيا او مبادلة ادبية ، ولكن الواقع ان « الشقراطيسية » لا تقل عن البردة فى روعتها ..

ولنرو بعض ابيات الشقراطيسية لنرى مدى اثرها فى البردة التي هي «ترديد» لانتاج افريقيا العربية .

خير البرية عن بدو ومن حضر	واكرم الخلق عن حاف ومنتعل
ضاءت لمولده الافاق واتصلت	بشرى الهواتف فى الاشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قوائمه	فانقض منكسر الارجاء ذا ميل
خرت لبعثته الاوثان وانبعثت	ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل
وفى سراقة آيات بينة	اذا ساخت الحجر من وحل بلا وحل
عرجت تخترق السبع الطباق الى	مقام زلفي كريم قمت فيه على
دعوت للخلق عام المحل مبتهلا	افديك بالخلق من داع ومبتهل
اعجزت بالوحي ارباب البلاغة فى	عصر البيان فضلت اوجه الحيل
بريت من دين قوم الاقوام لهم	عقولهم من وثاق العرى فى عقل
يستخرجون خفي الغيب من حجر	صلد ويرجون غرث النصر من هبل
نحلتك الحب علي اذ نحلتكه	احظى بحبك منك افضل النحل
فما لجلدي بنضج النار من جلد	وما لقلبي لهذا الحشر عن قبل
اذنبت لكن عسى والفضل منك عسى	حب النبي وحب الصحب يشفع لي

* سوس العالمة ص 36
* معالم الايمان ص 104 .

الأستاذ محمد السائح

للأستاذ : محمد بنعبد الله

ان موت العلماء رزية تصاب بها كثير من الشعوب التي تشكو فقرا في العلماء والمصلحين ، لان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء ، ولكن يقبضه بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم ، اتخذ الناس رؤوسا جهالا ، فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا ، واضلوا .

ولقد شهد المغرب في العقود الاخيرة نخبة من العلماء ، الافذاذ : كانوا ملء السمع والبصر ، والقلب والتاريخ ، وقاموا بدور فعال في توجيه البلاد نحو اهدافها المنشودة ، وضالتها المرصودة ، كل في ميدانه الذي يتلاءم واستعداده وميوله ، في ظروف جد دقيقة وعسيرة .

ومن احق بحماية الوطن واعزازه في مثل هذه الظروف من العلماء الذين ينهضون نهوض المصلحين الملهمين والمومنين الواثقين فيحيون في شعبهم خمود الحس ، وموات الضمير ، ومعنى الواجب ؟ .

ومن احرى برعاية تثقيف الجمهور وابناء الامة من رجال قطعوا عزمهم على ان يعيش ابناؤهم احرارا في وطن حر ؟ ومن اجدر بتزيين الحياة في اعين العامة ، حتى يعيشوا في ظلال النعيم الذي يبسط المشاعر ، وينشر الانس ، ويجمل الحياة ممن آمنوا برسالتهم السامية باعتبارهم ورثة الانبياء ؟ .

فلقد كان تفتح براعم اعمارهم في وقت صلب فيه عود الاستعمار ، وقعد لهم كل مرصد ، واحصى انفاسهم ، واغراهم بكل ما من شأنه ان يصرفهم عن الرسالة القدسية التي اضطلعوا باعبائها بشتى الوسائل ، كخنق الحريات ، وازهاق النفوس ، وشراء الضمائر ، ولكنهم اعرضوا عن مطالب الصبا ، وصدفوا عن مباهج العيش ، وعقلوا جهودهم وميولهم في الدرس والتحصيل لانقاذ امتهم واسعادها سعادة يطرز حواشيها النعيم .

ولئن اختلفت وجهات نظر كل عالم ، وتعددت مشارب ميولهم ، واتسعت او ضاقت الزوايا والابعاد التي كانت لكل واحد منهم ، فانهم جميعا كانوا يشكلون نغما واحدا في انسجام واتئاد لا يحيدون عن الهدف المرسوم ، والوحدة الجامعة ، والتوجيه المنظم .

وما هذه المدرسة التي تراها اليوم في المغرب من حملة الثقافة والفكر الا نتيجة من اولئك الرواد الخريتين ، والطلائع الذين وهبوا اعمارهم احتسابا لوجه الله لانقاذ وطننا الحبيب من الجهل الفاضح والامية الصارخة عن طريق الثقافة الاسلامية الصحيحة ، والتوجيه الديني المتين مما ساعدهم على الهاب الحماس الوطني عن طريق الدعوة المحمدية ، وما كان عليه السلف الصالح من سجايا سقاها النبل الخالص ، وغذاها الكرم المحض ، وتعهدها الحفاظ الحر .

لكن سرعان ما اخذ الموت يعتام ويصطفي كرامهم ، وكأنه نقاد على كفه دراهم يختار منها الجياد . ففتحنا اعيننا ، واخذنا نصعد النظر ونصوبه،

فرأينا ـ ويا لهول ما رأينا ـ تلك المدرسة قد اندثر عقدها أو كاد ، واختار الله افرادها الى جوار الخلد ، وكان اصحابها من الذين يعاش في اكنافهم ، حيث يبينون ما التبس من معاني الحق ، ويجددون ما انطمس من معالم الطريق ، كما كانوا ـ وايم الحق ـ حجة مفحمة للنشء الخامل ، ودلالة بينة على ان المغرب لايزال يعرف كيف يظهر نابغين في كل زمان ومكان .

فقد ذهب شيخ الاسلام الشيخ ابو شعيب الدكالي ، والعلامة الشريف المدني ابن الحسني والشيخ الفقيه السيد محمد بن العربي العلوي ، والفقيه الشيخ محمد السائح ، والعلامة الحبيب المهاجي .

ولقد كان لهؤلاء العلماء ـ مد الله في اعمار الباقين ـ ميزة خاصة لكل منهم ، وطابع ممتاز يتسم به دون بقية اخوانه ، لكنهم ، رغم قلة الوسائل ، وضعف الامكانيات التي هي ميسورة اليوم للناشئين الصاعدين ، فقد كانت لهم حياة عريضة مملوءة بجلائل الاعمال تتسم بالصبر الدائب والهيام بعمل الخير ، والجلد على الدرس والتحصيل ، والهمة التي لا منتهى لعظامها ، مما عز نظيره اليوم .

وكان في مقدمة هؤلاء جميعا العلامة السيد محمد عبد السلام السائح الرباطي وجارا ، الاندلسي نجارا ، الذي كان من فحول علماء الدنيا ومن كبار الائمة المجتهدين الذين كساهم الله حلة القبول وافرغ عليهم رداء المحبة .

فقد كان الفقيد محمد السائح رحمه الله شخصية من الع شخصيات العلم والادب في المغرب ، وقطبا من اقطاب المعرفة الحق وضليعا في مختلف فنون المعرفة قديمها وحديثها مما يعد نادرة زمانه في وقت كان فيه الاستعمار حديد العزم ، صلب العود ، يسد منافذ الحياة على هذه البلاد ، حتى لا تجد متنفسا لعواطفها المكظومة المضغوطة المكروبة .

ومما يساق بين يدي نجوى هذا الحديث ان لشخصية الفقيد رحمة الله عليه بداية مشرقة تنم عن المكانة التي تبوأتها لا في الوسط المغربي فحسب ، بل في الاوساط الاخرى التي كتب لها ان تعرف شخصية الاستاذ محمد السائح .

فقد وضعته والدته في هذا الوجود في وقت يوافق تماما لحظة انبثق على هذا الكون نور المصطفى (ص) : اعني قبيل الفجر ثاني عشر من شهر ربيع الاول من تسعة عشر وثلاثمائة والف ، فكانت له بذلك حظوة لذويه ، ومزية يعطرون بها محافلهم ، ويعتبرونها بداية مشرقة لهذا الوليد الذي ينتظره شأن عظيم .

وينتسب جد مترجمنا السيد عبد الرحمن للديار الاندلسية والى الجزيرة الخضراء بالذات .

ولعل السبب في تلقيب جد مترجمنا «بالسائح» انه انخرط في ريق شبابه ؛ وطراوة عوده في سلك الجندية التركية ايام حكم الاتراك بالجزائر ، ثم نزح عنها الى تركيا ، فعاش بها ما عاش ، وقد خفت ذكره دهرا ، ثم بعد ان كبر سنه ، ووهن منه العظم ، واشتعل راسه شيبا ، آب يتفقد اهله وعشيرته ومنزله فلقبه اهله « بالسائح » لفرط غيبته الطويلة .

نشأ مترجمنا السيد محمد السائح رحمة الله عليه عزوفا من اول مرة عما كان الناشئون امثاله ، يملأون به وقتهم من نزق وطيش ، حيث غذي في يفاعته بحب المعرفة ، فاقبل على العلم اقبال الهيم بهمة لا يحوم حولها الونى ، وعزيمة ماضية لا تعرف السأم تعينه على هذا الجهد قريحة طيعة ، وعزيمة نافذة ، وطبع عمول ، فاخذ كتاب الله على المشايخ الاثبات الذين كانوا في ذلك الوقت ، كالفقيهين العابدين السيد عبد السلام كليطو الاندلسي ، والسيد المهدي الصحراوي ، كما كان اول من فتق لسانه الشيخ المفضال المرحوم السيد محمد بن احمد العياشي الذي اخذ عنه الفقه والتوحيد ، وكان السيد ابن العياشي استاذ مترجمنا دمث الاخلاق ، عالي الهمة ، يجري على سراح الطبع مما كان له الاثر الملموس في نفسية مترجمنا ، كما تلقى دروسه في العربية والصرف عن الشيخ المدقق العمدة السيد التهامي الغربي ، وهكذا اخذ مترجمنا رحمه الله يتدرج في مختلف فنون المعرفة يقطف من يانع ثمراتها ما وجد الى ذلك سبيلا ، ثم اخذ المنطق والاصول والفرائض والحساب والتوقيت عن العلامة المشارك القاضي الخبير ابي زيد السيد عبد الرحمان بن بناصر ابريطل ، وكان عمدته في الفقه العلامة المدقق ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الروندي الاندلسي ؛ كما اخذ عن ابي اسحاق التادلي ايضا ، وكرع من معين الطود الراسخ المصلح شيخ الاسلام ابي شعيب ابن عبد الرحمان الدكالي تغمده الله برحمته ، وتلقى دروسا عن ابي حامد المكي البيطاوري اجل علماء

الرباط وانبههم ذكرا .. حتى ثقف مناهج البحث، وحذق اصول التحقيق .. فلا غرو ان يجتمع فيه ما كان موزعا عليهم، ولا غرو اذا رايت فيه كل العالمين كانما، رد الاله نفوسهم والاعصرا ..

واصبح مترجمنا ملما بثقافة عصره، ومبرزا دون اقرانه في مختلف الفنون والعلوم بهمة نادرة لا تعرف السأم والملل، حتى غدا وجاوز الاقواما، علاوة على ما لشخصيته الجذابة التي تمتاز بما تهيأ لها من اثالة المنبت، وزكاوة العرق، وسعة الثقافة، وجمال الاسوة والقدوة.

وهكذا نجد فطاحل العلماء في وقته يجيزون الشاب العالم ويعترفون بما له من رسوخ القدم في مختلف الفنون والعلوم والوان المعرفة والثقافة.

فلقد اجازه الامام العلامة القاضي ابو العباس احمد بن محمد البناني الرباطي، بالبخاري، والشمائل، وسنن الترمذي، والشفا، والجامعين حسبما اجازه بذلك الشيخ احمد دحلان، كما اجازه العلامة القدوة البيطاوري فيما اجازه به شيخ الجماعة بالرباط ابو اسحاق التادلي، واجازه العلامة شيخ الجماعة بمدينة فاس ابوالعباس احمد بن الخياط قائلا: « فيما تجوز لي وعني رواية من منقول ومعقول، وفروع واصول، اجازة تامة شاملة مطلقة عامة »، كما اجازه العلامة المحدث الشريف سيدي محمد بن ادريس القادري الفاسي، ومن المجيزين له ايضا الشيخ الرياضي السيد المهدي متجينوس رحمه الله، والواعية المطلع القاضي ابو العباس احمد بن المامون العلوي البلغيثي، والعلامة المفتي الشريف السيد المهدي الوزاني.

كل هؤلاء يشهدون لمترجمنا المرحوم بانه واسع الثقافة رياضي الفكر شديد الذكاء، اصيل الراي، ودروسه واحاديثه ومؤلفاته، التي تقع من قلوب سامعها وقارئها موقع الانداء من جفاف الارض، تشهد على ما تقول، فطالبه الذي يسمع عنه، ويحضر في حلقاته، لاينفك راضي العقل ريان العاطفة.

ولقد كان رحمه الله يتعرف على احوال الامم قديمها وحديثها، ولا سيما الحركات الفكرية والسياسية والاجتماعية في الشرق العربي، والثورات الفكرية في العالم الاسلامي مما جعلته نادرة زمانه رغم عمره القصير العريض المليء بالاعمال الصالحة، و « سائحا » في مهامه البحث العلمي وتعمق في لجج الاقيانوسيات: اقيانوسيات المعرفة التي تجمع بين تحقيق السلف وامانتهم، وبين تجديد الخلف وتعليلاتهم مما حداه بان يهيب بطلبته في كثير من المناسبات الى ان يفهموا العلم كما هو، وان يتجسسوه حيث هو، وتسأله عن كل فن، فتجده « سائحا » في كل رحابه .. ثم تسير بك شجون الحديث معه الى الطبيعيات فتخاله وكانه عكف يدرسها الاعوام في معاهدها، وتنتقل به الى آراء علماء « السيولوجيا » فتجد آراءهم مخرجة جلها أو كلها على آراء علماء الدين القدماء .. كما تراه ضليعا باسرار اللغة، بصيرا بمواقع اللفظ خبيرا بمواضع النقد.

وكان رحمه مضطرا الى ان يشق طريقه في رحمة الحياة بسن القلم، فكتب، والف، وحاضر، حتى كان له في كل كتاب طالعه راي، وعلى كل مسالة اعتراض، ومع كل كاتب موقف، ومع هذا فقد كان رحمه الله عفيف النفس يتقنع بميسور الرزق، ويتكرم عن طلب المعونة، ولو كانت جزاء على عمله.

فمن كتبه ومؤلفاته: (تحقيق الامنية، مما لاح لي من حديث انا امة امية) وكذلك كتابه القيم: (سوق المهر الى قافية ابن عمرو) وكتابه (المنتخبات العبقرية) الذي الفه لطلبة المدارس الثانوية وكذلك (اعجاز القرآن) و (المفهوم والمنطوق، مما ظهر من الغيوب التي انبأها الصادق والمصدوق) و (الخمار المذهب، في احكام التعامل بين مختلف المذهب) وكتاب (الترف المروم، باحاديث فتح مدينة الروم) وكتاب (منهل الوارد، في تفضيل الوارد) وكتاب (اثمد الجفن) وكتاب (سبك الذهب واللجين، في سر افتقار التناسل الى الزوجين) وتاليفه (اسبوع في باريس) ومؤلفه القيم عن تاريخ الرباط (الفصن المهصور بمدينة المنصور) وكتابه (حسن البيان للجاحظ في كتاب الحيوان).

ولقد كان رحمه الله يغشى المحافل والاندية، فيعطرها بعلم ناضج، وادب رفيع، ونكتة مرحة مقبولة، في ظرف ناصع، وتواضع جم، وعزوف عن مظاهر الابهة، تسمع منه في فصاحة منطق، وبراعة اسلوب، ومتين عبارة، فمن محاضراته: (الادريسي مخترع الفلك) و (النازية والديمقراطية في نظر الفلسفة

والتاريخ) و (تدفق العلم من غار حراء) و (عناصر العلم ، في سنة الرسول) .

اما رسائله العلمية ، فتجد فيها العزيز من المواد المهمة الضرورية باسلوب اندلسي ، مشرق الديباجة ، يتصيد السجع ، ويتلمس الوان البديع ، فهذه رسالته: (الطلاق في كتاب الله) وهذه اخرى تحت عنوان : (رضاب العذراء) و (اتيان السول ، بذكر ما خلف الرسول) و (تنبيه اولي الاحلام الى صفة الحجاب من الاسلام) .

ولقد شغل الفقيد رحمه الله مناصب قضائية كان فيها امثولة القاضي النزيه ، فاختير قاضيا لمدينة فاس حيث عرف بالذهن الغواص ، والتوجيه النزيه ، والحكم الموفق ، والاستنباط الدقيق ، واستغل وجوده هناك بمدينة فاس ، فوجد في كلية القرويين ميدانا رحب الحدود صال فيه وجال في ربوع المعرفة مما ترك السنة العلماء والطلبة تلهج بالثناء والعطر على تلك الدروس المتئدة الحية .

وفي آخر حياته قلده المرحوم جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، لثقته به وورعه ، وتقديره لعلمه رئاسة وفد الحجاج المغاربة الى الديار المقدسة ، فأدى رسالته خير تأدية ، ومثل المغرب خير تمثيل ، الا ان المرض لم يمهله ، فتظاهر عليه الداء ، وعز الدواء ، فتخطفه الموت احتضارا حيث اختاره الله الى جواره ، فروعت النفوس لموته ، وضرمت الانفاس بجزع هالع لم ينفع فيه الا الصبر الجميل .

تغمده الله برحمته ، واسكنه فسيح جناته .

الرباط : محمد بنعبد الله

اذا المشكلات تصدين لي
كشفت حقائقها بالنظر

ولست بامعة في الرجال
يسائل هذا ، وذا ما الخبر

ولكنني مدره الاصغرين
فتاح خير ، وفراج شر

للامام الشافعي

الجامعة الذرية الأوربية

أصولها الدولية ـ تطوراتها آفاقها المستقبلة

للأستاذ : المهدي البرجالي

- 2 -

حاولنا في الفقرات السابقة من هذا الموضوع ، ان نتبين بعض الحقائق والتطورات المهمة التي ما فتىء العالم التقنـي والصناعي يعرفها بدون توقف طوال الحقبة الاخيـرة وبصورة مخصوصة منذ نهاية الحرب العالمية الاخيرة نتيجة لظهور العامل الذري في الميدان ، وبروز الامكانيات الهائلة التي تكمن وراء هذا العامل سواء في الميدان الحربي او على صعيد الحياة المدنية، كما حاولنا كذلك ان نتلمس الصلة التي توجد بين هذه الاوضاع المتطورة وبين مشروع القمح والفولاذ الاوربي ، ووليده المتمثل في الجامعة الذرية الاوربية (الاوراتوم) هـذه الجامعة التـي يمكن للملاحظ ان يتبين مدى ضخامة الجهاز الذي تقـوم عليه ، ومدى المهام التي ينتظر ــ ميدانيا ــ ان تشرف عليها وتنجزها لصالح التطور الصناعي والطاقي واسع المدى الذي تحاول اوربا الغربية ــ باستقلال عن الغرب الامريكي والشرق الشيوعـي ــ ان تحققه في غضون العشر سنوات القادمة ، وهذا الاستقلال هو احدى الاهداف السياسية الكامنة وراء الاوراتوم ، ومن المعلوم ان لهذه المنطقة مقاصـد سياسية مهمة تتصل بالنزعة الاوربيـة والجامعـة الاوربية هذا الى الاغراض العلميـة والصناعية لكنه ليس من اللازم ان يفهم من هذا ان المنطقة الذرية قد استـوت ــ فعلا ــ على قدميها بكيفية تامة ، واصبحت جاهزة ــ عمليا ــ لاداء جميع هذه المهام ، التي اشرنا اليها بدون ان تعترضها في سبيل ذلك عرقلة او صعوبة ، او يحد من نشاطها في هذا المضمار حدود او قيود ، ان الواقع الذي تعيشه « الاوراتوم » هو على العكس من ذلك بكثير ، فهذه المنظمة لا تزال تعاني منذ انشئت جملة المصاعب والمشكلات التي استطاعت السوق الاربية المشتركة ان تواجهها ، وتتغلب عليها واحدة وراء الاخرى ، ويرجـع منشأ هذه المصاعب ــ ولا شـك ــ الى طبيعة البرنامج التـي تضطلع بتنفيذه الجامعة الذرية الاوربية هذه ، والمسائـل ذات الحساسية البالغة التي يجب ان تعالجها بصبر واناة ، ثم المصالح المشتركة والمتناقضة ــ في نفس الوقت ــ التي يتعين ان تجابهها بين وقت وآخر ، وتحاول ان تخلق فيما بينها نوعا من الانسجام والتكامل الى اقصى ما يمكن ان يصل اليه الامر في ذلك ، ومن بين النقط التي لها اهمية بارزة في هذا المجال :

1) قضية المواد الاولية ، المتعلقـة بموضوع الصناعـات الذرية على وجه العموم ، والاورانيوم هو من ابرز هذه المواد، واجلها شأنا في الوقت الحاضر ، وينص الفصل 52 من المعاهدة الذرية على ان من حق الوكالة المنبثقة عن « الاوراتوم » والتي تمثل احدى السلطات العليا للمنظمة ــ من حق هذه الوكالة ان تتولى هـي عمليات شراء الخامات النوويـة ، وتوزيعهـا على الجهات المحتاجة اليها داخل الاقطار الستة الاعضاء ، طبقا لمبدا التكافل الذي تقوم عليه المعاهدة وتستمد روحها من وحيه لكن السؤال المهم في هذا الامر هو : لفائدة من سيقع هذا التكافل ؟ وهل يعني مساواة حقيقية في التضحيات للاستفادة من احتمـال مـساواة حقيقية في الفوائـد ؟ تلك احـدى النقط الحساسة في المسالة القائمة . وترجع حساسيتها الى حقيقة الاوضاع المعدنية في الدول الاعضاء ، وتفاوت نصيب هـذه الدول من الخامـات المعدنية التي تمتلكها ، فالاورانيوم ــ مثلا ــ كان يعتبر عنـد توقيع المعاهدة اكثر توافرا عند الفرنسيين منه عنـد شركائهـم الآخرين ، ونظرا لوجود هذه المادة الحيوية للصناعة الذرية ــ في بعض مناطق ما وراء البحار ، التي كانت تدخل ضمن اطار النفوذ الفرنسي ، وكانت بلجيكا هي الاخرى ذات مقام في هذا الموضوع ، نظـرا لوجود مخزونات مهمـة من الاورانيـوم في اراضي الكونغو ، وان كانـت الولايات المتحدة قد اشتـرت من قبل اكثريـة هذه المخزونات ، ومن اجل ذلك كلـه ، فقد ثار الجدل منذ عدة سنين في فرنسا ــ حول درجة استفادة الفرنسيين من « الاوراتوم » وانتهزها خصوم المشروع فرصة لابراز مدى الغبن الذي يمكن ان يلحق فرنسا من عضويتها في هذه المنطقة وذلك باعتبار انها هي التـي تمتلك من بين جميـع الاعضـاء الآخرين اكبر نصيب من الخامات الاورانيومية ، سوف يستفيد منها الشركاء دون ان تنال بالمقابل شيئا له بال ، والذي يبدو الآن ، ان كثيرا من معطيات الجدل هذا قد تغيرت في الوقت الحاضر ، وذلك نتيجة للتطورات الدولية التي حدثت في غضون السنوات الاخيرة واستقلال كثير من مناطـق مـا وراء البحـار الامر الذي من شأنه ان يؤدي الى احداث تغيرات جديـدة في الاحوال التي كان يقوم حولها الجدل خلال السنوات الماضية .

2) قضية الاختصاص ومشمولاته ونتائجه : وهذه النقطة كانت هي بدورها سبب بعض الحذر والريب الذي ما برح يساور بعض الاوساط الصناعية والتجارية في الغرب ، ضد المعاهدة الذرية القائمة « الاوراتوم » ويرجع ذلك الى ان هذه المعاهدة ، لا تنحصر اختصاصاتها عند حدود الطاقة النووية كما قد يتبادر الذهن منذ البداية بل ان هذه الاختصاصات تتجاوز ذلك بكثير لانها تتسع — بالفعل — اتساعا يجعلها تستوعب كثيرا من مصادر الطاقة الاخرى ، بما فيها من طاقة فحمية وبترولية وكهربائية وغيرها ، بل ان من بين الغايات المهمة التي كانت عاملا على قيام « الاوراتوم » من اساسه ، هو العمل على توسيع نطاق الاستغلال النووي المدني ومحاولة الوصول من ذلك الى امكانية الاستغناء عن مصادر الطاقة التقليدية كالفحم وغيره ، وكان من شان هذا كله ان يثير بعض الحذر عند الشركات والتروستات البترولية وغيرها التي اصبحت تخشى على مصالحها التجارية نتيجة لامكان ازدهار صناعي نووي من هذا القبيل وانخفاض نسبة الطلب على مصادر الطاقة الاخرى — بسبب ذلك ، وليس اكيدا ان مخاوف الاوساط البترولية وغيرها يمكن ان يكونلها تاثير في التعقيدات التي يواجهها «الاوراتوم» الا ان هذا التاثير لا يعتبر — مع ذلك — مستبعدا على اي حال .

3) قضية النفقات والاعتمادات التي يتطلبها تسيير المنظمة : ويبلغ القدر الاجمالي لهذه النفقات نحو 500 مليون درهم تقريبا اي ما يوازي زهاء 50 مليارا من الفرنكات القديمة، تدفع فرنسا منها ما يقل عن الثلث (30) ويدفع الباقي سائر الشركاء ، غير ان الذي دلت عليه الوقائع الجارية ان مثل هذه الميزانية لم تعد كافية لتغطية النفقات التي يقتضيها سير منظمة ضخمة ، كمنظمة الاوراتوم ولهذا فقد تقرر ان تجتمع في 12 مارس الماضي اللجنة الاستشارية للابحاث الذرية التابعة لمجلس وزراء الدول الست ذلك للنظر في هذا الموضوع من اساسه وبحث امكانية تنفيذ مقترح يقضي بزيادة نحو عشرة في المائة على مقدار النفقات التي تستوعبها « الاوراتوم » ويقدر الخبراء ان قضية كهذه من شانها ان تثير كثيرا من المصاعب بين الدول الست ، لا بالنظر فقط للاختلاف حول الزيادة المالية في ذاتها التي تسود جو الاوراتوم وازدياد الرغبة — عند البعض — في ادخال تعديلات جديدة على هذه الاوضاع بكيفية تجعلها اكثر انسجاما مع الحقائق العامة المتجددة والواقعة في اوربا والعالم . ففرنسا مثلا ترى ان المنشآت الذرية الخاصة التي تمتلكها الدول الاعضاء كل على حدة توجد مفتقرة الى كثير من اعادة التنظيم والتعديل وان ذلك يرتبط شديد الارتباط بحسن فاعلية من ذي قبل ، واعادة التنظيم المحلي داخل كل من الاقطار الستة اذا كان يصطدم بصعوبات داخلية عدة فان تقوية التنظيم كذلك على صعيد مشترك اي فيما يخص منظمة « الاوراتوم » يلقى بدوره كثيرا من الاخذ والرد الذي ينتظر له ان يطول بعض الوقت ، قبل ان تصل المنظمة الى استقرار تنظيمي نهائي ، ومن بين النقط التي تثير مثل هذا الاخذ والرد قضية العلاقة بين السلطة التنفيذية للاوراتوم وبين المركز المشترك للابحاث الذي هو من اكبر المنشآت التي توصلوا اليها في هذا المضمار ، وتثير بعض الدول المشاركة نقط استفهام لها دلالتها ، فعلاوة على ما تثيره السياسة المعدنية لالمانيا فان الذي يلاحظه المراقبون ان فرنسا — لا تزال — كما كانت من قبل — تتمسك بعدم قبول مراقبة المواد النووية من طرف المنظمة بل ان هناك ما يشير الى ان المسيرين الفرنسيين في هذا الميدان ربما يتخيلون امكانية القيام بعملية انقلاب جوهري داخل الهيأة الذرية الحالية ، واستبدالها بتنظيم دولي آخر ، اقل تعرضا للمؤاخذات التي ما برحت ان الاوراتوم تتعرض لها منذ مدة ، على ان كل هذا لا يعني ان المنظمة الحاضرة قد تعثرت في طريقها بالفعل الى درجة لم يعد لها معه مجال لاداء المهام الملقاة عليها في الاصل ، فعلى الرغم من الاعتراضات الفرنسية في الموضوع وعلى الرغم من المعضلات التنظيمية التي تلاقيها المؤسسات « الاوراتومية » المختلفة تم على الرغم كذلك من بعض الاهمال النسبي الذي يسود جو العمل بهذه الصدد في بعض الدول الاعضاء ، على الرغم من كل ذلك ، فان اكثرية دول الجامعة الذرية الاوربية لا تزال تبدي نفس الحرص على استمرار المنظمة بل وتقوية جهازها ولكن بعد ان تخضع سلسلة من التعديلات والتجديدات تقتضيها الاحوال المتطورة هنا وهناك ، وقد تم بالفعل في حظيرة الاوراتوم تحقيق بعض الخطوات لا باس بقيمتها ، ولعل من ابرز ذلك — كما تقدم — المركز المشترك للابحاث الذرية وهو الذي يتولى مراقبة التعاون بين الدول الاعضاء وتتابع بعض المؤسسات التابعة له كالمؤسسات الموجودة بايطاليا ابحاثا مهمة حول المفاعلات الذرية ومن المنتظر — على اي حال — ان يتم التوصل الى اقرار احوال يصبح من الجائز معها انتاج كهرباء ذرية على نطاق واسع .

* * *

ما هي المعاني التالية التي يمكن استخلاصها من وجود المنظمة الذرية الاوربية ؟ وما تدل عليه جملة التطورات التي وقعت في حظيرتها خلال السنوات الاخيرة والتي اشرنا الى اهميتها بايجاز ضمن هذا المقال ؟ ان كل ذلك يعني — ولا شك — كثيرا من الحقائق والقضايا الحياتية التي لا يمكن اغفال اهميتها، واولى هذه الحقائق تتصل بالحياة الدولية في الدرجة الاولى ، ذلك ان العشيرة الاوربية التي تكونت خلال العقد الاخير ، انطلاقا من فكرة التعاون حول الفحم والفولاذ ، ثم التفاهم ضمن اطار البرلمان الاوربي ، والتكامل داخل نطاق السوق المشتركة هذا الى مبادرات وتنظيمات اخرى من هذا القبيل — هذه العشيرة الاوربية قد وجدت في الاوراتوم اداة تعاونية مهمة لاستغلال الذرة والطاقات المنبثقة عنها في مختلف الفروع الصناعية

والانتاجية الممكنة ومن غير شك ، فان هـذا التعاون ــ اذا ما وجد سبيلا للنجاح بالصورة التي يتخيلها البعض فان من الممكن ــ كما المعنا اليه من قبل ــ ان يؤدي بجماعة الدول الغربية الست الى توفير ظروف تساعد ــ مع عدة عوامل اخرى ــ على تحقيق الفكرة التي تراود البعض حول امكانية سمو الكتلة الغربية وصعودها الى مصاف الكتل العالمية الرئيسية . التي لها اكبر الوزن الصناعي والاقتصادي ، وبالتالي السياسي الذي للكتلتين التقليديتين : السوفياتية والامريكية .

اما ثانية الحقائق التي يمكن ملاحظتها من خلال مشروع « الاوراتوم » كما يظهر منذ نشوئه الى الآن فهي في هذه المرة ذات مدلول علمي وتقني اكثر من غيره ، والذي يتجلى منبثقا من هذه الحقيقة ان الاحوال المالية والتقنية المعقدة التي اصبحت تفرضها طبيعة الاستكشاف والتركيب الصناعي الاكثر تطورا والتي غدت تلزم الشركات ــ منذ زمن بعيد ــ بان تتحد فيما بينها ضمن اطار اتحادات صناعية او « تروستات » او « كارتيلات» او غير هذا وذاك ، هذه الاحوال قد اخذ مفعولها يتسع اكثر فاكثر ويشمل ــ بصورة مشابهة لذلك ، او مقاربة له ــ حتى عالم الدول الكبيرة والصغيرة ، هذه التي لم تعد تجد بدا من تكوين لاتحادات صناعية وانتاجية فيما بينها ، داخل مبدا التكافل والتعاون حتى يمكنها بذلك ان تواجه المتطلبات الهائلة التي يفرضها نظام التصنيع الحديث وتواجه المشكلات العديدة التي تحدثها سعة آفاق هذا النظام وضخامة مرافقه ومراميه ، ومن المنتظر ــ مع اقوى الاحتمالات ــ ان تزداد مثل هذه الافاق المنفتحة الان تطورا في غضون السنوات المقبلة ، بحيث تصبح الصناعات الاساسية في المستوى الثقيل ، تخضع لنوع من التعاون الدولي المنظم ، سواء فيما يتعلق بالتخطيطات العامة ، ذات الاجل البعيد ، او ما يتصل من ذلك بسياسة البحث عن الموارد والخامات المطلوبة ، او يتعلق ايضا بتوفير الطاقة وتنسيق الانتاج وتحسينه وتوسيع مجالاته وسبل استعماله ، ثم تسويقه وايجاد المصارف له عبر المجتمعات المحلية ، والاقطار الخارجية وتؤدي بنا هذه الحقيقة والافاق المتصلة بها الى حقيقة ثانية لها اهميتها بالنسبة لحياة الشعوب المتخلفة اقتصاديا ذلك ان نظاما من التعاون والتكافل في ميدان الانتاج الصناعي والنهوض الاقتصادي على غرار « الاوراتوم » مثلا ــ وبغض النظر عن العوامل السياسية الكامنة وراء هذه المنظمة الذرية الاوربية ــ ان نظاما من التعاون والتكافل على هذا النحو او غيره ، من شأنه ان يساعد كثيرا من الدول المتخلفة على تخطيط برامج نهوضية مشتركة ، تتصل بميدان البحث الصناعي والانجاز التقني واستكشاف المواد وتوفير التجهيزات المتعلقة بذلك على مختلف الاوجه الممكنة ، ولدول القطاع الجغرافي الواحد ، كدول شبه القارة الهندية مثلا (الهند ــ بورما ــ سيلان) او دول شرقي افريقيا ، او اقطار بحر الكرايب او بلدان المغرب العربي ، او غير هذا وذاك لمثل هذه القطاعات الدولية وغيرها مجال مهم للعمل في هذا المضمار على الاقل من ناحية مبدئية ، ولا يقصد من ذلك التعاون من اجل اقامة مفاعلات ذرية مشتركة ، او بناء مركبات صناعية ضخمة ، تقوم خاصة على مصادر الطاقة الاكثر عصرية وتعقيدا ، كالطاقة النووية مثلا ، وانما المقصود فقط هو اعتبار مبدأ التكافل على النحو الذي يظهر من خلال « الاوراتوم » او غيره واستغلال الممكنات التنظيمية والمادية التي يمكن ان يتيحها هذا المبدأ ، على مستوى مشترك وذلك من اجل العمل على تطوير بعض المشاريع الاقتصادية الحيوية التي تنوء باعبائها جهود دولة واحدة ، او انها قد تؤتي من الثمرات قدرا كبيرا ، في حالة ما لو تعاونت في حظيرتها دول متعددة وخاصة اذا كانت عوامل التقارب والتفاهم متوافرة فيما بين هذه الدول المتعاونة بالصورة المطلوبة ولا شك ان هذا التطوير اذا تضافرت من اجله جهود دولية متعددة ومتناسقة ، فانه سيكون حينئذ اكثر فعالية وجدوى ومن شأنه ان يؤدي دورا مهما في المعركة القائمة ضد التخلف هنا وهناك ، عبر اقطار (العالم الثالث) .

سلا : المهدي البرجالي

الفار والقطاط

وقعت فارة في دن خمر ، فشربت ، فسكرت ، فقالت :

اين القطاط ؟

فلاح لها هر ! .

فقالت : « لا تؤاخذوا السكارى بما يقولون ! »

تطور وظائف الأسرة وأسبابه

السيدة فاطمة التهامي الغزي

لا شك ان غريزة حب البقاء والبحث عن الغذاء كانا من اسباب الترابطات الاولى لدى الانسان . فكانت الاسرة فلقة العالم شانها شان جميع الاوضاع الاجتماعية في فجر الانسانية وقد اقتصرت وظيفتها على الصيد والقنص وصنع الوسائل اللازمة لذلك .

وعند ما استقرت وضعية الاسرة الاجتماعية شيئا ما ، اصبحت وظائفها اكثر وضوحا واقرب الى تحقيق الغايات من الاجتماع الانساني . فغدت الاسرة وحدة اقتصادية تنتج ما تحتاج اليه من مستلزمات الحياة كما كان الحال عند الاسر التوتمية والفرعونية وعند اليونان والرومان . ورئيس العشيرة كان يجمع بيده جميع السلطات . فهو الذي يفض الخصومات بين افرادها ويقتص للمظلوم ويحمل مسؤولية الظالم وكان من حقه ان يقذف بالافراد خارج الحدود . وهو الذي يرسم خطوط الدفاع باسم افراد اسرته في المنازعات الخارجية . وهو في نفس الوقت المشرع والمشرف على شؤون الادارة . وهو الذي يسهر على رعاية قواعد العرف والتقاليد وتطبيقها والى جانب ذلك كان يتمتع بالسلطة الدينية والتربوية وترأس الاحتفالات والطقوس الدينية ويمنح الشباب حق القبول في الجمعية الدينية ويشرف على رعاية النشء وتربيته وتعليمه . وهو اخيرا يتولى قضايا الانتاج ، ومهمة توزيعه داخل نطاق العشيرة . بهذا المعنى كانت الاسرة او العشيرة عبارة عن دولة صغيرة تقوم بجميع متطلباتها ولم تكن تشكو العجز يومئذ ، والسبب بسيط هو قلة متطلباتها وبساطة مستلزماتها .

وعند ما اتسعت الحياة الاجتماعية فانشئت القرى ثم المدن فالدولة اخذت تسلب من الاسرة وظائفها واحدة تلو الاخرى وانشئت لكل وظيفة مؤسسة اجتماعية خاصة بها . فانتزعت منها بادىء ذي بدء السلطة التشريعية ، والسياسية ، وانشئت لها الهيئات الحكومية والمجالس النيابية ثم انتزعت منها الوظيفة الاقتصادية واصبحت من اختصاص العمال والتجار والشركات وتبدلت نوعية الانتاج فاصبح الفرد يعمل لحساب المؤسسات الاجتماعية المختلفة قصد الاستبدال بدلا من انتاجه لافراد عشيرته قصد الاستهلاك او المبادلة الضيقة . وانتزعت الدولة الوظيفة الدينية فاصبح رجال الدين هم الذين يقومون بهذه الوظيفة بدلا من الاسرة القبيلة ، او العشيرة آنذاك . واخيرا انتزعت من الاسرة الوظيفة التربوية ، فالدولة اصبحت هي التي تشرف عليها وتضع المناهج الدراسية للنشء وفق مخططها وسياستها العامة .

وبذلك اتى المجتمع على معظم الوظائف التي كانت تقوم بها الاسرة قديما . ولكن مهما يكن الامر فلا تزال الاسرة تقوم بكثير من الوظائف الاساسية واهمها الوظيفة الاخلاقية فهي المكان الطبيعي لنمو الغرائز كحب الاجتماع والمشاركة الوجدانية . وهي التي بدورها الخلية الاولى التي تنجب الاطفال فهي تقوم اذن بمصنع البشرية . وهي اول من يتلقف الطفل في سنواته الاولى ففيه يتلقن الطفل اول مفرداته اللغوية ويتعلم داخلها عادات وتقاليد وآداب وسلوك المجتمع الذي سيحيا فيه فالاسرة تقوم باصعب واخطر وظيفة الا وهي التنشئة الاجتماعية للطفل . فالصغير لا يولد مواطنا بل يروض على ذلك .

ولقد ذكرنا فيما سبق على ان الدولة سلبت الاسرة الوظيفة السياسية والتشريعية والدينية والتربوية، ولكن لن يمكنها ابدا ان تسلبها الوظيفة الاخلاقية من الماضي وهي تقوم على ربط الافراد وتعريفهم بتراثهم الاخلاقي والذي يتوارثونه جيلا بعد جيل .

والوظيفة الاخلاقية تتألف من عدة واجبات نكتفي بتعداد اهمها فيما يلي :

- احترام الوالدين وطاعتهما . والاحترام هو المحور الذي تدور حوله الوظيفة الاخلاقية في الاسرة .
- الاعتراف بفضل الآباء وعدم التنكر لهم في شيخوختهم .

— عدم الاتصال غير المشروع بين افراد العائلة فهناك طبقة المحارم يجب ان تحترم وتصان ، فالعرف والعادة والقانون يعاقب كل فرد تحدثه نفسه بالاستهانة بمثل هذه المحارم .

— تعلم الاسرة اطفالها معنى الشرف والصدق والامانة وكيفية المعاملة الخارجية والوفاء بالعهد .

(هذا اذا كان الوالدان على مثل تلك الخصال الاخلاقية) .

— احترام الاسم العائلي وينظر اليه بمعنى التقدير والاعتبار ولا يرضى احد من افرادها ان تلحق بالاسرة اية مهانة او مذلة . وهذه كلها رواسب لما كانت تفرضه فضيلة الاسم الجمعي في القديم .

— احترام دين الاسرة وطقوسها الدينية فكل فرد يخرج عن عوائدها قد يعرض نفسه للقتل عند بعض الاسر المتعصبة وخصوصا في البيئات الريفية .

— احترام السن فكبير العائلة هو الذي يحضر عند تحرير عقود الزواج وهو الذي يتقبل العزاء في مناسبات الوفاة ولا يبرم اي شيء في الاسرة دون مشورته واخذ رأيه في الموضوع .

وبعد ان تعرضنا الى وظائف الاسرة في القديم والحديث . فلا بأس من ان نتعرف على الاسباب التي ادت الى ذلك التطور ونجملها فيما يلي :

العامل المورفولوجي :

نشأة المدن وهجرة الافراد اليها وبحثهم عن عمل يكفل لهم الرزق المضمون وبذلك كسب الافراد حريتهم ، الاقتصادية وتخلصوا من السلطة المطلقة رب الاسرة .

تقدم وسائل المواصلات . وتقدم الوسائل الثقافية كالطباعة والمذياع والتليفزيون كل ذلك ادى الى احتكاك الطبقات الاجتماعية المختلفة وتغيير وتعديل وتهذيب كثير من العادات والتقاليد عندها .

ثانيا العامل الاقتصادي :

تطور نظم وسائل الانتاج ، فبعد ان كان الفرد ينتج لنفسه ولافراد عائلته وعشيرته اصبح يعمل الآن في المعامل والشركات وبذلك تبدلت نوعية الانتاج .

— مشاركة المرأة للرجل في العمل في جميع الميادين مما ادى الى ارتفاع الانتاج العام وارتفاع المستوى الاقتصادي والمهني والرفاهي لافراد الاسرة جميعهم . ومع انه يوجد كثير من المناهضين لعمل المرأة فلا يمكن لاي مجتمع واع ان يشل نصفه ولا يمكن بالتالي ان يستغنى عن خدمات المرأة في جميع ميادين الحياة .

— انتشار النظرية الديمقراطية :

— بعد ان كان المنزل مكانا يتخذه افراده للاكل والشرب والنوم فقط اصبح الآن مكانا اشبه بالندوة العلمية فيه يتبادل الافراد وجهة نظرهم في احداث الساعة ومشاكل الحياة اليومية والاجتماعية بكل حرية وكثيرا ما نجد ان الاولاد ينتمون الى حزب ما ونرى ان الزوجة تعتنق مذهبا مخالفا لحزب زوجها وقد يحدث ان الاولاد ينتمون الى مذاهب مغايرة لمذاهب آبائهم وامهاتهم ولا يجدون اي حرج في ذلك فكل فرد حرفي تبني اي مذهب سياسي او اقتصادي او اخلاقي شاء . فهذا اكبر دليل على سيادة روح الديمقراطية التامة في جو الاسرة العصرية بدلا من روح الديكتاتورية والعبودية الصارمة التي كانت تسود جو الاسرة في القديم .

وهي من خيرات التقدم الآلي الصناعي . نفذت الآلات جميع نواحي الحياة الاسروية مثل آلات التبريد والغسل والطهي والكنس وما الى ذلك وهذا ادى الى تخفيف اعباء الحياة المنزلية والاقتصادية ومن الجهد والوقت على جميع افراد الاسرة وخصوصا بالنسبة للمرأة فسهل عليها امكانية الجمع بين العمل داخل المنزل وخارجه .

ولكن لا يعني ان الآلة الصناعية ، هي العصر الذهبي بالنسبة للاسرة والمجتمع بل انها ساهمت الى مدى بعيد في كوارث الحياة المنزلية والاجتماعية فلا يخفى ما احدثته الثورة الصناعية من قلق وعدم اطمئنان لرب الاسرة فهو معرض للموت او العطب في كل لحظة من ساعات عمله مع الآلة الصناعية العمياء وان تجمع وازدحام العمال حول العامل ادى الى انتشار الامراض الخبيثة ومنها السل بانواعه والسرطان بين العمال وافراد اسرهم والى جانب ذلك فالعامل مهدد دائما بشبح البطالة . فعند تضخم الانتاج وعدم وجود اسواق لتصريف هذه المنتوجات فيضطر رئيس العمل الى الاستغناء عن عدد من عماله ولا يخفى ما ينتج عن البطالة من اوبئة وامراض اجتماعية مختلفة كالتسول والسرقة وتشكيل عصابات الاجرام وكل هذه امور يمكن ردها الى العامل الصناعي ، وهذه هي الضريبة التي تؤديها الانسانية ثمنا للتقدم .

وليست وظائف الاسر وحدها هي التي خضعت وتخضع الى التبدل والتغير فكل شيء على هذه البسيطة خضع وسيخضع الى تغيير دائم واكيد .

ديوان المجلة

مختارات من الشعر العربي القديم

البطولة العربية

إنا محيوك «يا سلمى» فحيينا ... وإن سقيت كرام الناس فاسقينا ١

وإن دعوت إلى جلى ومكرمة ... يوما سراة كرام الناس فادعينا ٢

إنا «بني يعرب» لا ندعي لأب ... عنه ولا هو بالأبناء يشرينا ٣

إن تبتدر غاية يوما لمكرمة ... تلق السوابق منا والمصلينا ٤

وليس يهلك منا سيد أبدا ... إلا افتلينا غلاما سيدا فينا ٥

إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا ... ولو نسام بها في الأمن أغلينا ٦

المطعمون إذا هبت شآمية ... وخير ناد رآه الناس نادينا ٧

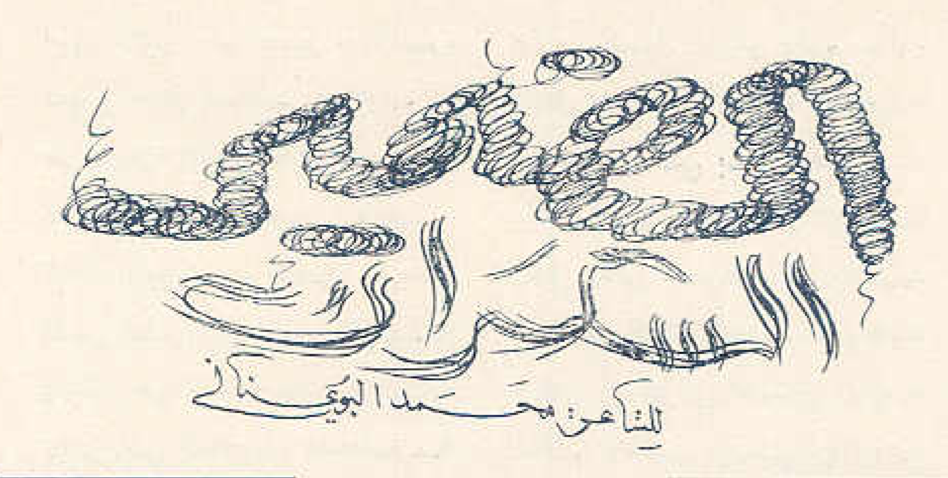
إني لمن معشر أفنى أوائلهم ... قيل الكماة: «ألا أين المحامونا؟» ٨

لو كان في الألف منا واحد فدعوا ... من فارس؟ خالهم إياه يعنونا

بشامة بن حزن النهشلي

شرح الكلمات :

1) بشامة بن حزن النهشلي ـ محيوك : مسلمون عليك ـ سقيت : دعوت بالسقيا
2) جلى : امر عظيم ـ مكرمة : فعل الكرم ـ سراة القوم : سادتهم ـ وهذا الكلام ظاهره استعطاف لها ، والقصد به التوصل الى بيان شرفه واستحقاق ما يستحقه الاشراف ، ولا سقي هناك ولا تحية .
3) بني يعرب : نصب على الاختصاص والمدح ـ لا ندعي : خبران . لاندعى عنه : لانعدل بنسبنا عنه ـ يشرينا : يبيعنا .
4) تبتدر غاية : يسارع اليها ـ الغاية : اصلها الراية تنصبفى آخر الميدان ، فمن سبق اليها ربح ، والغاية المدى : المسافة ـ لمكرمة : لاكتساب مكرمة ـ السابق : الاول من خيل الحلبة ـ المصلي : الثاني ، واستعار ذلك للادميين .
5) الافتلاء : افتلاه . فطمه ، اذا غاب سيد منا جاء سيد .
6) الروع : الحرب ـ اغلين : وجدت غالية ، والالف للاطلاق ـ نسام ـ سام البائع السلعة عرضها وذكر ثمنها والمشتريطلب بيعها
7) شامية : اي اذا هبت الريح شامية ، ونصب شامية على الحال اي فى ايام البرد .
8) الكماة : الشجعان ج كمي .



« كانت سهرة لهو وزهو . وكنا معشرا من الرفاق سابحين بين أمواج اللـذة والانبساط واذا بالراديو يعلن عن مظاهرة واد زم ونواحيها في غشت 1955 ، لتطير النشوة من رؤوسنا ، ونحملق في وجوه بعضنا كالجبناء بل كالمجرمين .

وفجأة انبثقت نفسي بهذه القصيدة تنفس عنا بعض الخجل والحزن .

وبقيت ذكرى تصور اغمض واسود ايام عشتها كمنتقم من نفسه واخوانه الذين تخلوا عنه . يريد ان يغسل في الحرام حراما ، ويمسح بالدموع دموعا .

لكن رحمة الله التي وسعت كل شيء . . . وقليلا من النور الذي لايطفيه ظلام كل الليالي الحالكة . . . وبقية من حظ وثقة وضمير ـ تستطيع ان تنتشل اي انسان من بين مخالب اليأس والتمادي . »

دعوني الى كاسي ، أغن بما بيه — وارسم على وجه السقاة حنانيه
فاحصد من عمري الذهول سنابلا — واغرس في دن الخمور شفاهيه
دعوني ألاق الليل في قلب حانة — ليقتبل الاصباح فيها غنائيه
دعوني في الركن الاليف ممددا — افاخر كؤوسا كاللهيب ، بتاليه !
دعوني مع التيار يسري دبيبه — بجسمي ـ كمايسري الشهاب اماميه
تركت مسائي في المزابل نائما — وعشت الليالي باحثا عن صباحيه
اوزع آهاتي ، واغفل ساعة — فتخطف صمتي رعشة كهربائيه
اصدق اوهامي فاطبع قبلتي — على كل مصباح ، على كل ساريه !!
اخال سحاب الصيف فى الافق غادة — على الصفحات الزرق تسبح عاريه
وكل صبي في الظلام ، اخاله — على الدرب عفريتا يغطي فضائيه
بجفف ارباقي ، ويلوي تنفسي — بقهقهة مثل الرعود الشماليه!
فاغمض عيني أستمد شجاعة — واطرحه فوق التراب ورائيه . . .
دعوني والا فلقت هامكم يدي — بقدحي ، وأسمعت السماء سبابيه
ووليت وجهي للمحيط . . . أبثه — دموعا ، وأوجاعا تسود حاليه
زجاجة خمري في يميني مليئة — وتحمل أوراقي وكاسي شماليه
فلم أر أسلاكا ، ولم أر صخرة — ولم أر أوتادا ، ولم أر هاويه

اسير فاكبو ، ثم أحبو ، وانثني ... وأرسم فوق الارض رقم ثمانيه

دعوني أحطم صحتي وطلاوتي ... وعقلي ، واقباس المنى ، وشبابيه

على صخرة الشط الذي رسمت به ... أصابع أيامي براءة ماضيه

أدوس على قبر الحياء ، وزهره ... وتعفس اقدامي على كبريائيه

كرهت وجودي ـ والحياة حريصة ... يكبل رجلي سحرها ... وأياديه

فليس صوابا أن تطيب وفوقها ... تعشعش أفراخ العدو ... وطاغيه

وتسكن في برجي ثعابين غاصب ... وتلعق من جرحي العميق دمائيه

تجردني للعالمين مضعضعا ... أعاني لأخفي عورتي بردائيه

وتاكل من لحمي ، ولست مدافعا ... وأول أسباب الهلاك دفاعيه

فاغرق لبي بين امواج سكرتي ... لأنقذ نفسي من لهيب انفعاليه

حرمت ـ أسيرا في الشباك ـ عشيرتي ... وأهلي ، وخلان الصبا ، وأمانيه

أغرد مدفوعا ، بلى لو ترفقت ... بي الفرص الدنيا فتحت جناحيه

أجوب المغاني المستحمة في السنى ... وأنشدها في غدوتي ورواحيه

الست ذليلا في بلادي وما بها ... عزيز سوى من لا يحب بلاديه ؟

يريد أهاليها عبيدا ، ومرجها ... نصيبا ؛ وما فيها حقوقا سماويه

فارباحه مقطوعة من ضلوعنا ... ويرغمنا ألا نسائل ماهيه ؟...

يدخن في الغليون حقد ترابنا ... وأقسام موتانا ، وغصة باكيه!

ويقتل من أزماننا خير ساعة ... نغني مع الأحباب فيها علانيه

بلادي ، وفي الآفاق من شهدائها ... جبال على التاريخ تشهد عاليه

بلادي ، أحتى السم فيك عدمته ... فقشرت حلقي في سموم أعاديه؟

وما هي الا بنت كرم تديرها ... مصايد الاستعمار في كف ساقيه

تحب العيون السود ، ثم تخافها ... ونعشق فاها ، والعيون الرماديه

تقرب ردفيها الى عضلاتنا ... وتبعد نهديها بفن المرائيه

وتبتاع عقدا من فضالة جيبنا ... وتسخر من أسيادها وهي زانيه

وتعبس أحيانا ، وتبسم تارة ... فنسأل : هل حب بها ؟ أم كراهيه؟

بلادي ، وقد عروك من كل ضيغم ... أبت نفسه الا تفوتك راضيه

وقادوا أسودا بالذئاب الى الردى ... وصبوا البقايا في السجون بضاحيه

وحاطوا صفيرا قال « تحيا بلادنا » ... بأسلحة ترتد في يد حاشيه!

ومات الوف بالسياط تزينهم ... نياشين تعذيب على الصدر داميه

وبات دخيل في فراش مهاجر ... ونام اليتامى تحت أضلع ساقيه

أنين الثكالى للسماوات وصمة   والامهن السود في الليل باديه
وخوف العذارى في الطريق مذلة   لكل شريف ، لا ينام طواعيه!
لنا دمعة يا أسد (زيان) لم تزل   تبرد من نيراننا ، وهي حامية
طعنتم الاستعمار في قلب قلبه   وقد ظن فيكم ترضعون مساعيه
فشدت روابينا على شهدائكم   يديها . وأكرمتم بهم كل رابيه
وما ضاعت الاوطان والشعب واقف   مع الموت والأسوار ، في كل ناحيه!
رجعتم بدنيانا الى عهد (طارق)   تقرب من وجه العدو زبانيه
فأكدتمو ان البرابرة الأولى   اصابوا زمانا ، لا يخيبون ثانيه
فمن بين احرار الجدود وحرة   ومن بين داع للجهاد ، وداعيه ...
طلعتم كفجر الله يصبغ بحرنا   وانهارنا ، والشمس حمراء قانيه
سواعدكم فوق الضحى مغربية   تسل على الطاغي سيوفا يمانيه
فثورتكم هذا الصباح بداية   ستتبعها أخرى تطول ... وثانيه..
الى أن يضم (الريف) في الجهر (أطلسا)   منيمسا ، ويسقيه الثمالة صافيه
وتنطلق الأنغام مني حرة   بأسلوبها السحار : معنى وقافيه!

الرباط 1955 : محمد البوعناني

– أنــا –

دق رجل على احد العلماء الباب ، فقال : من هذا ؟

فقال : أنا .

قال : لست اعرف في اخواننا احدا اسمه أنا ...

عيد الاستقلال

للشاعر إدريس الجاي

بني وطني ، خلاكم كل ذم   سنبقى مخلصين لخير ام

لارض تنجب الاحرار يوما   فيوما .. لن تكون بذات عقم

ترحب بالابي وان غريبا   كما لو كان من دمكم ودمي

وتؤوي في معاقلنا مضاما   تراكله اللئام ، لفرط لؤم

فيأمن بعد خوف ثم يمضي   الى الحرية المثلى كبهم

بنو الاحرار من ارضي اشقائي « م »ومن هم مثلهم ابناء عمي

وويل للطغام اذا استباحوا   حمانا ذات قرن .. ذات يوم

وويل للثعالب : نحن اسد   متى غضبوا فشؤم ، اي شؤم

نفتح اعين الاعمى برعب   ويثقب هولنا اذن الاصم

ونختصر الطريق الى علانا   فندعس كل عرنين اشم

ومن يك جاهلا من نحن .. لابد« م » تأتيه بطولتنا بعلم

كصخر الاطلس الشماخ انا   نحطم كل ضرس ذات قضم

ونسخر من عنوز ناطحات   تلالا ليس تدمى حين تدمي

بقدر الحلم غضبتنا .. فاهول   بها ان تندلع من بعد حلم

ومن يلطم كرامتنا فما الكف « م »تصفعه ، ولكن بعض كم

ضحايانا اذا عدوا كثير   وليس يعد مجدهم برقم

وما عجب ، قرابتنا دماء   ومجد الكل مرقوم بنجم

وتعرفنا الحروب اذا ظلمنا   ويحمد ذكرنا ايام سلم

رويد الدهر انا ما لبثنا   اباة مهانة واباة ضيم

ايبعك يا زماني الكل الا   بلادي .. والكرام القوم قومي

❊ ❊ ❊

خماسي لنا النجم الشعار   كخامس مجدنا ، نور ونار

اهاب بنا « ابن يوسف » حين جاروا   فكنا خير من غضبوا وثاروا

فلم تر فوق هذي الارض رجا ولم يك فوق هذي الارض عار

الا : خربت ديارهم : اذا لم تقم داري ، فلا سلمت ديار

يطل لبعض اقوام دماهم واما نحن : ان ثار ، فثار

رويدك يا زمان .. ولا تجاهل فانا السادة القوم الكبار

ابونا : اقدس الآباء ذكرا وعاهلنا ابنه : التاج الفخار

هو « الحسن » الذي بهداه نخطو ينير لنا الصراط فنستنار

لياليه ، لاجل الشعب يمضي وطلعته لاعيننا نهار

شريف ، من شريف ، من شريف يشق .. ولا يشق له غبار

اذا ذكر الكفاح فقيل : اين الفتى ؟ « م » قالى بطولته يشار

هو الصديق يوم نفوا ابانا واسرتنا .. فكل الارض غار

فما وهنوا .. ولا حزنوا .. ولكن مضوا والشعب صبرهم الشعار

فآبوا والكرامة ملء ايد وعطر المجد يعبق حيث ساروا

ودوى صيتنا في الارض طرا وحول جباهنا غار .. وغار

وكنا شعلة حرقت عدانا هنا .. وهناك حيث القوم جاروا

كذلك : منذ « عقبة » منذ « مازيغ » لا زلنا نجير .. ولا نجار

ويعثر في عقاب المجد ناس ثقيل .. ولا يقال لنا عثار

بني وطني ، سعيدا يوم عيد وبورك من بهم كرمت ديار

معاذ الله ، ما ماتوا .. ولكن حوالي اشرف الشرفاء داروا

الرباط ـ ادريس الجائي

أبطـــال

قوم اذا اشتجر القنا
جعلوا الصدور لها مسالك

اللابسين قلوبهم
فوق الدروع لدفع ذلك

غريب عن الأحباب

للشاعر: محمد العلمي

الى الله اشكو ما اقاسي من البلوى ... فقد بلغت باواي غايتها القصوى

غريب عن الاحباب ، اشتاق وجههم ... وحق الهي عالم السر والنجوى

ابيت اناجي في السماء كواكبا ... واشكو اليها حيث لا تنفع الشكوى

فتحت من العيش الجديد صحائفا ... ولكنه الماضي صحائفه تطوى

لقد كنت في حلم فايقظني النوى ... وما كان قلبي من عواصفه خلوا

ضحكت على سير الحياة وحربها ... فشاهدتها ترضى التفاهة واللهوا

واعرضت عن خوض المجاج تعمدا ... ولكن سهام الدهر تلحقني سهوا

وجربت بعض الناس في وقت محنتي ... فلم الق منهم من اصادق او اهوى

ارى ان رماني الدهر منهم شماتة ... وهم اظهروا كل التاسف في الدعوى

يعيشون في التكدير عيش منافق ... وتقلقهم ايامنا ان بدت صفوا

اذا عشت في حضن الحياد تطعوا ... وجاءوا جميعا في محاربتي حبوا

يعدون مني كل فعل جريمة ... على حد لم يبق صفحا ولا عفوا

اذا نطقوا الفتك لذة نطقهم ... واكبادهم بالحقد قد حشيت حشوا

سعيت لارضاء الجميع ، فاصبحت ... ملاطفتي من دون نفع ولا جدوى

ولم تجدني الاخلاق بين عشائر ... ترى العيش في الاقذار ، والحق للاقوى

لقد مزقوا مني الحياء وستره ... فلم استطع للثوب رقعا ولا رفوا

اذا كنت منهم حقروك بطبعهم ... فهم هزاوا بالعقل والدين والتقوى

وهم قد راوا في سكرة العيش نشوة ... ولم يأملوا في العيش فهما ولا صحوا

بكيت عليهم من صميم حشاشتي ... وسطرت من شعري المدامع والشجوا

وادليت في حوض الحياة ومائها ... على نغم الآلام ، من مهجتي دلوا

شربت الكؤوس المترعات لعلني ... اصادف ذوقا قلا يلائمني حلوا

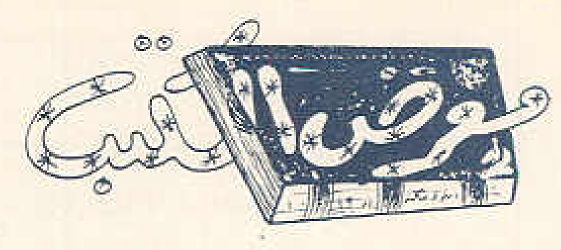
واهديت للناس الورود فهالني ... من الشوك وخز في الحشاشة والمثوى

تجاهلت فني ، واقتدار يراعتي ... ولم ادر من حولي الحقيقة والفحوى

كاني امي جهول مذبذب ... شريد ، فلم ادر الثقافة والنحوا

واني مظلوم اكابد حرقتي ... وادعو الهي كاشف الضر والبلوى
ارى الفن يشقى حين يحقر اهله ... فان عز عزوا في الانام ولا غروا
وجربت حظي في الكلام فلم يفد ... ولكن ارى في الصمت ما يضمن السلوى
تحاشيت بعض الناس حين تنكروا ... فاخلاقهم داء تسرب بالعدوى
فكم حفروا قبرا لاهل مودة ... ومن مكرهم رعد العواصف قد دوى
وفي كل امر للتلون عندهم ... فنون ، وفي كل الشؤون لهم فتوى
اذا غضبوا اصبحت تسكن لوعة ... وان هداوا اصبحت تستوطن البهوا
أرى الناس في الاحكام جاروا واسرفوا ... فعم الاسى تلك الحواضر والبدوا
تصفى حسابات ولو بعد فترة ... فتقضم اعراض كما تقضم الحلوى
تسابقنا الاحداث من غير رحمة ... ونحن نوالي في مجاهلها الخطوا
ونحسب أنا للضرورة محور ... فان نحن فتنا كان مرتعنا لغوا
نحارب ، لكن من نحارب يا ترى ؟ ... فهذا رمى نارا ، وذاك رمى شلوا
الم ندر انا في الحقيقة وحدة ؟ ... فكل امرىء قد كان من جنسه عضوا
علام افتخار واعتلاء وفتنة ؟ ... فان القضاء الحق للكل قد سوى
ونحمل اعباء تلوح خفيفة ... ولكنها في الوزن اثقل من رضوى
ارى الناس ما كانوا وعاة لامرهم ... وما تبعوا في الحق نهجا ولا حذوى
فكل له نفس الامير ، وغيره ... اذا حالت الاحوال ، بحبه جروا
فلا خير يرجى ان تقدم جاهل ... فتاه غرورا ما ترزن او الوى
لذاك ترى الناس العظام تجاهلوا ... فلم يقبلوا في الناس كبرا ولا زهوا
تعاموا عن الاضداد ثم تقدموا ... الى القمر في الديجور، كالناقة العشوا
تعاشرهم دهرا طويلا فلا ترى ... لديهم اخا يرعى العهود ولا صنوا
وتروى من الاهلين كل سريرة ... ولست عليما بالذي عنك قد يروى
وتطفىء نارا قد تاجج هولها ... ولكن بنفس النار تحرق او تكوى
وتنوي خلاصا من قيود بغيضة ... فتسلك فيها رغم ما ترتجي توا
وما كل من احببته لك مخلصا ... فلست بدار ما يدبر او ينوى
اعيش على جمر الغضا متقلبا ... وفي لهب الذكرى القريبة قد اشوى
اذا كان ظني خاب بعد صلاحه ... فعند الهي وحده يحسن الماوى
ففيه اذا خان الزمان موفق ... وفي عفوه ما يصقل النفس والجوا
وفيه من الشعر البديع حدائق ... بها عاشت الافكار في خلدها نشوى

محمد بن محمد العلمي



شعر الخوارج

تأليف: إحسان عباس

تقديم وتعليق: الأستاذ عبد القادر زمامة

اذا ذكر الخوارج في تاريخ الاسلام ذكر معهم تاريخ طويل من الثورات والازمات والدماء والضحايا والفتن التي اثارت كثيرا من المشاكل والاحقاد في تاريخ الدولة الاموية بالشرق .

وتاريخ المذهب الخارجي تاريخ غريب كل الغرابة يثير في نفوسنا كثيرا من الاسئلة والاستفهامات .. فهذا المذهب كان وليد مصادفة تضافرت على خلقها عوامل من سوء الفهم وسوء التدبير والارتجال والطموح الكاذب . والعصبية الضيقة والفهم الخاطيء للدين من جهة وللسياسة من جهة اخرى ...

ولم يكن ذلك خاصا بالمذهب نفسه ولكنه كان ايضا في جانب خصومه الذين استغلوا في عصر بني امية نقطة الضعف في الدولة فراحوا يتتبعون الخوارج بالقتل والمطاردة والتنكيل من غير استعمال للمنطق الديني ولا للمنطق السياسي في حل مشكلتهم حلا مستمدا من الحكمة والتبصر وسعة الصدر والاقناع والحجة ..

وكان لذلك اعظم الاخطار واقبح النتائج حيث دفع العناد والتعصب بالخوارج وخصومهم الى الامعان في الانفصال والكيد والمتابعة والتحطيم والتمرد .. ووقعت عدة مآس مشهورة في التاريخ .. كما وقعت عدة حوادث سياسية دفعت بالخوارج الى الهجرة في انحاء العالم الاسلامي فاعتصموا بشمال افريقية واطراف جزيرة العرب وكونوا امارات منفصلة عن الامويين ومجتمعا منفصلا له ادبه وعقيدته وسلوكه وتشريعه ايضا .. !

ونحن هنا لا يعنينا ان نتتبع تاريخ الخوارج بالتفصيل ولكن يهمنا ادب الخوارج وشعرهم بصفة خاصة .. اذ هذا هو موضوع الكتاب الذي نقدمه في هذا العرض

منذ كتب الامام محمد بن يزيد المبرد في كتابه (الكامل) عن الخوارج وفرقهم وشعرائهم وخطبائهم . وروى الكثير منها .. لم يظفر ادب الخوارج ـ فيما نعلم ـ بعناية من المؤرخين والباحثين في تاريخ الادب .. وذلك لاسباب معروفة اهمها ان الحديث عن الخوارج وادبهم كان يعد اذ ذاك حديثا عن المنحرفين والضالين ويثير كثيرا من الظنون والشبه حول من يحاول ذلك باعتباره خرج عن المالوف من تجاهل مثل هذه الفرق وعدم الاهتمام بتاريخها فاحرى بادبها شعرها ونثرها ..

لكن العصر الحديث فتح امام الدارسين آفاقا جديدة ، فقد كتب الاستاذ احمد الشايب دراسة عن ادب الخوارج في كتابه تاريخ الشعر السياسي .. كما ان الدكتورة « سهير القلماوي » اعدت رسالتها الجامعية عن ادب الخوارج .. وياتي اليوم الاستاذ احسان عباس الباحث الفلسطيني الشهير ليجمع لنا في هذا الكتاب شعر الخوارج المتفرق في عدة كتب مخطوطة ومطبوعة .. وبذلك ظفر ادب الخوارج بعناية الدارسين المعاصرين ..

وكتاب الاستاذ احسان عباس كتاب عانى مؤلفه في جمعه مشاق يعرفها اولئك الذين يعملون في عالم المخطوطات المبعثرة ليجمعوا منها بغيتهم المنشودة ..

فهو لا يقتصر على المعروف والمتداول . ولكنه يتعدى ذلك الى الغريب والنادر والمهجور والمنسي في زوايا الخمول والاهمال ..

وذاك الباحثين الجامعيين الذين يأبون الا ان يحيطوا بالموضوع الاحاطة الممكنة في دائرة المصادر والمراجع التي بين ايديهم ..

والمقدمة التي استهل بها المؤلف كتابه اعطانا فيها نظرات عميقة عن ادب الخوارج واحسن ما في هذه المقدمة بل واطرف ما فيها هو ان المؤلف حاول ان يجعل ادب الخوارج ادب الالتزام ومن شعرائهم شعراء الالتزام في الادب العربي لان الموضوع الاساسي عند شعراء الخوارج هو التمرد على الوضع الذي كان محبطا بهم في كل شيء .. فكان شعرهم لا يخرج عن عقيدتهم التي عاشوا وماتوا من اجلها ..

وهذه النظرية من الاستاذ المؤلف طريفة تحتاج الى مزيد من الدراسة لتظهر فكرة الالتزام القديمة ازاء فكرة الالتزام الجديدة التي بزغت في الادب الفرنسي ايام الاحتلال النازي .. والمقاومة الفرنسية للاحتلال الاجنبي ..

كما ان نظرية المؤلف حول الشعراء الخوارج واتجاههم الفكري والعقائدي كانت طريفة جدا حيث صور لنا شخصيات شعراء الخوارج تصويرا بديعا فعرفنا : عمران بن حطان . وقطري بن الفجاءة والطرماح بن حكيم . وابا حمزة وغيرهم من التلوين الشخصي والميزات النفسية والاجتماعية لكل واحد منهم ...

وبعد المقدمة التي شغلت من الكتاب ست عشرة صحيفة انتقل المؤلف الى القصائد والمقطعات الشعرية التي جمعها .

فرتبها حسب الشعراء فكل شاعر روى له ما استطاع جمعه من الابيات المبعثرة والقصائد والمقطعات التي ظفر بها من هنا وهناك ...

وهنا نطلع بواسطة مجهود المؤلف على عدة اسماء لم نسمع بها من قبل بل لم نرها فيما بين ايدينا من مصادر الادب العربي لكتاب الاغاني والامالي والكامل. وعيون الاخبار .. وما ذلك الا لان المؤلف الباحث غاص في بحر المخطوطات فاتانا بالغريب النادر والمهجور المنسي ...

واذا علمنا ان الرواة لم يحدثونا عن دواوين مجموعة لشعراء الخوارج باستثناء واحد او اثنين منهم علمنا مقدار الاهمية للمجموعة الشعرية التي بين ايدينا ..

وبعد هذه المجموعة الشعرية يأبى المؤلف الا ان يزيدنا من حسناته وهي كثيرة في هذا الكتاب ... فعقد فصلا طويلا عرف به بالشعراء المذكورين في المجموعة الشعرية وذكر مصادر هذا التعريف ليرجع الباحث الى المصادر والمراجع ان كان في حاجة الى ذلك .

ولعل بعض الناس يثير هذا السؤال :

ما قيمة شعر الخوارج .. ؟ واي فائدة في جمعه .. ؟

والجواب ان شعر الخوارج له اهميته لمن يريد الدراسة الادبية المتعمقة ليحيط علما بالتيارات التي عاشها الادب العربي طوال قرون قبل ان يصل الينا . ولن نعرف هذه التيارات الا اذا كنا نبحث عنها بحثا جامعيا لا بحثا سطحيا يكتفي بما يقال ويكتب وينشر في الملخصات والمنتخبات التي تعطى عادة التلاميذ في طور من اطوار دراستهم ..

وبعد .. فهذا شعر الخوارج بين ايدينا قد جمع جمعا ورتب ترتيبا فلم يبق الا ان ندرسه بامعان لنستخرج النتائج التي قصد اليها المؤلف من وراء مجهوده المشكور .. والا نعتمد على النظرات السطحية التي الفناها ممن لا يكلفون انفسهم عناء البحث والاطلاع في كنوز الادب العربي الفنية بالمادة الادبية المختارة ..

فصل المقال في شرح كتاب الأمثال

تأليف أبي عبيد البكري الأندلسي

كانت الامثال وما تزال في اللغة العربية دليل التجربة اللغوية والفكرية التي مرت بالعرب منذ عهودهم الاولى في بيئتهم الطبيعية في صحراء جزيرة العرب الى ان فتحت لهم ابواب العالم شرقا وغربا فحملوا لغتهم وعاداتهم وتجاربهم اللغوية والفكرية الى كل بقعة وطئتها اقدامهم ..

والامثال قبل ذا وذاك سجل لغوي يؤرخ اللفظ العربي كيف بدأ . وكيف درج على الالسنة وكيف ادى مدلوله الحقيقي . وكيف تطور في الاستعمال الى ان احتضنته المعاجم اللغوية فاخذ مكانه من موادها ..

فكثيرا ما نجد الفاظا عربية عصفت بها ايدي الزمان وسلبتها الذيوع والانتشار ولكن المثل العربي ظل محتفظا بها راعيا لها من الفناء والموت وكأنه الحافظ الامين الذي لا يتنكر للغته مهما كانت الحال ..

ولهذه المكانة التي احتفظت بها الامثال في لغة الضاد كان اللغويون والادباء والرواة لا ينفكون يجمعون الامثال العربية ويدونوها تدوينا يحفظها من الاهمال والنسيان لتكون مرآة للشاعر والكاتب والمؤرخ واللغوي في كل الاحوال ..

وقد نبغ في هذا الباب عدة نبغاء كان همهم الوحيد ان يجمعوا اكبر عدد ممكن مما نطقت به العرب في جاهليتها واسلامها من امثال ..

وفي مقدمة هؤلاء ابو عبيد القاسم بن سلام الخراساني الذي عاش في بغداد وكان من اعلام اللغة والادب والنحو روى عن اصحاب ابي حنيفة كما روى عن الامام مالك . . وتوفي 223 هـ بمكة المكرمة ..

وقد الف ابو عبيد كتابه الشهير « الامثال السائرة » فاخذه عنه الناس في حياته ورواه الرواة عنه بعد وفاته وكان عمدة لمن يدرس الامثال اللغوية في المشرق والمغرب .

ودخل هذا الكتاب الى الاندلس اواخر القرن الثالث الهجري فاقبل عليه ادباء الاندلس يحفظونه ويشرحونه ويضيفون اليه ما جد من الامثال ..

وقد نال هذا الكتاب من الاندلسيين عناية خاصة في الدراسات الادبية واللغوية طيلة اجيال ..

وفي القرن الخامس الهجري نجد المؤرخ الجغرافي اللغوي ابا عبيد البكري يهتم بهذا الكتاب اهتماما غريبا ويوليه عناية خاصة ..

والبكري لغوي شهير نعرف له عدة مؤلفات ما زالت الى الآن مصدرا لنا في البحث اللغوي والجغرافي وقد كانت له اليد الطولى في شرح الاعلام الجغرافية وضبطها ضبطا لغويا غريبا نادر المثال ..

وقد اعان البكري على ذلك مكانته الاجتماعية والسياسية لانه كان من عائلة تولت الامارة طيلة اربعين سنة .. وكان لها من الكتب والمراجع الشيء الكثير.

وشرح البكري كتاب « الامثال السائرة» شرحا له مكانته اللغوية والادبية وظل هذا الشرح في زوايا الاهمال الى ان اتيحت له فرصة الظهور والطبع على يد جامعة الخرطوم في جمهورية السودان .

واليوم نقدم هذا الشرح الذي وصلنا اخيرا ونعطي بعض المعلومات عما حواه من فوائد ومعلومات

يجد بالباحثين والادباء ان يستفيدوا منها وان يطلعوا على تفاصيلها في الكتاب نفسه .

واول ما نلاحظه ان الشرح ليس مرتبا على طريقة الحروف الابجدية كما في كتب المعاجم والمجامع ولكنه مرتب على الابواب والمعاني ..

وقد كانت هذه الابواب عشرين ..

فيقول مثلا : باب : حفظ اللسان ـ باب : معايب المنطق ـ باب : البخل ـ باب : الجبن ـ باب : مكارم الاخلاق ـ باب : المعاش والمال .

ويأتي في كل باب بالامثال النثرية والشعرية والاحاديث النبوية في الموضوع ثم يشرحها شرحا لغويا وادبيا عظيم الاهمية دقيق الملاحظة .. واسع المادة ..

وهذه الطريقة مفيدة في نظرنا لمن يريد ان يأتي بالمثل اللغوي لمعنى من المعاني التي يريد بسطها باسلوب يعتمد على ضرب المثل في مكانه المناسب حتى اذا نظر في كتاب البكري وجده قد هيأ له من الامثال الشعرية والنثرية ما يشفي غليلة من امثال قوله في حفظ اللسان ...

خل جنبيك لرام	وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير	لك من داء الكلام
انما السالم من الج	ـم فاه بلجام

ويناقش البكري مؤلف كتاب الامثال السائرة مناقشة لا تخلو من قساوة وتحامل احيانا فهو يريد منه ان يكون واسع الاطلاع على نسبة الابيات الى اصحابها الجاهليين والاسلاميين كما يريد منه ان يدقق في رواية المثل من غير تبديل ولا تصرف بزيادة ولا نقص لان الامثال لا تغير ..!

وكان البكري يريد بذلك ان يظهر لنا ثقافته الواسعة ومادته الخصبة من اللغة والادب في شيء من الزهو والاعتداد بالنفس .. ! وهذا شيء نعرفه عند البكري في ءاثاره الاخرى التي اطلعنا عليه . فنجده في كتابه سمط اللآلي الذي شرح به كتاب الامالي يناقش ابا علي القالي مناقشة حادة ويتجنى عليه ويستجهله في بعض الاحيان ..!

ومع ذلك فان بحث البكري ممتاز عظيم الفائدة العلمية والادبية لمن يريد الدراسة والاطلاع .. اما عن اخراج هذا الكتاب من عالم الاهمال الى عالم الحياة فهذا عمل مشكور لجامعة السودان التي عهدت بذلك الى استاذين من خيرة اساتذتها فاخرجاه في حلة انيقة شاهدة بمجهودهما الكبير ..

وان كانت هناك مؤاخذات على الاخراج من ناحية الاخطاء المطبعية الكثيرة فان ذلك لا يضير في شيء هذا الاثر الجليل وهذا العمل المفيد ..

فاس : عبد القادر زمامة







وقف « عبد الحق الخالدي » امام النافـــذة المشرقة على الغرب يشير باصبعه الى قطعـــة ارض محاطة بسياج من الشوك ، ويقول لضيفه الموظـــف الكبيـــر :

ـــ تلك هي قطعة الارض التي قلت لك عليهـــا بالامس .. انها على ظهري كالدمالة ، لا تزيد عـــن هكتارين مربعين ، ولكن مالكها لا يريد البيع ولا الشراء ، ولا اي حل اخر .. وانا لا استطيع ان ابقى هكذا .. كلما جاء وقت الحرث على ان احرث ارضي حوالـــي تلك القطعة الملعونة ، بل واعطيهم حق المـــرور في ارضـــي ..

وتكلم الموظف الكبير وهو يحسو من كاس الشاي ويدخـــن ..

ـــ لا ارى لك حيلة قانونية تخرجهم بها من تلـــك الارض او تجعلهم يبيعونها لك .. عليك ان تنتظـــر حتى يموتـــا ..

وضحك « عبد الحق » وقـــال ..

ـــ لو استطيع تعجيل ذلك ..

في هذه اللحظة ، فقط ، وقعت هـــذه الفكرة في ذهنه ، وشغلته قليلا .. والتفت الى الموظف :

ـــ وهل اذا ماتا يمكنني الحصول على الارض من الحكومـــة بطريقة اسهل ؟

ـــ ذلـــك اعدك بـــه .. هـــذا اذا لم يكن لهمـــا وريث ..

ـــ ابدا .. مقطوعان من شجـــرة ، كما يقولون ..

ـــ وكـــم سنهمـــا ؟

ـــ سنهما متقارب .. الزوج في حوالي الخامسة والخمســـين ، ولكنه قوي كالبغل ، يقضي معظـــم ساعات نهاره بالجبل يجمع الحطب ، ويصيد الارانب . والزوجة في الخامسة والاربعين ، وهما من اعقـــد خلق الله تفكيـــرا .. يخيفانني احيانا ، كأنما تربيا في احد قصور « بيد مونت » ايام « ميكيافيلي » .

ـــ تعنـــي انهمـــا ماكـــران ؟ ..

ـــ كالثعلبين .. ويشاع في الحي انه تزوجها مـــن الشـــارع .. اعني انها كانت ـــ فهمت ؟ ..

وحرك الموظف راسه ، وسحق السيجارة وبـــدا يتهيأ للنزول الى عمله بالمدينـــة .

* *

في تلك الليلة عادت فكرة قتل الرجل والمراة تلح على ذهن « عبد الحق الخالدي » وهو مضطجـــع في فراشه ، فبدا يقلبها على جوانبها .. ومـــع الساعـــة الثالثة صباحا انتهى الـــى قرار .

وفي الصباح احضرت خادمته « فطنة » زوجـــة حراثه له الفطور فطلب منها ان تدعو زوجها للحديث معه . وحضر الحراث فجلس ، وصب عبد الحق كاس شاي وقدمه له ، واخذ يحدثه حتى انتهـــى بلباقـــة الى الحديث عن «العوامي» وزوجته صاحبـــي الارض الواقعـــة وسط ارضـــه .

وتاكد ، وهو يتكلم بصوت خفيف لان اذنـــي « فطنة » زوجة الحراث مفتوحتان الى الاخر من وراء الستـــار .. وقال له :

ـــ اسمع .. ولا اريد ان تقـــول هذا لاحد ، ولا لزوجتـــك ..

وبدا الحراث يحلف بأغلظ ايمانه فقاطعه هذا قائلا :

ــ اتعرف ان « العوامي » سيطلق زوجته «عيشة» ليتزوج « خديجة بنت الحسن » لقد تم الاتفاق نهائيا على الموضوع ، و « عيشة » المسكينة لا تعلم ، لم يقل لها « العوامي » لانه خاف ان تضع له السم في طعامه .. اتعرف انها كانت من نساء الشوارع وتتقن فن « التوكال » .. وسوف يطلقها بحجة انها لا تلد ..

وفتح الحراث فمه وهو يستمع لذلك ، واصغى «عبد الحق الخالدي» باذنه وراء الستارة ثم نادى بصوت مرتفع فجأة ..

ــ فطنة ؟ ..

وسمع شهقة رعب من خلف الستار ، ثم دخلت فطنة تتعثر في اطراف قفطانها وترتعش فنظر اليها ، وابتسم في سره .. الرسالة وصلت بكامل التفاصيل .. عليه الان ان يضع يده على صدره وينتظر ان تسير الامور كما قدر .. اذا فشلت فستكون دراسته على « العوامي » وزوجته وطبيعتها الفريدة كلها وهم وخيال .

❋ ❋

في ذلك الظهر الصيفي القائظ ، جلست عيشة زوجة «العوامي» على عتبة خيمتها وقد الصقت ركبتيها بصدرها ، وشبكت اصابعها الحمر بالحناء على ساقيها في توقع وصبر .

كان زوجها قد ترك البيت الى الغابة بالجبل ، وبقيت هي وحدها تأكل قلبها بعد زيارة « فطنة » زوجة « حراث » السيد الخالدي ..

وبعد ساعتين من تجمدها في مجلسها رات ما ما كانت تنتظره .. كانت احدى الافاعي المسمومة قد تركت جحرها وقصدت جرة اللبن الرائب المفتوحة بركن العريش .. وزحفت بحذر وصمت حتى استوت مع الجرة ، والتفت عليها ثم عانقتها وصعدت حتى فمها ، وادلت راسها الى حيث اللبن فبدات تشرب ..

وهنا وقفت « عيشة » وتحركت بحذر نحو الجرة ، ومدت يدها حيث عنق الافعى ، وامسكت به بسرعة وحذاقة ..

وحين تمكنت منه ضغطت على فكيها ففتحت الافعى فمها ، وظهر فيه النابان القاتلان وعند ذلك اخذت « عيشة » تضغط عليهما بحافة الجرة فيخرج منها السائل الابيض الزعاف ويقطر في قلب الجرة ..

وعندما اتمت افراغ ما في غدتها ، رمتها نحو الزرب من حيث جاءت فزحفت هذه نحو جحرها وعادت « عيشة » الى حيث الجرة فحركتها حتى اختلط ما فيها ، وتركتها هناك .

ومع غروب الشمس حضر « العوامي » برزمة اعواد على بغلته ، ورزمة ارانب تتدلى من حزامه ، وعلى وجهه ابتسامة راضية ..

ونظرت اليه «عيشة» وابتسمت .. كانت تقول له في نفسها .. هل آخر يوم تقضيه معها في الجبل المزعوم .. غدا سيصلها خبرك وهي تنتظرك بصدرها نائمة على عشب الغابة فتنسى كل الملذات التي اعطيتها ..

وذهبت لتفرغ ما على ظهر البغلة .. وعلق هو حزامه على باب الخيمة ، وذهب ليشرب ملء بطنه من جرة اللبن الرائب على عادته كلما حضر في المساء

ونظرت اليه وهو يقعد على حافة الدكة ويمد يده نحو الجرة ويرفعها ثم يفرغ منها في جوفه ثم يضعها على ركبتيه ويتنهد ، ويعود الى الجرع .

واغمضت عينيها وهي تشعل القنديل داخل الخيمة ..

وبعد حوالي النصف ساعة ذهب الى فراشه فاستلقى عليه وقد احس بالسم يسري في بدنه . وناداها ..

ــ عيشة .. عيشة ..

وجاءت هي بسرعة تسأله ..

ــ مالك ؟ الا تنتظر حتى تتعشى ؟

قال وعيناه في عينيها ..

ــ سوف لن اعيش حتى اتعشى ..

ــ ماذا تقول ؟؟

ــ اسمعي .. ما سأقوله مهم .. انني احس بالموت . لابد اني شربت سما في ذلك اللبن . وجدت الجرة مفتوحة .

وبدات هي تضرب على صدرها وتتصنع البكاء والولولة . وامسك هو بيديها ..

ـ اسمعي .. كنت اريد ان اقول لك هذا منذ مدة .. ولكني خفت ان يذيع السر .. لقد وجدت كنزا على قمة ذلك الجبل ..

وارهفت هي سمعها للخبر .. ولكنها في نفس الوقت ظلت تولول ..

ـ اي كنز يحلو بدونك يا ضوء عيني ؟ ؟

ـ اسمعي الان .. ليس هناك وقت .. اذهبي الليلة قبل ان يعلم احد بموتي ستجده في ركن البيت المقابل للشرق .. الركن الاول على يدك اليمنى حين تدخلين .. لقد وضعت عليه صخرة .. هناك تحت الصخرة ستحفرين قدر ذراعين .. خذي البغلة معك .. اذهبي بالليل حتى لا يراك احد .

وما كاد يتم ءاخر جملة حتى سقط راسه وعيناه مفتوحتان الى السقف .

* *

ولم تعد في عينها دموع .. وجاءت بلحاف فغطته ، وخرجت تهيىء البغلة للرحلة .

كان البيت على قمة الجبل عبارة عن اطلال قديمة ما تزال قائمة رغم عصف الريح وتهاطل الامطار . ياوي اليها الهائمون والرعاة من حين لاخر . وتبقى على مدار السنة مسرحا للهواء واوراق الشجر .

ووصلت الى القمة مع منتصف الليل . كانت تسوق البغلة خلفها بدل ان تركبها لانحدار الممرات وكثرة فروع الاشجار .

كانت الليلة حالكة السواد الا من اضواء النجوم البعيدة التي كانت تجعل اشباح الصخور والادواح تبدو في اشكال غيلان وعفاريت مخيفة .

ولم يكن يسمع صوت شيء الا وقع حوافر البغلة على الارض اليابسة ، وضربها لصخرة صماء من حين لاخر .

وعلى القمة ربطت « عيشة » البغلة على باب البيت الخرب ، ودخلت . كانت النجوم تطل في وسطه كانها معلقة بسقوفه . وقصدت ركن البيت الشرقي الذي كان بدون سقف فبدات تبحث عن الصخرة . كانت الصخرة هناك فعلا ، وبدات تحاول ان تزحزحها عن مكانها فلم تفلح . وخرجت فجاءت بالبغلة وربطتها الى الصخرة وبدات تسحبها حتى جرتها عن الركن . وحينئذ اخذت مجرفة وبدات تحفر .

وصنعت حفرة عميقة كانت تقيس عمقها بعود طوله ذراعان ولكن الارض كانت لا تزيد الا صلابة ..

وبدات تحس ان الكنز الذي قال عنه زوجها لا يمكن ان يوجد هناك .. ووضعت المجرفة وجلست على الصخرة تمسح عرقها وتلهث . وفي هذه اللحظة بدات البغلة تنقل حوافرها في قلق .. ثم بدات تنحنح وتزفر .. والتفتت « عيشة » حواليها فاذا عشرات العيون تراقبها .. عيون رمادية مشعة فيها وحشية وجوع الى الافتراس .. واحست « عيشة » برعب شديد صحبه الم شديد في بطنها ..

العيون المحيطة بالاطلال عيون ذئاب مفترسة شمت رائحة عرق الحيوان والانسان فجاءت .. انها تتجمع الان من كل صوب بالغابة .. بعد لحظة ستتكاثر الى ان تصبح مئات .. وعندئذ تبدا في العويل والهرير ثم تهجم معا ..

وامسكت بالمجرفة في يدها ووقفت بالركن المظلم .. وبدات تلك العيون تقترب والاصوات المتوحشة تعلو في فضاء الجبل المقفر ..

وبدا الهجوم ..

وعندما كانت السنهم تلعق دماءها ، كانت تسلم الروح وتفكر في زوجها وهو يؤكد لها ان تذهب بالليل .

* *

ومر شهر على الحادثين ..

وذات مساء عاد السيد « عبد الحق الخالدي » من المدينة يحمل عقد ملكية تلك القطعة الملعونة التي كانت على قلبه كالجبل .. كان قلبه يخفق سرورا .. لقد نجحت خطته .. فاز مكره ضد مكر « العوامي » وزوجته .. وقتل الافعى بسمها .

وعلى باب ضيعته وجد حصانه الاحمر في انتظاره مسرجا ، فامتطاه ، وذهب يركض في اتجاه الخيمة المهجورة والسياج ..

كان الهواء يملا رئتيه وهو داخل تلك القلعة المحتلة كالفاتح انهار تحت اقدامه حصن منيع ..

ودخل باب السياج راكضا .. وفجاة ارتفع رجلا الحصان في الفضاء وارتمى « الخالدي » من فوقه عدة امتار فاصطدم راسه بدكة الخيمة الصلبة ، وانسحقت جمجمته وعنقه فمات في الحال ..

وبقي الحصان يرفع رجليه في الفضاء ويضرب الارض بحافريه امام الافعى الرقطاء التي وقفت على ذيلها في اتجاهه ..

فتاوي دعوة الحق

حول منع الحمل، وتحديد النسل

بعث الينا قارىء كريم رسالة يقول فيها : بانه قرا موضوعا حول ((منع الحمل ، وتحديد النسل)) في صحيفة عربية تصدر في المانيا الغربية في شهر غشت الاخير عام 1964 راجيا منا ان نعطيه حكم الشرع الكريم والفكر الاسلامي حول الموضوع ؟

فقد راعه ما قراه في هذا البحث الهام من انه يعيش حاليا 3,14 مليار نسمة في العالم ، وان عدد السكان يرتفع في العالم بمعدل 55 الى 60 مليون نسمة في العام الواحد .

وان 83 ٪ من سكان العالم يشكون قلة الغذاء . وان هذه الارقام المخيفة بالذات هي التي عملت على دخول الاقراص المضادة للحمل كل الصيدليات اليوم بلا استثناء ، وان هذه الاقراص جاءت لتمثل جواب العلم على الحل الذي صار يطلب منه للتغلب على كثرة النسل ؟

— ان كثرة النسل ايها الاخ الكريم ، وخاصة النسل الذي ترعاه الامة ، النسل القوي ، يتفق دائما مع روح التشريع الاسلامي ، وتحديده لا يتفق مع امة تريد النهوض والقوة ، واتساع العمران ، وكثرة الايدي العاملة في مختلف مرافق الحياة من زراعة وصناعة ومشروعات هامة .

فلقد قال رئيس دولة الصين في تكاثر السكان : « ان قوتها الكبرى هي في عدد سكانها الذين يبلغون الان سبعمائة مليون ونيف نسمة) .

فكلما ازداد السكان كلما تضاعفت الاراء ، وتكاثرت الارادات ، وقوى الحماس ، وتضاعفت الايدي الكفيلة بتنفيذ الاعمال الجليلة .

وعلينا ان لا ننسى ما قاله « ليو)) نفسه عند ما اكد « ان ميلاد طفل صيني لا يعني فقط وجود بطن جديد تجب تغذيته ، ويتعين اطعامه ، وانما يعني وجود ساعدين مهمين لمضاعفة الانتاج في المستقبل))

والتحديد بمدلول هذا اللفظ ، لا يتفق ايضا مع ما حثت عليه الشريعة الاسلامية من الزواج ، وما بينته ايضا من امتنان المولى على البشرية بنعمة البنين والحفدة ، كاثر من آثار الزواج ، اذ يقول جل شانه : (واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم) وقال تعالى : (والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وبنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات) .

وجاء في وصايا الرسول عليه السلام : (تناكحوا ، تناسلوا ، فاني مباه بكم الامم يوم القيامة) (وسوداء ولود خير من حسناء عقيم) (ومن ترك الزواج مخافة العيال فليس منا) .

والقرآن نفسه ينعي على اهل الجاهلية الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة الاملاق والفقر ، اذ يقول : (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم) .

ولقد اعد الله سبحانه لعباده في هذه الارض من الطيبات والثمرات ما لا يمكن ان تضيق عن حاجتهم ، وحاجة ابنائهم مهما كثروا اذ خلق لكم ما في الارض جميعا .

فالتحديد بهذا المعنى تاباه الطبيعة ، كما لا ترضاه حكمة الحكيم ، وتنبه الوعي القومي يرده ويرفضه ، وكثرة المصانع ، وطلب الايدي العاملة فيها ، والحرص على النهضة بالمجتمعات واستصلاح الاراضي الزراعية ، كل ذلك ، يرفض هذا التحديد الذي تدعو اليه كثير من الدول) العصر الحاضر كما فعلت امريكا اليوم تجربتها في مدينة نيويورك .

فكثرة العيال الاقوياء يدعو الاباء والامهات الى النشاط والجد ، وعلى هذا ، فيكون الاسلام على هذا الاساس يمنع التحديد ، تحديد النسل .

نعم ، يبيح الاسلام التنظيم ، تنظيم النسل ، وليس هذا التنظيم يحارب الطبيعة او يجافيها ، فالطبيعة هي نفسها محتاجة الى تنظيم :

1 — فالطوفان او الفيضانات طبيعة ، لكن تحويل هذه المياه الطافية الى مجاري وقنوات لسقي الزرع والحقول والمروج فى الكون تنظيم لهذه الطبيعة .

2 — والجو مشحون بطاقات كهربائية ، طبيعية ، لكن تنظيم هذه الطاقات الكهربائية الى انارة وتدفئة تنظيم لهذه الطبيعة .

3 — والبخار المتصاعد المتكاثف من حريق النار طبيعة ولكن استخدامه فى البواخر والقاطرات تنظيم لهذه الطبيعة .

فتنظيم النسل مباح اذا كان يؤدي الى حفظ وسلامة صحة المراة وعافيتها ، فهو اذن جائز للسيدات اللاتي يسيء اليهن الحمل ، ثم بالنسبة لذوي العاهات والامراض المتنقلة عن طريق العدوى ، او بالنسبة للذين تضعف اعصابهم عن مواجهة المسؤوليات .

ان تنظيم النسل لشيء منها ، انما هو تنظيم فردي لا يتعدى مجاله انه شيء علاجي تدرا وتذاذ به اضرار محققة لا محالة ، والتنظيم بهذا المعنى لا يجافي الطبيعة ، ولا ياباه الوعي القومي ، ولا تمنعه الشريعة ، بل هي تطلبه وتحث عليه .

وهكذا نرى ان الشريعة تحافظ على سلامة وقوة الامة ، وقوة افرادها ، وراحة اعضاء المجتمع ، وتباعد بينها وبين اسباب الضعف .

واذا كانت الشريعة تتطلب كثرة قوية لا هزيلة ، فهي تعمل على صيانة النسل من الضعف والهزال ، وتعمل ايضا على دفع الضرر الذي يلحق الانسان فى حياته .

ومن هنا قرر العلماء منع الحمل — موقتا — بين زوجين بهما او باحدهما داء من شانه ان ينتقل فى الذرية والاحفاد .

الرباط : م — ب

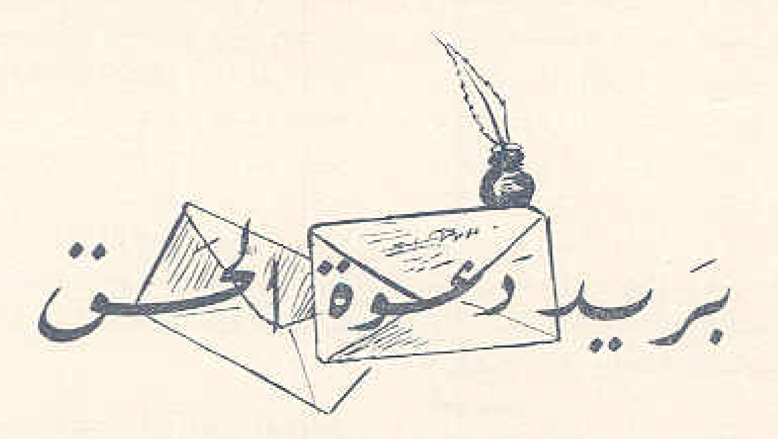
نحن أبناء يعرب

سائلوا الدهر مذ عرفناه هل يعـ
ـرف منا الا الفعال الحميدا

نحن أبناء يعرب ، اعرب النا
س لسانا ، وانظر الناس عودا

وكان الاله قال لنا في الـ
ـحروب : « كونوا حجارة او حديدا »!

البحتري



ميلاد مجلة « اللسان العربي »

اهدانا المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية العدد الاول من مجلته « اللسان العربي » التي يصدرها بالرباط .

و « اللسان العربي » مجلة دورية للابحاث اللغوية ، ونشاط الترجمة والتعريب فى العالم العربي، وقد اصدرها المكتب الدائم لتكون كما جاء في مقدمة تصميم هذه المجلة ، سجلا لجميع الاعمال المنجزة والمشاريع المعتزمة في حقل التعريب ، ومرآة تجلو بوضوح الجهود المبذولة في الشرق من أجل تجويد اللغة العربية وتطويرها ، وجعلها اداة للتعبير كافية ووافية بجميع المعاني والمفاهيم ، والمصطلحات العلمية والتقنية والحضارية ، ولتكون عاملة على تيسير مهمة التنسيق بين هذه الجهود المختلفة المتفرقة وتوجيهها الوجهة المثلى ، فعلى صفحاتها تنعكس آراء رجال الفكر الذين يعنون بالبحوث العربية في العالم اجمع على اختلاف اجناسهم وأديانهم ومذاهبهم ، وتوزع مجانا على جميع الهيئات المشتغلة بالتعريب وغيرها ممن يسهمون بنتاج قرائحهم في هذا الموضوع .

وقد شارك في تحرير العدد الاول من « **اللسان العربي** » الاساتذة الافاضل الامين لجامعة الدول العربية ، وعلال الفاسي ، وعبد العزيز بنعبد الله ، وعبد الفتاح الصعيدي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وادريس الكتاني ، ومحمد العربي الخطابي، ومحمد المنوني ، وحميد بنسالم ، والمستشرق فانسان مونتي ، والدكتور عبد الحليم منتصر ، ومحمد ادريس العلمي ، وعبد الكريم القباج ، وعبد الله كنون الامين العام لرابطة علماء المغرب .

كما ان المجلة طافحة بمقالات وبحوث وانباء المكتب الدائم

نتمنى للزميلة « **اللسان العربي** » نشاطا عظيما ، وعمرا مباركا مثمرا باذن الله .

بـــــراءة ....

حمل الينا بريد المجلة منشورا من الجماعة الاسلامية التي يراسها الاستاذ ابو الاعلى المودودي فى الباكستان يحيط علما بان محكمة الاستيناف الباكستانية العليا ، قد برات اخيرا الجماعة الاسلامية من التهم التي وجهتها الحكومة الباكستانية اليها ، فحلتها في شهر يناير الماضي 1964 .

أما الاستاذ ابو الاعلى المودودي وزملاؤه اعضاء مجلس شورى الجماعة فهم لا يزالون معتقلين ، وقد طالبوا محاكمتهم بعد صدور القرار المذكور ، ومن المامول الافراج عنهم عما قريب .

والجدير بالذكر أن حكومتي باكستان الشرقية والغربية كانتا اصدرتا أوامرهما بحل الجماعة الاسلامية وتجميد نشاطها ، ومصادرة أموالها ، واعتقال زعمائها في 6 يناير الماضي ، وان التهم التي وجهت الى الجماعة في هذا الصدد هي سبع تهم منها ان الجماعة الاسلامية عارضت فكرة تقسيم القارة الهندية الى الهند وباكستان قبل سبع عشرة سنة ، وأنها تتسلم معونات من الخارج وأنها تثير القلاقل ، وتبث دعوتها بين صفوف الطلبة والعمال وموظفي الدولة ...

ولقد بادر المحامون للدفاع عن الجماعة الاسلامية ـ على فور صدور القرار الذي يقضي بالحل ـ برفع الدعوى

امام المحكمة العليا في كل من باكستان الغربية والشرقية ، والمطالبة بمحاكمة الجماعة وفق قانون البلاد ، واستمرت المحاكمة ثلاثة أشهر ، واسفرت عن ادانة الحكومة في باكستان الشرقية ، وادانة الجماعة في باكستان الغربية أي أن المحكمتين اختلفتا في قضية بعينها ، فطعنت الحكومة الشرقية قرار المحكمة الشرقية ، بينما طعن الاستاذ المودودي قرار المحكمة الغربية في محكمة الاستيناف العليا ، التي ناقشت هذه الدعوى اسبوعا كاملا ، ثم اصدرت قرارها بتبرئة الجماعة .

واننا لنأمل ان يعود الاستاذ ابو الاعلى المودودي الى نشاطه المعهود باذن الله ، للذب عن فكرة الاسلام الصحيحة وازاحة الشبه والاضاليل التي غشيت تعاليمه السامية واصوله العامة .

المكتب الدائم للتعريب وموسم الكتاب العربي بالمغرب

تلقينا من المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي المنشور التالي :

منذ انشيء المكتب الدائم لتنسيق التعريب في المغرب وهو يقوم بسلسلة من الاعمال الكبرى التي تهدف الى تطوير لغة الضاد وتبسيطها ورفع مستواها العلمي والادبي وقد خطط لذلك خططا ورسم مناهج للعمل ظهرت نتائجها في العالم العربي واعقبتها ملاحظات بناءة من لدن الشخصيات والهيآت العلمية واللغوية في العالم اجمع .

وهو الآن ينظم موسما للكتاب العربي يتلاقى فيه كل الناطقين بالضاد على صعيد واحد ليدرسوا مشاكل هذا الكتاب والغاية المتوخاة من تاليفه والتدابير التي يجب اتخاذها لتطويره وتبسيطه ورفع مستواه العلمي والفني حتى يصبح موازيا لغيره من كتب الامم الراقية ، وقد كان هذا الموسم برهانا جديدا على مدى قدرة لغتنا العربية على الاضطلاع بالتعبير عن كل المعطيات العلمية والتقنية والفنية ولا سيما منها العناصر المستحدثة ؛ ولقد صادفت دعوة المكتب الدائم للتعريب لتنظيم موسم الكتاب العربي اقبالا عظيما من لدن الاوساط العلمية والادبية سواء منها الرسمية او التي تعمل لحسابها الخاص .

وقد اجابت كثير من الدول العربية الى الدعوة فعينت ممثلين عنها للقيام بمحاضرات وندوات واستفسارات حول نشأة وتطور الكتاب العربي الذي ظل لحد الساعة رهينا بالمناسبات وخاضعا لسلسلة من التقنينات التي لا تسمح له بمسايرة ركب الحضارة الحديثة نظرا لما يكتنفه من غموض وما يقف في طريقه من اختلاف في الراي والعمل والاسلوب ، واذا كانت هناك دول عربية وفي طليعتها لبنان ومصر وسوريا قد استطاعت ان تخرج به من الاطار القديم الذي كان يعيش فيه وان تنهج امم قد اخذت من اسباب الرقي كل مسلك فانه ما زال ينقصها التنسيق في الخطى ومناهج العمل ووحدة الاساليب من الخليج الى المحيط .

وقد سارعت تونس والكويت والعراق وسوريا والمغرب الى تحبيذ فكرة موسم الكتاب العربي فعينت من يمثلها رسميا للمحاضرات او العرض واستخلصنا مما ورد من اقتراحات وتوجيهات مدى تعطش العرب الى مثل هذه المواسم والمهرجانات التي ترفع من شأن لغة العروبة وترفع مستواها في الحقل الدولي حتى تواكب اللغات الحية التي عرف ابناؤها كيف يهذبونها ويطورونها ويعممونها بين عشائرهم واجيالهم القديمة والحديثة ، وقد توالت علينا ايضا من الدول العربية الاخرى خطابات تعبر عن عزمها على المساهمة بكل ما يمكن من الوسائل المادية والمعنوية في هذا المهرجان العربي الكبير .

ويسرنا ان نرى مؤسساتنا العربية تمد ايديها للمكتب الدائم للتعريب لتتعاون معه في انجاح هذا الموسم .

وقد خصصت اروقة للدول العربية واخرى لدور النشر والمكاتب العامة وقد عرض المركز المغربي للتعريب منجزاته خلال السنوات الاخيرة كما خصص المكتب الدائم اروقة واسعة للتعريف بالكتاب العربي في مختلف الشعب العلمية ومختلف المراحل الدراسية ليقف الجمهور على سعة الجهود المبذولة في العالم العربي لتعريب مختلف قطاعات التعليم والمجتمع والادارة .

وسيكون الكتاب العربي انصع برهان على حيوية العربية في شتى المجالات وفعاليتها في العالم الحديث

عواطف وتحيات
من الاتحاد السوفياتي ـ أوديسا

وصلتنا رسالة من الاستاذ محمد عيش بأوديسا

بالاتحاد السوفياتي ، يثني فيها على مجلة **دعوة الحق** التي اخذت باعجاب كثير من العلماء الذين اعربوا على انها منقطعة النظير في العالم العربي والاسلامي .

وانا سيدي لنشكركم على هذا اللطف الكريم راجين منكم أن تساعدونا بابحاثكم التي أشرتم اليها في رسالتكم ، وأن لا تضنوا علينا بها .

وانا سوف نمدكم باعداد مجلتنا تباعا بحول الله

من الجمهورية العربية المتحدة ــ القاهرة

كما حمل الينا البريد رسالة رقيقة من الاستاذ احمد انور الجندي ، يهنيء فيها مجلتنا واسرتها بمناسبة دخولها السنة الثامنة من عمرها المبارك .

وفضيلته اذ يبارك خطوات المجلة العاملة في دنيا الاسلام والبحث والدرس يرى انها ــ وهذا من لطفه حفظه الله ــ اعظم مجلات المغرب العربي ، بل انه لا يوجد في الشرق مجلة في مستواها من حيث جمعها للفنون المختلفة ، وللكتاب القادرين ، وتنسيق ذلك كله في باقة رائعة .

وان مجلة دعوة الحق ، لتشكر الاستاذ على عواطفه الرقيقة ، وترجو من فضيلته ان يوافيها بقيم ابحاثه ، وان يسعد قراء العربية بانتاجه الادبي ، وعلمه الناضج .

من لبنان ــ بيروت

وايضا نشكر فضيلة الدكتور عبد الله عبد الدايم على رسالته الرقيقة ، التي تضمنت انبل العواطف ، واجمل الذكريات تجاه مجلتنا وقرائها ، التي تذكره بصلة عزيزة على نفسه ، هي رحلته الى الديار المغربية التي تنعم بنشاط ثقافي ، وحيوية متدفقة ، وشباب حي طموح .

وسيادته اذ تكتب الينا ، يعدنا بأن حضرته سيتحف مجلتنا ببعض مقالاته العامرة القيمة بعد الاخرى .

فشكرا للاستاذ الجليل ، ودعوات لكم بالتوفيق والنجاح .

ومن المغرب ..

تلقينا رسالة من طنجة للسيد رمزي عبد السلام يعرب لنا عن تهانيه الخالصة الصادرة من اعماق القلب بمناسبة دخول مجلتنا سنتها الثامنة مؤملا ان تعمل بحول الله غاية المجهود الموصول للسير بمجلتنا الى الطريق الذي يوصل لخدمة المثقف المغربي ، وتنوير فكره بفتح آفاق جديدة في رحاب المعرفة التي هو في امس الحاجة اليها .

كما رجا منا ان نجيبه عما يلي :

(.. بينما السيد رمزي يطالع في احدى المجلات العلمية التي تصدر بلبنان ، اذ عثر على مقال للدكتور حسين مؤنس تحت عنوان : « مستقبل العرب » قال فيه :

« ان الاحساس بالمستقبل غير موجود في النفس العربية ، ولفظ الغد لا يعني في حسابها شيئا ، ان العربي ، ايا كان ، رجل يعيش من يوم ليوم يشغله ابسط حاجات يومه عن اكبر حاجات غده ، ويشغله طعام الساعة عن مئونة الساعة التي تليها ، ولكي اوضح هذه الحقيقة ــ يقول الدكتور ــ ان الاحساس بالمستقبل ملكة خاصة توجد مركبة في نفوس بعض اجناس البشر ، ولا توجد عند غيرها ، وتتربى وتنمو عند بعضها ، ولا تنمو عند بعضها الآخر ، والمراد بها ذلك الاحساس الغريزي العميق الذي يحفز الانسان الى التفكير في امر الغد والاهتمام بشؤونه ، والتدبير له ، وهي ملكة نلاحظها عند الغربيين فرادى وجماعات ، ولكننا لا نجدها عند العرب » .

ويزيد الدكتور قائلا : « يقول قائل : كان هذا في الماضي ، اما اليوم فقد افاق العرب واستيقظوا ... وذلك وهم شديد جدا ، فان العرب لا زالوا كما كانوا لا يفكرون الى ابعد من انوفهم ، واحداث السنوات الماضية تنطق باجلى بيان ، وذلك لان المسالة هنا مسالة طبع وتكوين ، وليست مسالة يقظة وغفلة ، ولن نستطيع مهما فعلنا ان نغير من طبائع الناس » .

هذا ما ورد في رسالة صديقنا رمزي عبد السلام الذي يتساءل هل صحيح ان العرب محرومون من غريزة الاحساس بالمستقبل ، وان هذه الغريزة وقف على الامم الغربية ؟ .

ونحن نطرح بدورنا هذا السؤال على انظار المثقفين المختصين في هذا الشان ليجيبوا السيد رمزي الذي يريد ان يعرف كيف يكون موقف امتنا اذا جد الجد ووقعت الكارثة ؟ .

والى لقاء آخر مع مراسلي هذا الباب في عدد مقبل بحول الله .

بكل اخلاص لانها تعين البلاد النامية فى سبيل التطور والتقدم ومحاربة الامية ونشر العلم والثقافة فى كل انحاء الدنيا . وقد قالت بعد انتهاء الانتخابات عند ما اعلن رئيس المؤتمر النتيجة ان هذا الانتخاب سيكون له اثر حسن فى نفوس المغاربة والافارقة والعرب وبكيفية خاصة فى نفس جلالة الملك الحسن الثاني الذي يخصني بعطفه الخاص والذي يقدر اعمال اليونسكو كما قلته فى خطاب الافتتاح الذي القيته فى مدة المؤتمر حيث ذكرت زيارته للمنظمة واهتمامه بكل شؤون اليونيسكو والمشاريع التي تنظمها اليونيسكو فى بلادنا وينبغي ان نشير من الان على ان مسالة محاربة الامية ونشر التعليم كانت من اهم القضايا التي تم الاجماع عليها فى هذا المؤتمر وقد خصصت لها ميزانية ذات بال وكذلك كانت من القضايا المهمة لان البلاد النامية وبخصوص المغرب وبعض البلاد الاسيوية طالبت بان يرفع مقدار ميزانية اليونيسكو . وقد بدانا فى رفعها الى 49 مليون من الدولارات . ثم ان هذا المؤتمر امتاز بقضية خاصة وهي ان جميع الوزراء الذين خطبوا ورؤساء الوفود الذي كان عددهم هذه المرة مع الوفود ورؤساء اللجان الوطنية وكتاب اللجان الوطنية لليونيسكو كان عددا كبيرا كلهم تكلموا على مستقبل اليونيسكو وعلى برنامجه فى المستقبل وانتهى المؤتمر بالاتفاق على توصية قدمت للمجلس التنفيذي وللمدير العام ليخط للمستقبل برنامجا يضم كل القضايا التي تهم البلاد التي هي فى طريق النمو .

هذه بعض القضايا التي راجت فى المؤتمر واني احييكم مرة اخرى والى الملتقى والسلام عليكم ورحمة الله .

* (وحدي فى الزحام) عنوان المجموعة القصصية التي ستصدر فى القاهرة قريبا للدكتورة سهيرة قلماوي

* يصدر قريبا فى القاهرة كتاب (ثورة على الفكر العربي المعاصر ودراسات اخرى) لمحي الدين محمد

* اعدت الدكتورة لطيفة الزيات للنشر فى القاهرة كتابا جديدا بعنوان (فى النقد الادبي المعاصر) .

* سيصدر التلفزيون العربي فى مصر مجلة دولية للتلفزيون بخمس لغات .

* (المصريون) هو اسم الكتاب الثالث الذي يصدره هيرمان تسزيوك عن مصر وكان كتابه الاول (دليلا لزيارة مصر) وقد اعاد طبعه للمرة الرابعة بالانجليزية والالمانية والفرنسية ، اما كتابه الثاني فقد كان عن القصة المصرية الحديثة وكتاب مصر الروائيين المعاصرين وقد صدر هذا الكتاب فى العام الماضي.

* فاز يوسف نوفل بالجوائز التالية فى مسابقة المجلس الاعلى للفنون بالقاهرة هذا العام — الجائزة الاولى فى المقال عن مقاله (انسانية الحضارة العربية) الجائزة الاولى فى البحث الموجز عن بحثه (التفسير القومي للنضال العربي) الجائزة الثالثة فى القصة القصيرة — الجائزة العاشرة فى الشعر .

* تقرر انشاء معهد جديد لعلوم البحار والمصايد فى جامعة الاسكندرية ، يقوم بالدعاية وتخريج الاخصائيين فى علوم البحار ، وذلك لتنمية مشروعات الثروة المائية فى الجمهورية العربية المتحدة ويعتبر اول معهد من نوعه فى الشرق الاوسط .

* يصدر فى القاهرة قريبا كتاب (الورنس فى البلاد العربية) تاليف ريتشارد الدينجتون ، وقد قام بتقديمه محمود عزة موسى وبمراجعته الدكتور محمد انيس ، وتنشره (مؤسسة التاليف والانباء والنشر) فى القاهرة .

* (الفولكلور اللبناني فى هيكل القومية والفن) كتاب جديد لفاضل سعيد عقل صدر فى بيروت .

* منحت جائزة سعيد عقل الشهرية وقدرها الف ليرة لبنانية عن شهر اغسطس الماضي للشاعر الفنان رضوان الشهال على ديوانه (جرار الصيف) .

* صدر فى بيروت كتاب (نشيد الرخام) لنقولا قربان يضم مقطوعات فنية شعرية مستمدة من اعماق الريف . وسيترجم الى اللغة الروسية ويصدر فى موسكو كما سبق ان اشرنا الى ذلك .

* صدرت فى بيروت المجموعة القصصية الثالثة للقصاص السوري سعيد حورانية وعنوانها (سنتان وتحترق الغابة) .

* اتفقت دار الحضارة ببيروت مع ادوار حنين على نشر كتابين له الاول يتضمن مجموعة من المقالات والاخر يتضمن انطباعاته في رحلاته المختلفة .

* انتهى عبد اللطيف شرارة من اعداد دراسة مسهبة عن الشاعر الياس ابو شبكة .

* يصدر عن مكتبة المعارف ببيروت قريبا كتاب (اضواء على الشعر الحديث في اليمن) للشاعر العراقي هلال ناجي .

* انتهى راضي صدوق من اعداد دراستين ادبيتين الاولى منهما عن (النفاق في الشعر العربي) وقد قام فيها بالتنقيب عن قصائد النفاق في الشعر العربي منذ اوائل الجاهلية حتى عصرنا هذا . والثانية عن (دور المراة في الادب العربي)

* وضع النحات اللبناني حليم الحاج تصميما يمثل الاغتراب اللبناني . والجدير بالذكر ان الجامعة اللبنانية للمغتربين قررت اقامة نصب يمثل الاغتراب اللبناني خلال العصور .

* دراسة عن المسرح العراقي منذ نشاته حتى اليوم فرغ من اعدادها الدكتور علي الزبيدي الاستاذ المساعد بجامعة بغداد .

* الشاعر العراقي بدر شاكر السياب ساءت حالته الصحية وقد انتقل الى مستشفى الكويت قيد المعالجة.

* الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي الذي ترك موسكو وانتقل الى القاهرة ستصدر له مجموعة شعرية جديدة في بيروت عنوانها (كلمات لا تموت) .

* توفى الشاعر العراقي المعروف علي الشرقي في بغداد .

* 900 محام عربي حضروا مؤتمر المحامين العرب السادس الذي عقد في بغداد .

* يحيى الجبوري استاذ الادب العربي في كلية الشريعة ببغداد اصدر كتابا عن (الاسلام والشعر) .

* الاديب السوري الدكتور سامي الدروبي ترجم رواية (وقائع مدينة ترافنك) للكاتب اليوغسلافي ايفواندريتش الحائز على جائزة نوبل للاداب ، وموضوع الرواية تاريخي .

* قررت سورية اقامة مهرجان الشعر الدوري الخامس لاحياء الذكرى الالفية للشاعر الشريف الرضي في اللاذقية وعلى مستوى عربي شامل .

* اصدرت مجلة (الرائد العربي) الكويتية عددها الاخير خاصا بالقصة العربية .

* قررت حكومة الكويت ان تساهم بمبلغ 25 الف استرليني في تكاليف بناء المركز الثقافي الاسلامي الجديد في لندن .

* في عام 1949 كان عدد المدارس في الكويت 21 مدرسة وارتفع هذا الرقم الى 39 مدرسة عام 1954 وصار 73 مدرسة في 1958 منها 62 مدارس بساحل عمان وفي عام 1960 وصل العدد الى 103 مدرسة وفي عام 1963 بلغ عدد المدارس 140 مدرسة اي بزيادة 100 مدرسة خلال 10 سنوات .

* تدرس الرئاسة العامة لمدارس البنات في السعودية مشروع انشاء مدارس البنات في السعودية ومشروع انشاء مدارس للبنات في جدة ومكة المكرمة لتعليم الفتيات ومواد التدريب المنزلي .

* عقد مؤتمر الصحفيين العرب في الكويت في اواخر الشهر الماضي .

* (فارس الخوري وايام لا تنسى) كتاب لمحمد الفرحاني يصدر قريبا في دمشق .

* توفى عن 72 عاما الشاعر والكاتب الالماني فرنز، برجينكرون عضو الاكاديمية الالمانية للغة والشعر والحائز على وسام الاستحقاق « بور لامريت » من درجة السلام .

ولد فرانز برجينكون في مدينة ريجا وقضى السنوات الاخيرة من حياته في سويسرا ومن اهم اعماله الادبية قصة «الطاغية الكبير والقضاء» .

* احتفل القراء السوفييت بعيد ميلاد الاديب اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة بمناسبة بلوغه الخامس والسبعين من عمره .

* من سلسلة الكتاب الماسي صدر « الناس والكلاب » للدكتور معوض جاد الرب .

* اعلنت جامعة الدول العربية عن مسابقة لانتاج احسن فيلم عربي طويل يتناول موضوعا عربيا قوميا وستكون جائزة الفائز ثلاثة آلاف جنيه .

* تجري الاستعدادات الان لتحويل قصة عباس محمد العقاد « سارة » الى فيلم سينمائي يقوم باخراجه عاطف سالم .

* صدر في بيروت كتاب جديد للدكتور قسطنطين رزيق عنوانه « في معركة الحضارة » .

* سيصدر قريبا كتاب جديد للاستاذ ميخائيل نعيمة يحمل عنوان « هوامش » .

* الاستاذ خيري حماد يقوم بترجمة كتاب « اليهودي العالمي » .

* «الرائد» معجم لغوي عصري من تاليف جبران مسعود رتبت مفرداته وفقا لحروفها الاولى ، سيصدر قريبا عن دار العلم للملايين .

* تقرر اقامة مشروع متحف دائم في القاهرة لفنون المسرح والموسيقى يشمل المخطوطات القديمة مع تسهيلات لاعلام المسرح .

* عثر طالب الماني يدعى هرمان تايرز على عملة اثرية في جزيرة رويجن في بحر البلطيق والعملة هي عملة عربية كانت تستعمل في زمن هارون الرشيد اي اي قبل حوالي 1100 سنة .

* قرر المجلس الاعلى للشريعة الاسلامية منح المسلمين من الزنوج في امريكا « 20 » منحة دراسية للتعليم بالازهر الشريف خلال العام القادم .

* من المنتظر ان تقيم ج.ع.م. حفلا كبيرا لاحياء ذكرى «ابن خلدون» في الجزائر .

* من المؤمل ان يكون في الاسواق الآن كتاب تجربة الثورة في غينيا من سلسلة كتب التحرير السياسي تاليف احمد سيكوتوري وترجمة نور الدين الزراري .

* المؤتمر الاقليمي لتخطيط وتنظيم محو الامية في البلاد العربية سيعقد قريبا بالقاهرة .

* سيصدر المجمع اللغوي في القاهرة في دورته القادمة مجلدا يتناول سيرة اعضاء المجمع منذ انشائه حتى الان .

* طاهر الجبلاني الذي لازم العقاد ثلاثين عاما يعد الآن كتابا بعنوان « في صحبة العقاد » .

* « طلائع المسرح العربي » كتاب عن ذكريات الاستاذ محمود تيمور عن المسرح في ادواره الاولى سيصدر قريبا .

* « رحلة الربيع والخريف » كتاب جديد للاستاذ توفيق الحكيم ، يحتوي على مسرحيات قصيرة ومجموعة من اشعاره النثرية التي كتبها في دور الشباب .

* يقوم الشاعر عبد الرحمن صدقي باعداد كتاب يتضمن ذكرياته عن عباس العقاد . كما سيتضمن الكتاب فصولا واراء وقصائد كتبها العقاد ولم يسبق نشرها .

* من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة سيصدر « المعتمد بن عباد للاستاذ علي ادهم » و « المسرح الياباني » ترجمة سعد زغلول نصار » و « العمارة في صدر الاسلام للدكتور كمال الدين سامح » .

* ساعدت جامعة بغداد على طبع كتاب « البلاغة عند السكاكي » للدكتور احمد مطلوب وكتاب « ابنية الصرف في كتاب سيبويه » للدكتورة خديجة الحديثي .

* من منشورات معهد الدراسات العربية العليا في القاهرة صدر كتاب « الجزائر المعاصرة » للدكتور صلاح العقاد .

* « مشكاة الانوار » رسالة لابي حامد الغزالي ، حققها الدكتور ابو العلا عفيفي ، ونشرتها وزارة الثقافة والارشاد القومي في سلسلة المكتبة العربية .

* « قضية الشعر الجديد » مجموعة من المحاضرات التي القاها الدكتور محمد النويهي على

ية معهد الدراسات العربية العليا في القاهرة ، اصدرها
هد المذكور ضمن مطبوعاته .

* قام الدكتور انور لوقا بترجمة كتاب « الفتنة
برى » للدكتور طه حسين الى اللغة الفرنسية .

* تعد مديرية الفنون والثقافة الشعبية في وزارة
قافة والارشاد كتابا عن الصناعات والمهن الشعبية
غدادية .

شاركت الجمهورية العراقية في معرض الكتاب
ربي العاشر الذي اقامه النادي الثقافي العربي
الجمعية الامريكية في بيروت في نوفمبر 1964 .

* وافقت وزارة الاوقاف العراقية على تنفيذ
مج واسع القصد منه احياء وطبع المخطوطات
سلامية النادرة المحفوظة في مكتبة الوزارة .

* « البخلاء – للخطيب البغدادي » حققه الدكتور
د مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي والاستاذ
د ناجي القيسي وساعد المجمع العلمي العراقي على
ـه .

* انتهى الدكتور صالح احمد العلي عميد معهد
اسات الاسلامية في جامعة بغداد من تحقيق كتاب
« جزيرة العرب » للاصمعي الذي سيساعد المجمع
العلمي العراقي على طبعه .

* ينصرف الاستاذ منير سعيد المدير العام
للمصرف الصناعي الى وضع كتاب جديد عن
اقتصاديات الخليج العربي .

* تقرر اقامة ثلاثة تماثيل في بعض منتزهات
بغداد احدها للخليفة العباسي المامون والثاني
للشاعر معروف الرصافي والثالث للشاعر الشعبي
عبود الكرخي .

* سيفتتح في كلية الآداب ببغداد اول فرع
لتدريس الصحافة على اسس علمية حديثة .

* من الكتب الفولكلورية التي تعدها للطبع وزارة
الثقافة والارشاد كتاب « الشعر المذيل للحاج هاشم
رجب » و « الاصالة في الشعر الشعبي لجميل
الجبوري » و « الالعاب الشعبية لصبيان سامراء –
للشيخ يونس ابراهيم السامرائي » .

* تصل العراق قريبا بعثة ايطالية موفدة من
مركز الابحاث الاثرية في تورنتو للتنقيب في اطلال مدينة
طيسفون « سلمان باك » ومدينة سلوقيا المعروفة
خرائبها بتل عمر ازاء سلمان باك .

